وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الانسانية
قسم التاريخ

محاضرات في الحركات المذهبية في الغرب الإسلامي

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر
تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي

إعداد الدكتورة: سعيدة لوزري
أستاذة محاضرة أ
تخصص: تاريخ وسيط

السنة الجامعية: 1446-1447هـ/ 2024-2025م

عنوان الماستر: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط
السداسي: الأول
اسم الوحدة: وحدات التعليم الأساسية
اسم المادة: الحركات المذهبية في الغرب الإسلامي
الرصيد: 05
المعامل: 02
أهداف التعليم: (ذكر ما يفترض على الطالب كتسابه من مؤهلات بعد نجاحه في هذه المادة في ثلاثة أسطر على الأكثر)
–التعرف على الحركات المذهبية التي انتشرت ببلاد الغرب الإسلامي وتفاعلاتها التي أدت في الأخير إلى سيادة المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والسلوك الصوفي.

المعارف المسبقة المطلوبة:
– تمكين الطالب من الربط بين الوقائع السياسية ومنطلقاتها المذهبية، وما ترتب عنها من حراك فكري.
– تهدف هذه المادة إلى تعريف الطالب بالتيارات الفكرية والمذهبية التي عرفتها بلاد المغرب والأندلس، والتي كانت في غالبها وافدة من المشرق الإسلامي، مما يسمح له بتكوين خلفية معرفية يستطيع من خلالها تفسير العديد من المظاهر السياسية والاجتماعية.

محتوى المادة:
– بعثة الفقهاء العشرة ودورها في انتشار الاسلام بعد الفتوحات.
– انتشار المذهبين الصفري والاباضي ببلاد المغرب (الدعوة، الثورة، الدولة)
– المعتزلة ببلاد المغرب.
– المذهب الإسماعيلي من الدعوة إلى الدولة.
– المذهب المالكي (دخوله وانتشاره ونضاله ضد المذاهب الأخرى)
– المذهب الموحدي
– المذهب الظاهري ببلاد المغرب.
– العقيدة الأشعرية وانتشارها ببلاد المغرب

المحاضرة 01

بعثة الفقهاء العشرة إلى بلاد المغرب ودورها في انتشار الإسلام بعد الفتوحات

مقدمة

بعد وفاة الرسول (ﷺ) اتبع الصحابة –رضوان الله عنهم– سيرته فكلما تعذر عليهم حكم في مسألة ما مما لا نص فيها من(القرآن، السنة النبوية، القياس، الإجماع) إلا واجتهدوا فيها معتمدين في ذلك على حديث معاذ بن جبل حين أرسله الرسول (ﷺ) إلى اليمن فقال له كيف تقضي إن عرض لك القضاء؟ قال:"أقضي بكتاب الله"، قال الرسول(ﷺ):"فإن لم يكن في كتاب الله؟" قال: فسنة رسول الله (ﷺ) قال:"فإن لم يكن في سنة رسول الله (ﷺ)؟". قال:"أجتهد رأيي ولا آلو"، قال معاذ: فضرب صدري فقال:"الحمد لله الذي وفق رسول الله (ﷺ) لما يرضى رسوله"[1].

وأثناء الفتوحات الإسلامية دخل عدد من الصحابة والتابعين –رضوان الله عليهم– إلى بلاد المغرب مع عبد الله بن أبي سرح في حملة العبادلة (27هـ–648م)، وفي حملتي عقبة بن نافع الفهري وغيرهما وكان غالبية هؤلاء من الحفّاظ والقراء والمدونين منهم: عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وغيرهم–رضي الله عنهم–. فسا هموا في نشر القرآن واللغة العربية بين البربر ولو بالشّيء القليل.

---

[1] – رواه أحمد بن حنبل عن عفان، عن شعبة عن أبي عون قال سمعت الحارث بن عمر وابن أخي المغيرة بن شعبة يحدث عن ناس من أصحاب معاذ من أهل حمص عن معاذ وهو حديث حسن، انظر: **المسند**، باب مسند الأنصار، من حديث معاذ بن جبل، رقم 21909 و 21999 ، تح. حمزة بن أحمد الزين، دار الحديث، القاهرة، 1995م، 164/15–165، 197–198؛ ابن كثير(عماد الدين أبو الفدا إسماعيل البصري الدمشقي، ت.774هـ–1372م)، **البداية والنهاية**، تح. سهيل زكار، دار صادر، بيروت، 2005م، 1267/5.

ومع الفاتحين ظهرت الكتاتيب بإفريقية وما جاورها من بلاد المغرب في بداية النصف الأول من القرن الأول للهجرة/7م. حيث أنشئت الدور والمساجد[2]، واهتم الفاتحون بتعليم الصبيان في الكتاتيب، فتلقوا كتاب الله من قراءة وحفظ وسماع وتعلموا اللغة العربية. والدليل على وجود الكتاب بإفريقية ما ذكره الدباغ بن غياث بن أبي شبيب قال:"أن سفيان بن وهب من أصحاب النبي (ﷺ) يمر بنا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا ونحن [غلمة] في الكتاب"[3]. ودامت الفتوحات الإسلامية أكثر من نصف قرن في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية بين سكان بلاد المغرب فحرص هؤلاء الصحابة والتابعين المشاركين في الفتح في إدخال القرآن والسنة النبوية وعلموا البربر اللغة العربية. غير أن هذه المرحلة الأولى لم تكن كافية لانتشار الإسلام في كامل أنحاء بلاد المغرب إلى أن أرسلت البعثة العمرية ربما للحد من انتشار مذهبي الخوارج والشيعة.

أولا:التعريف بالفقهاء العشرة

يذكر أنه من بين إهتمامات الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-719م)[4] نشر الإسلام في بلاد المغرب، فعين للقيام بهذه المهمة الوالي أبو عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر[5]، مولى بني مخزوم الذي عرف باستقامته وبحماسه

---

[2] – ابن سحنون(محمد بن سعيد التنوخي القيرواني، ت.256هـ-870م)، **كتاب آداب المعلمين**، تح. حسن حسني عبد الوهاب ومحمد العروسي المطوي، مراجعة إبراهيم بن مراد، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، تونس، 2010م، ص.38.

[3] – ابن سحنون، المصدر السابق، ص.39؛ الدّباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي، ت.696هـ-1296م)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلق عليه ابن ناجي (أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى، ت.839هـ-1435م) تح. إبراهيم شبوح، تونس، 1993م، 151/1.

[4] – بعد وفات الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة 99هـ-717م تولى الخلافة بعهد منه وبمشورة التابعي رجاء بن حيوة الكندي عمر بن عبد العزيز الذي كان وزيره وابن عمه وصهره، وانصب جهده في رد المظالم وإقامة العدل والمساواة بين الناس وإصلاح الأمور المتعلقة بالمال والإدارة والقضاء، انظر: ابن عبد الحكم(أبو محمد عبد الله، ت.214هـ-826م) رواية ابنه أبي عبد الله محمد (ت.268هـ-881م)، **سيرة عمر ابن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه**، ط.6، نسخها وصححها وعلق عليها أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، 1984م، ص.35 وما بعدها.

[5] – المالكي (أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله محمد، ت.474هـ-1082م)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسائهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، ط.2، تح. بشير بكوش ومحمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1994م، 1/ 115-117

الديني وأرسل معه تسع فقهاء لمساعدته في ذلك و"ليفقهوا أهل إفريقية ويعلمونهم أمر دينهم" وتسمى هذه البعثة ب"البعثة العمرية".

وينحدر الفقهاء العشرة[6] من قبائل مختلفة بعضهم من العرب والبعض الآخر من العجم، وذكر إسماعيل السامعي أن عمر بن عبد العزيز "فتح المغرب روحيا وثقافيا، ونقله من مرحلة الفتوح والحروب، إلى مرحلة فتح النفوس والقلوب، ومن صراع السيوف إلى صراع العقول والأفكار، ومن إرسال الجيوش إلى إرسال العلماء فأصبح المغرب ميدانا لتوافد الآراء والمذاهب والنشاط الفكري والعلمي ما فتئ يتسع ويكبر" [7]. وذكر المقري أن ثلاثة من الفقهاء دخلوا الأندلس إثنان مع موسى بن نصير وهما: عبد الله بن يزيد المعافري الحُبُلِي الأنصاري وحيان ابن جَبَلة أما ثالثهم أبو ثُمَامة بكر بن سوادة الجذامي دخلها فيما بعد[8]. فمن هما هؤلاء الفقهاء العشرة:

1-أبو عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر القرشي المخرومي(ت.132هـ-749م): والي إفريقية وهو خال الخليفة هشام بن عبد الملك(105-125هـ/723-743م)، كان زاهدا فإذا عاد من الحروب افترش ذرعه ونام عليه، وينام وأم ولده وفرسه في بيت واحد لتواضعه. ولما ولاه الخليفة عمر بن عبد العزيز الولاية والقضاء على إفريقية سار بالحق والعدل وقضى بكتاب الله وسنة نبيه إذ قال عنه الطبري: "كان خير وال وخير أمير، سار فيهم بالعدل والحق، وكان حريصا على دعاء البربر للإسلام"[9]. أسلم الكثير من البربر على يده. وذكر المقريزي أن عمر بن عبد العزيز ولى إسماعيل إفريقية على حربها وخراجها وصدقاتها و"سار أحسن سيرة فلم يبق في ولايته من البربر أحد إلا وأسلم"[10]. وكان يخطب ويحث الناس

---

[6] – محمد حسن، **الجذور التاريخية لبلاد المغرب، جدلية السلطة والمجتمع والمجال(خلال القرن الأول والثاني الهجري/السابع والثامن الميلادي)**، مجمع الأطرش، تونس، 2022م، ص.494-502.

[7] – إسماعيل السامعي، **دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى الخامس الهجري(8-11م)**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2006م، ص.14.

[8] – المقري(شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، ت.1041هـ-1632م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، 56/3؛ عبد الرحمن علي حجي، **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، دار القلم، دمشق،1981م، ص.150.

[9] – ابن عذارى(أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله المراكشي، كان حيا 712هـ-1342م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح. (ج. س)، كولان، وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983م، 48/1.

[10] – المقريزي(تقي الدين بن علي، ت.845هـ-1442م)، **المقفى الكبير**، تح. محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1991م، 126/2.

على الجهاد لحديث النبي(ﷺ)"والله لو علمت أن أصحابي لا يتأخرون ولا أجد ما يقوتهم، ما تركت سرية تخرج في سبيل الله تعالى إلا خرجت فيها، ولغدوة وروحه في سبيل الله عزوحل خير من الدنيا وما فيها"، قال معن ما رأيت زاهدا في هذه الأمة غير إثنين عمر بن عبد العزيز وإسماعيل بن عبيد الله المخزومي، روى عن الصحابة منهم عبد الله بن عمرو وفضالة بن عبيد الله ومن التابعين روى عنه الإمام الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وعبد الرحمن بن أنعم. أوصى أبو عبد الحميد أن يتصدق بكل أمواله إلا أن الخليفة أجاز منه الثلث ورد الثلثين، وذلك مخافة أن يؤخذ ماله بعد وفاته فهذا يكون قد أمن حق عائلته من الميراث[11].

2- **أبو عبد الرحمن بن نافع الْحُبلِي (ت.100هـ-718م):** وهو تابعي اسمه عبد الله بن يزيد المعافري المصري، من الثقات كان صالحا فاضلا، روى عن الصحابة من بينهم أبي أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر، وعقبة بن عامر وغيرهم[12]، وروى أحاديث كثيرة عن فضائل إفريقية منها:"ينقطع الجهاد في البلدان كلها، فلا يبقى إلاّ موضع هو في المغرب يقال له إفريقية" و"يحشر من إفريقية قوم وجوههم مثل قمر ليلة القدر". بنى مسجدا بإفريقية، وشارك مع إسماعيل بن عبيد الله في بعض غزواته البحرية بها. روى عنه قاضي إفريقية عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، ونقل عنه بعض علماء الحديث في مصنفاتهم، ونشر علما كثيرا وانتفع به أهلها ودفن بباب تونس[13].

3- **أبو مسعود سعد بن مسعود التُجِيبي المصري[14]:** توفي في خلافة هشام بن عبد الملك. قيل أنه كِندي -من قبيلة كندة من اليمن -كان رجلا فاضلا مشهور بالتدين وهو من الثقات، ولا تأخذه في الله لومة لائم، كانت له مجالس علمية بجامع الفسطاط بمصر، روى عن الصحابة منهم: أبو الدرداء وغيره، وروى عنه جماعة من إفريقية من بينهم القاضي عبد الرحمن بن زياد بن أنعم. وأدخله عبد الله بن وهب في كتابه"الجامع"[15]. جمع حنضلة بن صفوان والي إفريقية أبو مسعود مع العلماء لما ثارت عليه الخوارج بطنجة فكتبوا له رسالة ليقتدى بها المسلمون ويعتقدوا ما فيها[16]. وكان أهل إفريقية يرجعون إليه في بعض المسائل فيجيبهم منها:

---

[11] - المالكي، (ط. بيروت)، 117/1.

[12] - نفس المصدر، 99/1.

[13] - نفس المصدر، 99/1-101.

[14] - نفس المصدر، 102/1-105.

[15] - نفس المصدر، 103/1.

[16] - نص رسالة حنضلة بن صفوان إلى جميع أهل طنجة، انظر: المالكي، (ط. بيروت)، 103/1.

علامة ولي الله عزوجل، وعلامة المتوكل، وعلامة الحكيم والطاعة، وأي الجلساء أشر مجالسه، وعن الذي يزين العالم عند من جالسه[17].

4- **إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري(ت.107هـ-725م):** يعرف بتاجر الله كان من العباد الذين يكرهون قراءة الشعر، وكان لباسه من الصوف(الجبة، وكساء، القلنسوة) وكان صالحا من أهل الفضل والعبادة والنسك والإرادة كثير الصدقة والمعروف، مع علم وفقه، روى عن الصحابة منهم: عبد الله بن عمر وعبد الله بن العباس وعبد الله بن عمرو، ومن إفريقية روى عنه بكر بن سوادة الجذامي وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم ومن مصر عمران بن عوف الغافقي والحارث بن يزيد وغيرهم[18]. سكن بالقيروان ونشر بها علما كثيرا فانتفع به أهلها وغيرهم، وبنى"المسجد الكبير" بالقيروان[19] وعُرف ب"مسجد الزيتونة" [20]، وكانت له مجالس علمية به، كما نسب إليه سوق إسماعيل لوجوده بجانب مسجده (مسجد الأحباش) [21]، وكان يرسل المولّدات والأحمال إلى المشرق إلا من كان له أب أو أم أو أخ أو أخت فإنه يخلي سبيله، وكان ينفق على المحتاجين مما يلبسه ويأكله أهل بيته، ومات غرقا أثناء خروجه متطوعا في غزوة عطاء بن رافع بصقلية[22].

---

[17] – المالكي، المصدر السابق، 104/1-106.

[18] – نفس المصدر، 106/1.

[19] _ اختلفت المصادر حول إعادة بناء جامع القيروان فابن عساكر ذكر أن القائد حسان بن النعمان هدمه إلا المحراب وأعاد بنائه سنة 74هـ-693م، انظر: (الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن الشافعي، ت.571هـ-1176م)، **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارد بها وأهلها**، درا. وتح. محب الدين أبي سعيد عمر ابن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م، 451/12؛ أما الحميري فقد ذكر في كتابه أن ولاة القيروان كانوا يهدمونه إلا المحراب تبركا بالقائد عقبة بن نافع الفهري وحدث ذلك ثلاث مرات. انظر: (محمد بن عبد المنعم، ت.900هـ-1495م)، **الرّوض المعطار في خبر الأقطار**، معجم جغرافي مع فهارس شاملة، تح. إحسان عباس، مكتبة لبنان، طبع على مطابع هيدلبرغ، بيروت، 1984م، ص.487.

[20] – نفس المصدر، 107/1؛ الدباغ، نفس المصدر، 27/1 وما بعدها. وكان أول مسجد بني في بلاد المغرب الذي بناه عبد الله بن أبي سرح ثم جامع عقبة بالقيروان أول حاضرة إسلامية ثم بنى أبو مهاجر الدينار مسجدا بمدينة الميلة. وكان حسان بن النعمان قد أمر ببناء مسجد الزيتونة بمدينة تونس. ربما اختلط اسم المسجد على المالكي، انظر: (ط. بيروت)، 67/1؛ ابن عذارى، المصدر السابق،22/1.

[21] – أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم التميمي، ت.333هـ-945م)، **طبقات علماء إفريقية**، تح. محمد بن شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006م، ص.20.

[22] – المالكي، (ط. بيروت)، 107/1-108.

5- **أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي(ت.113هـ-741م):** من الفضلاء، سكن بالقيروان روى عن جماعة ورووا عنه، وهو أول قاضي بالقيروان بعد الفتح، ولاه القائد موسى ابن نصير، وفي أحد مجالسه ذكر حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي (ﷺ) أنه مر بمجلس في المسجد فوجد قوما يدعون الله تعالى ويرغبون إليه وقوما يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال(أبو الجهم): "كِلا المجلسين على خير، أحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله عزوجل ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل فهم أفضل، وإنما بعثت معلما" ثم جلس[23].

6- مَوهِبُ بن حِبيّ المعافريُّ: روى عن ابن عباس وعن غيره من الصحابة، وروى عنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وكان من أهل الفضل والدين توفي بالقيروان ونشر علما كثيرا بها[24].

7- حبان بن أبي جَبَلة القرشي(ت.125هـ-743م): مولى بني عبد الدار من أهل الفضل والعلم، روى عن جماعة من الصحابة منهم عبد الله بن العباس وعمرو بن العاص وابنه عبد الله، وروى عنه عبد الرحمن بن أنعم وأبو شيبة عبد الرحمن بن يحي الصدفي، سكن القيروان ونشر العلم بها فانتفع أهلها به، وأدخل الحافظ أبو عبد الله محمد بن سِنْجَر الجرجاني (ت.258هـ-872م)[25] نزيل مصر رواياته في كتابه"**المسند**" منها حديث الغسل[26].

8- أبو ثمامة بكر بن سَوادة الجُذامي (ت.128هـ-746م): كان رجلا فاضلا جليلا، مفتيا، سكن بالقيروان، وروى الحديث عن الصحابة منهم: عقبة بن عامر وسهل بن سعيد الساعدي وعن التابعين منهم: سعيد بن المسيب وابن شهاب الزهري، وروى حديثا غريبا عن عقبة بن عامر أن الرسول(ﷺ) قال:"إذا كان على رأس مائتين فلا تأمر بالمعروف ولا تنه عن منكر، وعليك بخاصة نفسك" وحسب المالكي لعل ذلك إشفاقا من الرسول (ﷺ)على أمته أن ينالهم مكروه في جسم أو مرض أو مال فتتغير أنفسهم وأما من قدر على ذلك بيد أو لسان ولا يصل إليه على ذلك أذى في الجسم أو عرض ولا مال، فيصبح هذا فرض عليه، وفي هذا الشأن حديث آخر عن الرسول(ﷺ) قال:"ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وحتى إذا رأيتم الهوى

---

[23] – المالكي، المصدر السابق، 110/1؛ الدباغ، المصدر السابق، 198/1.

[24] – نفس المصدر، 110/1-111؛ الدباغ، المصدر السابق، 21/1

[25] – الذهبي(أبو عبد الله شمس الدين محمد، ت. 748هـ-1348م)، **كتاب تذكرة الحفاظ**، ط.9، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، 578/2؛ إبراهيم عبد المنعم سلامة، "تراث الحافظ ابن سنجر الجرجاني نزيل مصر(285هـ/872م) وانتقال مصنفاته إلى إفريقية والأندلس"، **مجلة المخطوط**، ع.3، 2020م، ص.147.

[26] – المالكي، (ط. بيروت)، 111/1-112؛ الدباغ، المصدر السابق، 209/1.

متبعا وشحا مطاعا ودينا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع أمر العامة"، توفي غرقا لمّا كان قاصدا الأندلس[27].

9-**أبو سعيد جُعثُل بن هاعان بن عُمير بن اليَثُوب القتباني المصري:** من الثقات، ويعد من الفقهاء والمقرئين المشهورين، تقلد منصب قضاء الجند بإفريقية في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. روى عن أبي تميم الجيشاني وعبد الله بن مالك وغيرهما، كما أرسله الخليفة عمر بن عبد العزيز ليعلم الناس القرآن وروى عنه بكر بن سوادة وابن زخر وابن أنعم كما روى عنه النسائي في كتاب"المسند" توفي في خلافة هشام بن عبد الملك في حدود سنة 115هـ-733م[28].

10- **طلق بن جابان أو ابن جعبان الفارسي:** فقيه مصري من الثقات روى عن الصحابة وعن التابعين وروى عنه بمصر سعيد بن أبي أيوب[29].

ثانيا: أهداف البعثة العمرية:

- نشر الدين الإسلامي الصحيح خاصة بعد ظهور فرق ومذاهب أخرى كالخوارج والشيعة وغيرهما في المشرق وقد عاش بعض الفقهاء العشرة تلك الأوضاع في المغرب الإسلامي.
- تولي الفقهاء لمنصب القضاء ييسر للمغاربة التعرّف على الأحكام الشرعية الصحيحة.
- بما أن فقهاء البعثة المرسلة ينحذرون من قبائل وبلدان مختلفة مما سيقوي رابطة الأخوة والعدل والمساواة بين قبائل المغرب وغيرهم من الأجناس العربية، وسيبعدهم عن العصبية القبلية إذ لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى.
- ومن بين مميزات الفقهاء العشرة أنهم قراء ومحدثون مما سيساعدهم على نشر علوم القرآن والسنة النبوية الصحيحة.
- نشر التعليم ببناء المساجد والكتاتيب.
- بناء أسس مجتمع مسلم يتبع أوامر الله تعالى ونبيه(ﷺ) واجتناب نواهيه.
- نشر اللغة العربية لغة القرآن بأصقاع بلاد المغرب.

---

[27] – المالكي، المصدر السابق، 1/ 112-113؛ الدباغ، المصدر السابق، 211/1-213.

[28] – الدباغ، المصدر السابق، 102/1.

[29] – المالكي، (ط. بيرت)، 117/1-118؛ الدباغ، المصدر السابق، 215/1.

- إفتاء الفقهاء في مسائل التي لا نص شرعي فيها سيشجع المغاربة على خوض غمار الفتوى وإرساء قواعدها في بلاد المغرب.
- عدم استقرار البعثة في مكان واحد مما سيساعد في نشر الإسلام واللغة العربية في العديد من مناطق بلاد المغرب.
- الحث على الجهاد في سبيل الله لفتح المناطق التي لم يصل إليها الفاتحون الأوائل.
- رفع الجزية عمّن أسلم قائلا عبارته المشهورة :"إن الله بعث محمد هاديا ولم يبعثه جابيا".

ثالثا: نتائج البعثة العمرية

– ظهور طبقة أولى من فقهاء إفريقية ثم تلتها طبقات أخرى مهمتها نشر علوم القرآن الكريم(القراءات، والتفسير، والتجويد...) والسنة النبوية الصحيحة، وممارسة القضاء بشروطه الصحيحة.

– تنشيط الحياة الثقافية في عهد إسماعيل بن عبيد الله بن المهاجر فقد جلب علماء من المشرق، واهتم بالحركة العمرانية ببناء المساجد والكتاتيب، وكثر إقبال البربر للإسلام خاصة عندما علموا برفع الجزية عنهم وأن لهم الحق في إكتساب الأراضي والإنتماء إلى الجيش إلى حد الظفر بالقيادة[30].

– تصحيح مسار الإسلام مثل توضيح الفرق بين الحلال والحرام حيث يقول ابن عذارى أن:"الخمر بإفريقية حلال، حتى وصل هؤلاء التابعون فبينوا تحريمها"[31].

– بفضل والي إفريقية إسماعيل بن عبيد الله بن المهاجر ومن معه من الفقهاء نجح في نشر الإسلام واللغة العربية في بلاد المغرب، فكانت ولايته أفضل فترة للولاة في إفريقية.

– بالإسلام انتشرت العروبة في جميع أقطار بلاد المغرب واستمرت إلى عصرنا الحالي رغم ما عرفته البلاد من حملات صليبية وغيرها من الحركات الإستعمارية.

– للاستيزادة بالعلم تعددت رحلات المغاربة إلى المشرق وتواصلت خلال العصور الإسلامية الأولى.

---

[30] – موسى لقبال، **المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج**، ط.3، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1984م، ص. 104.

[31] – ابن عذارى، المصدر السابق، 48/1.

– يرجع الفضل لهؤلاء الفقهاء العشرة في تفوق بعض المغاربة وحصولهم على مكانة خاصة لدى الإمام مالك بن أنس.

المحاضرة الثانية

إنتشار مذهب الخوارج (الصفري والإباضي) ببلاد المغرب

(الدعوة، الثورة، الدولة)

مقدمة

ظهرت الحركات المذهبية الإسلامية في المشرق الإسلامي إبان **الفتنة الكبرى** التي حدثت بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان(23-35هـ/ 644-655م) فهي أول بوادر المعارضة في الدولة الإسلامية، إذ خرجت فئة من المسلمين على الخليفة علي بن أبي طالب(35-40هـ/655_660م) لقبوله التحكيم[32] في الصراع بينه وبين معاوية بن أبي سفيان. فحملوا السلاح في وجه علي واعتزلوا جيشه فاضطر إلى قتالهم في موقعة النهروان سنة 38هـ-658م، إلا أن مذهبهم انتشر في بلاد المغرب لما انطوى عليه من مبادئ العدل الاجتماعي الشورى في الحكم وأحقية كل مسلم في ذلك بغض النظر عن أصله أو جنسه أو لونه أو عصبيته[33]. وعرف الخوارج بعدة أسماء منها: الخوارج والحَارورية والشراة وبالمارقة وعرفوا أيضا بالمحكمة الأولى لقولهم: "لا حكم إلا لله". فماهي عوامل وأسباب ظهور الخوارج، وماهي مبادؤهم وكيفية انتشار مذهبهم ببلاد المغرب.؟

---

[32] – اتفقت جل المصادر والدراسات على أن قبول علي رضي الله عنه التحكيم هو السبب المباشر لظهور المحكمة الأولى من القراء، انظر: محمد حسن، المرجع السابق، ص. 284، إلا أن محمود إسماعيل ينفي ذلك بناء على وثيقة تحصل قائلا: أن لديه " من القرائن والأدلة ما ينفي الرواية المتواترة التي تحمل الخوارج مسؤولية إرغام علي رضي الله عنه على قبول التحكيم ثم محاولة الضغط عليه لرفضه والتنصل من العهود التي قطعها على نفسه بوقف القتال وتحكيم الحكمين"، انظر: محمود إسماعيل، **الحركات السرية في الإسلام**، دار الرؤية، مصر، 2006م، ص.25.

[33] – سلمى محمود إسماعيل، **الصراع الإثني والمذهبي في المغرب الأقصى في ظل نظريات ابن خلدون**، دار الرؤية، مصر، 2012م، ص.117؛ محمود إسماعيل، **الحركات السرية**، ص.30.

أولا–عوامل وأسباب ظهور حركة الخوارج

اتفق المؤرخون على أن التأريخ للحركة الخارجية بدأ من معركة صِفّين[34] (37هـ–657م)[35]، التي دارت بين جيش علي بن أبي طالب وجيش معاوية بن أبي سفيان، ولا يمكن التسليم بالروايات الخاصة بهذا الحدث تسليما مطلقا لأنه لا يمكن ظهور حركة بهذا الحجم والأهمية في معركة صفين وأن تكون فُجئية ومرتبطة بحادث بسيط. فللحركة جذور تمتد إلى فترة متقدمة، وتأثرت بأحداث كثيرة عرفتها الدولة الإسلامية خاصة في عهد الخليفة عثمان فامتازت مرحلته الأولى من الخلافة بالاستقرار إذ أنه "لأَحبُّ إلى قريش من عُمر لشدّة عُمر ولين عثمان لهم ورِفقة بهم"[36]. أما المرحلة الثانية فقد تميزت بالإضطربات والقلاقل فظهرت خلالها أول فتنة في تاريخ الدولة الإسلامية لاتخاذ الخليفة بعض الإجراءات اعتبرها المسلمون خارجة عن سيرة الرسول(ﷺ) والخليفتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب والمنافية لمبادئ الدين الإسلامي. فنجم عنها ظهور معارضة سياسية كان أكثرها في الأمصار(مصر، البصرة، الكوفة) وتطرقت الباحثة لطيفة البكاي في دراستها إلى أسباب الخلاف ودوره في ظهور الحركة الخارجية وسأذكر البعض منها[37]:

– انطلاق معارضة عثمان السياسية من الكوفة عند تطبيقه لِما أقره الخليفة عمر بن الخطاب في نظام العَطاء للمسلمين فقد اختلف مقداره بين الفئات التي شاركت في فتح العراق منذ الحملات الأولى إلى "**معركة القادسية**" وفتح "**المدائن**" وهؤلاء كانوا من الكوفة، وسموا في المصادر ب"**أهل الأيام**" و"**أهل القادسية**"، فكان عطاءهم أكثر باعتبارهم المشاركين في الفتوحات ودورهم الفعال فيها، بينما "**الروادف**" وهم المتأخرون النازحون من الجزيرة العربية[38]

---

[34] – بكسرتين وتشديد الفاء، وهو موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس، انظر: الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، ت. 626هـ–1228م)، **معجم البلدان**، ط.3، دار صادر، بيروت، 2007م، 414/3.

[35] – الطبري(أبو جعفر محمد بن جزير، ت.310هـ–922م)، **تاريخ الرسل والملوك**، ط.2، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1967م ، 253/4–257؛ محمود إسماعيل، **الحركات السرية في الإسلام**، ص.26.

[36] – البلاذري (أحمد بن يحي بن جابر، ت.279هـ–892م)، **كتاب جمل من أنساب الأشراف**، تح. سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، 1996م، 133/6.

[37] – لطيفة البكاي، **حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي(37–132هـ)**، دار الطليعة، بيروت، 2001م، ص. 11–34.

[38] – نفس المرجع، ص.13.

وكانت عطاءاتهم منخفضة[39]، فنتج عن هذا التمييز تباين إجتماعي بين الفئات، وتباين قَبلي ناجم عن تركيبة الجيش الفاتح، ولم تظهر معارضة أثناء خلافة عمر بن الخطاب لأن الفتوحات الإسلامية كانت مستمرة والغنائم كثيرة، لكن في عهد عثمان قلت الفتوحات في الكوفة ثم توقفت سنة 30هـ-651م، فأدت إلى ظهور المشاكل الاجتماعية[40].

- ظهور أولى إضطربات في ولاية الوليد بن عقبة سنة 30هـ[41]. فقد أجمع الرواة أنّ مجون الوليد كان سببا رئيسيا في ذلك. لكن بعض الدراسات نفت أن تكون الأزمة بسبب أخلاق الوليد بل في سياسيته" الشَعبوية" التي كان السبب الرئيسي منها هدف تحسين مستوى الفئة الضعيفة إجتماعيا[42]. فهذه السياسة انتهجها عثمان لم تعجب الكوفيين فظهر انقسام في مواقف الناس في عهده، فالعامة معه والخاصة عليه[43]، فاضطربت الأوضاع في الكوفة. إلا أن ذلك لم يدم طويلا لوصول الخبر إلى الخليفة ، فارسل له كتابا يطلب منه تفضيل أهل السابقة والقُدمة في الجهاد بناء على ما أقره الخليفة عمر[44].

- تملك الفاتحين الأوائل أراضي آل كسرى وكبار النبلاء عن طريق الفيئ فقرر الخليفة عمر بن الخطاب عدم تقسيمها وهي مِلك للجماعة، يقوم بخدمتها المزارعون القدامى ويشرف عليها "أهل الأيام" وبقيت على هذه الحالة إلى سنة 30هـ-650م. لكن الخليفة عثمان سمح لأهل المدينة الذين شاركوا في فتح العراق ببيع نصيبهم أو إبداله بأرض أخرى في الجزيرة العربية، فتضرر الأمناء من هذا القرار وحرموا من الإستفادة من هذه الأراضي مما أدى إلى ظهور ملكيات كبيرة على حساب أراضي الفيء أصحابها من قريش ومن أشراف القبائل الذي يملكون

---

[39] - الطبري، المصدر السابق، 614/3.

[40] - لطيفة البكاي، المرجع السابق، ص. 13.

[41] - هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو الأموي أخو الخليفة عثمان لأمه وُلي على الكوفة سنة 25هـ-646م ثم اعتزل بعد مقتله ولم يحارب مع أحد من الفريقين، كان سخيا مُمدحا، شاعرا، لكنه كان يشرب الخمر، قال عنه الذهبي:"وهذا ممّا نقموا على عثمان أنه عزل سعيد بن أبي وقاص عن الكوفة وولي هذا، ويضيف أنه رغم فسقه إلا أنه كان شجاعا قائما بأمر الجهاد، انظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تح. شعيب الأرنؤوط وأكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م، 412/3-416؛ ابن خلدون(عبد الرحمن، ت.808هـ-1405م)، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح. خليل شحادة، ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، 571/2.

[42] - لطيفة بكاي المرجع السابق، ص. 13؛ Djait (H.), **grand discours**, Paris, 1989 , pp. 104-106

[43] - الطبري، المصدر السابق، 277/3.

[44] - لطيفة البكاي، المرجع السابق، ص.14.

الأراضي بالجزيرة العربية، أي تدعيم مركز مجموعة من أهل السابقة على مجموعة أخرى لا يملك أفرادها أراض.

تقليد الخليفة عثمان بن عفان رؤساء القبائل مناصب إدارية وسياسية ومنحهم القيادات العسكرية، التي مكنت قبيلة قريش من البروز شيئا فشيئا، فزاد تدفق الروادف إلى الكوفة في تدعيم هذه الأطراف القبلية مدعمين بذلك سلطة الرؤساء.

ارتبطت الظاهرة القرآنية بانتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية نتيجة الفتوحات الإسلامية وما تبعها من انتقال الصحابة واهتمامهم بالقرآن الكريم تلاوة وحفظا وتفسيرا كعبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري، فانتشر بهم، وارتفع عدد القراء. وزادت مكانتهم لتكثيف نشاطهم في الكوفة، واتسع اهتمامهم بالحياة السياسية فأصبحوا يكونون مجموعة متميزة ذات مضمون سياسي[45]، ويرى المؤرخ هشام جعيط حسب لطيفة البكاي أنّ "اختراق القرآن لبُنى الفكر الدّيني وللحركة السياسية هو الذي مكّن "القراء" الذين صاروا على علاقة متينة مع النصّ القرآني وبالتالي مع الله من تجاوز الدولة باعتبار إمتلاكهم للمرجعية الأولى والأساسية وهي القرآن الذي يفوق كل المرجعيات الأخرى"[46].

إبعاد عثمان للقيادين من القراء عن الكوفة لإخماد الثورة ، فاستغل الباقون خروج الوالي سعيد بن العاص من مصر فتحرك القراء من جديد، ومنعوا الوالي من دخول المدينة واستبدلوه بأبي موسى الأشعري. ورغم تجاوزهم لسلطة الخليفة إلاّ أنّ عثمان بن عفان لم يعترضهم ويبدو أن هذه الحركة التي قام بها القراء تكتسي أهمية كبرى حيث أن المشاركين في الحركة بلغ عددهم 30 رجلا من بين هؤلاء سبعة[47] صاروا خوارج فيما بعد، ويوحي ذلك إلى علاقة هذه الحركة بالقراء[48].

أما المدينة المنورة فقد احتج أبي ذر الغفاري على ظاهرة تهافت بعض المسلمين على جمع الثروة وتكديس الأموال، مما أدى إلى ظهور فوارق إجتماعية في خلافة عثمان، مما أدى للخليفة بنفي أبي ذر خارج المدينة، لكن موجة الاحتجاج لم تنقطع وكان أبرز زعمائها عمار

---

[45] – لطيفة البكاي، المرجع السابق، هـ.2، ص.16.

[46] – نفس المرجع، ص.15 نقلا عن: Djait(H.), «al-Kufa» , **l'Encyclopédie de l'Islam**, Nouvelle édition, 1986, T.V, p.350.

[47] – وهم: زيد بن حصين الطائي، وشريح بن أوفى العبسي، وعبد الله بم شجرة السلمي، وحمزة بن سنان الأسدي، وحرقوص بن زهير السعدي، ويزيد بن قيس الأرحبي، وعبد الله بن الكوّاء اليشكري.

[48] – لطيفة البكاي، المرجع السابق، ص.17.

بن ياسر وعبد الله بن مسعود، كما شملت المعارضة كبار الصحابة من أمثال علي ابن أبي طالب والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم[49].

ومن العوامل الأساسية في حركة الخوارج: سياسة الإقصاء التي انتهجها الخليفة عثمان واعتماده على بني أمية. فكان للمعارضة صدى قويا مما جعل قدوم الثوار من مختلف الأمصار الإسلامية إلى المدينة سنة 35هـ-655م وحصارهم للخليفة عثمان ثم قتله. أما الأمصار الأخرى فالمصادر لم تذكر معلومات كثيرة تتعلق بثورة المسلمين على الخليفة عثمان ومشاركة المعارضين لسياسة عثمان في الفتنة إلى جانب علي[50].

ثانيا-ظهور مذهب الخوارج ببلاد المغرب وانتشاره:

1-تعريف الخوارج ومبادئهم:

ذكر أبو الحسن الأشعري أن الخوارج "أجمعت على إكفار علي بن أبي طالب-رضوان الله عليه-أن حكَّم، وهم مختلفون: هل كفرة شرك أم لا؟"[51]. أما الشهرستاني فقال أن الخوارج:"كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الخلفاء الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان"[52]، لذلك الذين خرجوا عن الخليفة علي رضي الله تعالى في موقعة النهروان سموا بالخوارج عند بعض المتقدمين والعديد من المتأخرين، أذكر من بينهم عبد القاهر البغدادي(ت.429هـ-1038م)[53] وأبا الحسن الأشعري[54] وموسى لقبال[55] محمود إسماعيل[56]

---

[49] – لطيفة البكاي، المرجع السابق.

[50] – لطيفة البكاي، المرجع السابق، ص.19.

[51] – الأشعري (أبو الحسن بن علي بن إسماعيل، ت.324هـ-936م)، **مقالات الإسلاميين**، ط.2، تح. محي الدين عبد الحميد، 1985م، 167/1.

[52] – الشهرستاني(أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد، ت.548هـ-1153م)، **الملل والنحل**، ط.6، تح. أمير علي مهنا وعلي حسن فاغور، دار المعرفة، بيروت، 1997م، 132/1.

[53] – البغدادي(عبد القادر بن طاهر بن محمد المعروف بالاسفرائيني، ت.429هـ- 1037م)، **الفرق بين الفرق**، ط.2، تح. محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1993م، ص.24.

[54] – الأشعري، المصدر السابق، 167/1 وما بعدها.

[55] – **المغرب الإسلامي**، ص.148 وما بعدها.

[56] – **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الرؤية، دار البيضاء، مصر، 2010م، ص.7 وما بعدها؛ **الحركات السرية في الإسلام**، ص.24 وما بعدها، وانظر أيضا: Alfred (B.), **La religion Musulmane en Berbéri**e, Esquisse d'histoire et de Sociologie religieuses, T.1,

وسلمى محمود إسماعيل[57]، ومما ذكره الباحث محمد حسن أنهم: "سموا بالخوارج بسبب خروجهم على علي رضي الله عنه وانتقالهم من الكوفة إلى النهروان، وأمّا القول إنهم سموا بذلك لخروجهم عن الأمة، فيبدوا أنه جاء متأخرا إذ أن عليا لم ينعت الخوارج بالكفر والمروق، ولما سئل عنهم، أجاب: "من الشرك فرّوا"[58].

وعُرفت الخوارج بعدة أسماء فقد ذكر البغدادي على أنها عشرين فرقة أشهرها: الأزارقة التي تنسب إلى نافع بن الأزرق الحنفي فقد بادت ولم تبق أثارها المذهبية[59]، وتليها في الشدة النجدات وتنسب إلى نجدة بن عامر الحنفي، ثم الصفرية التي تنسب إلى زياد بن الأصفر، وقيل إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وقد انقرضت أيضا. خالفت الصفرية الأزارقة والنجدات والإباضية[60] في قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم، إذا كانوا على نفس الدين والاعتقاد، واتفقوا على أنّ أصحاب الذنوب مشركون، وأنّ الأعمال التي يقع فيها الحد يتسمى صاحبها باسمها كالزاني، والسارق والقاذف وقاتل العمد، وليس صاحبها كافرا ولا مشركا، أمّا الأعمال التي ليس فيها حد كالصلاة والصوم فصاحبها كافر ومن أقوال زعيمهم الشرك شركان: شرك طاعة الشيطان وشرك عبادة الأوثان، والكفر كفران: كفر بالنعمة وكفر بإنكار الربوبية، والبراءة براءتان: براءة من أحد الحدود سنّة، وبراءة من أحد الحدود فريضة، وظهرت أفكارهم في المغرب بواسطة دعاتهم، عكرمة مولى بن عباس، وعبد الأعلى ابن جريح، وسلمة بن سعيد الحضرمي في أوائل القرن الثاني الهجري[61].

Etablissement et développement de l'Islam en Berbérie du VII^e au XX^e siècle, librairie orientaliste, Pris, 1938, p.137.

[57] – سلمى محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص.117 وما بعدها.

[58] – محمد حسن، المرجع السابق، ص.285.

[59] – موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، ص.152.

[60] – ابن الصغير(كان حيا ق. 3هـ-9م): **أخبار الأئمة الرستميين**، تح. محمد ناصر وبحاز إبراهيم، دار الغرب الإسلامي، 1986م، هـ.1، ص.28؛ موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، ص.166-167؛ وانظر أيضا: Lewicki (T.), «Ibadiyya» dans **E.I, T.III.**

[61] – الشهرستاني، المصدر السابق، 159/1-160؛ البغدادي، **الفرق بين الفرق**، ص.90 وما بعدها؛ أبو زكريا (يحي بن أبي بكر ت.471هـ-1078م)، **كتاب السيّر الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا**، ط.3، تح. إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص.153؛ موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، ص. 152، 158.

ومن الخرجية التي وصلت إلى بلاد المغرب الخوارج الإباضية التي ظهرت في النصف الثاني من القرن الأوّل للهجرة في مدينة البصرة "التي كانت مركز التنظيم الخارجي الإباضي"[62] على يد الصحابي الجليل جابر بن زيد(18-93هـ/639-712م)، ومنها تفشى مذهبه مشرقا ومغربا. أخذ علمه عن ابن عباس، وعائشة أم المؤمنين وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنهم، وعنه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة[63] ثاني فقهاء المذهب، وعن الأخير أخذ أبو الخطاب عبد الأعلى المعافري وعبد الرحمن بن رستم[64]. يرى الإباضية أنّ مخالفيهم كفار غير مشركين، فمناكحتهم جائزة ومواريثهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال، ودعوة الإسلام تجمعهم وقتلهم غير جائز إلاّ بعد إقامة الحجة عليهم، ودارهم دار توحيد إلا معسكر السلطان، وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم وقالوا في مرتكبي الكبائر أنهم موحدون لا مؤمنون[65].

2-مبادئ الخوارج

أ - تكفير علي وعثمان ومعاوية والحكمين وأصحاب الجمل ومن رضي بالتحكيم وصوّب الحكمين أو أحدهما.

ب - الخلافة بالإختيار لا بالتوريث ليست خاصة بقريش.

---

[62] - محمود إسماعيل، **الحركات السرية في الإسلام**، ص.37.

[63] - عثر محمود إسماعيل على وثيقة وحيدة وهي عبارة عن رسالة مخطوطة ضمن مجموعة من الفتاوي الفقهية بدار الكتب المصرية تحتوي على معلومات مفصلة عن أسرار الدعوة السرية، انظر: محمود إسماعيل، **الحركات السرية في الإسلام**، ص.34.

[64] - عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن مسرى، ولد بالعراق في العقد الأوّل من القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد، يَنسبه البعض إلى أكاسرة ملوك الفرس، فهم أجداده، والبعض ينسبونه إلى اللذارقة ملوك الأندلس، سافر مع أبيه وأمه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، توفي أبوه هناك و تزوجت أمه برجل مغربي، فسافر بهما إلى القيروان، نشأ عبد الرحمن بالقيروان وتعلم مبادئ العلوم، فصادف الدعوة الإباضية هناك، ثم سافر إلى المشرق للاستزادة من تعاليم الإباضية سنة 135هـ-752م، ثم عُيّن واليا على القيروان وقاضيا في دولة أبي الخطاب (140-145هـ/757-762م) بعدها عُقدت له الإمامة (161-162هـ/778-779م) بعد وفاة أبي الخطاب وتوفي سنة 171هـ-787م، انظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص.28 وما بعدها؛ أبو زكريا، المصدر السابق، ص.54 وما بعدها؛ الدرجيني(أبو العباس أحمد بن سعيد، ت.670هـ-1271م)، **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح. إبراهيم طلاي، الجزائر، 1974م، 1/81-82؛ الشماخي(أبو العباس أحمد بن سعيد، ت.928هـ-1522م)، **كتاب السيّر، الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن 5هـ/9م**، تح. محمد حسن، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1995م، ص.42-43؛ بحاز إبراهيم بن بكير وآخرون، **معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر**، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص.247-248.

[65] - الشهرستاني، المصدر السابق، 1/104-106.

ج – الخروج على السلطان الجائر.

د – تكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار بكفر النعمة لا بكفر الملة.

هـ – تكفير مخالفيهم.

و – انكار الشفاعة يوم القيامة.

ثالثا– إمارات الخوارج ببلاد المغرب

ظهر المذهب الخارجي وانتشر ببلاد المغرب بعاملين أساسيين أولهما: التطور السياسي الذي حدث للخوارج في المشرق الإسلامي أواخر القرن الأول الهجري بعد فشل ثوراتهم واضطرارهم إلى اتباع أسلوب الدعوة والتنظيم السري السياسي، واختيار مناطق من العالم الإسلامي ليكون ميدانا لنشاطهم بعدما تعرضوا للمطاردة والإظطهاد. ثانيها: ملاءمة الأحوال السياسية والإجتماعية في بلاد المغرب في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني للهجرة لتقبل هذا المذهب[66]. ولا يمكن تحديد تاريخ بداية دعوة الخوارج بالمغرب بسبب تضارب الروايات واختلاطها.

إلاّ أنّ بعض الدراسات تقول أنّ الصفرية والإباضية نسّقوا فيما بينهم فدخل دعاتهم إلى بلاد المغرب نذكر منهم الداعيين "عكرمة مولى ابن عباس" (ت.105هـ–723م) و"سلمة بن سعيد" اللذان وصلا إلى إفريقية على ظهر بعير واحد. فالأوّل كان يدعو إلى المذهب الصفري والثاني إلى المذهب الإباضي ونسقا فيما بينهما أيضا في تحديد مناطق نفوذ كل منهما، فاختص الإباضية بإفريقية والمغرب الأوسط بينما كان نشاط الصفرية بالمغرب الأقصى[67]. ومن خلال ما سبق ذكره فماهي عوامل والأسباب الناجمة في ظهور الثورات في بلاد المغرب؟ وكيف انتشرت هذه المذاهب في هذه المنطقة؟ وماهي الإمارات الخارجية التي نتجت عن هذه ثوات في بلاد المغرب؟.

أولا: إمارة برغواطة[68] (الصفرية) بتامسنا (تامسنى)

---

[66] – محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب**، ص.34.

[67] – سلمى محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص.119.

[68] – البكري(أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، ت.487هـ–1094م)، **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، وهو جزء من المسالك والممالك**، نشره البارون دوسلان، الجزائر،1957م ، ص.134–135؛ وهي قبيلة يقال لها بَلَغْواطة بلام مفتوحة وإسكان الغين، والعامة تقول برغْواطة بالراء والصحيح بلغواطة، انظر: ابن دحية(ذو النسبين أبي الخطاب عمر بن حسن، ت.633هـ/1236م)، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تح. إبراهيم الأبياي وغيره، راجعه طه حسين، دار العلم للجميع، بيروت، 1955م، ص.88–89.

انتشر المذهب الصفري في بلاد المغرب بواسطة الداعي عكرمة مولى ابن عباس الذي اتخذ القيروان مركزا لنشر دعوته فاتخذ مسجدا له فكوّن أتباعا وأرسل بعضهم للبصرة ليتلقوا المذهب، ومن البلاد المغرب أخذ عنه ميسرة المطغري(122هـ-740م) زعيم قبيلة مطغرة[69] الملقب بأمير المؤمنين وهو أوّل لقب في تاريخ المغرب. تلقى العلم على يد عكرمة مولى ابن عباس بالقيروان متخفيا، واشتغل بالسقاية بسوقها لكي لا ينكشف أمره ووصفته بعض المصادر بالسقاء وبالحقير وبالفقير وبالحسن أحيانا وب"طريف بن ملوك" زعيم قبيلة برغواطة، وانتشر المذهب أيضا في بعض قبائل زناتة. أما الأفارقة فأخذوا المذهب عن "عبد الأعلى بن جريح" الذي اتصل بعكرمة بالقيروان، وانتشر بين عناصر السودان بواسطة زعيم قبيلة مكناسة أبو القاسم سمكو بن واسول المكناسي الصفري (155-168هـ/772-784م) [70]. أما في إمارة نكور فقد انتشر بواسطة داود الرُندي الأندلسي لفترة من الزمن[71]، فهؤلاء الدعاة استقطبوا عدّة قبائل بربرية ناقمة على الولاة الذين أساءوا معاملة البربر وأثقلوا كاهلهم بضرائب غير شرعية. فتبنت هذه القبائل مبادئ الخوارج الداعية إلى المساواة بين المسلمين وفي أحقية إمامة كل مسلم دون اعتبار للعنصر أو اللون ومقاومة الظلم، فتمرّدت على ولاة القيروان في مناسبات عديدة وتحولت إلى ثورة وعصيان ضد الخلافة الأموية والعباسية فيما بعد ممّا أدى إلى ظهور إمارتين مستقلتين وهما: إمارة برغواطة سنة 122هـ-739م وإمارة بني مدرار سنة 140هـ-757م.

عمّرت إمارة برغواطة مدة زمنية طويلة كدولة مستقلة عن الخلافة الأموية في المغرب الأقصى. وقد تأسست بعد ثورة ميسرة المطغري الذي تزعم وفدا من البربر ورحل به إلى الخليفة هشام بن عبد الملك(105-125هـ/723-743م) يشتكيه جور عماله، المتمثل في حرمانهم من غنائم الحروب التي خاضوها مع ابن الحبحاب، ونهب أموالهم وسبي بناتهم. ومن مبادئ الخوارج الصفرية "الثورة على أئمة الجور"، وكان القصد من السفر معرفة "أعن رأي أمير المؤمنين هذا أم لا". لم يُسمح لميسرة ومن معه لقاء الخليفة فقرروا القيام بثورة ضد ولاته.

---

[69] – لقب بأمير المؤمنين وهو أول لقب في تاريخ المغرب، تلقى العلم على يد عكرمة مولى ابن عباس بالقيروان متخفيا حيث اشتغل بالسياقة في سوقها لكي لا يكشف أمره، وصفته بعض المصادر بالسقاء وبالحقير وبالفقير وبالحسن أحيانا، انظر: أبو زكريا، المصدر السابق، ص.153؛ لقبال موسى، **المغرب الإسلامي**، ص.83، 158، **الخوارج في بلاد المغرب**، ص. 75؛ سلمى محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص.120.

[70] – أبو زكريا، المصدر السابق، ص. 153؛ موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، ص.158.

[71] – سلمى محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص. 120.

فبايعت الصفرية ميسرة وزحفوا إلى طنجة فقتلوا عمر بن عبد الله المرادي عاملها وعُيّن عبد الأعلى بن جريح وليا عليها، ثم دخلوا سوس وقتلوا إسماعيل بن عبيد الله الحبحاب. كما قتل ميسرة فتفرق أصحابه في بلاد المغرب ولجأ طريف إلى قبيلة برغواطة واحتل منطقة تامسنا (تامَسْنَى) فأصبح رئيسهما ودعا لنفسه وشرّع للبربر شرائع وبقيت إلى وفاته. وتواصل الحكم في نسله حتى ابنه صالح الذي ادعى النبوة كما ادعى أن القرآن نزل عليه[72]. ولجأ فريق آخر إلى الصحراء وعمل على نشر الدعوة الصفرية بين البتر في منطقة نفزاوة، وتعتبر ورفجومة إحدى قبائل نفزة الصفرية وتمكن هذا الفريق من السيطرة على القيروان بقيادة عاصم بن جميل لفترة وطرد وليها حبيب بن عبد الرحمن وقتل نائبه، فأصبحت القيروان تحت قبضة زعماء الصفرية وهما عاصم وعبد الملك بن أبي الجعد اليفرني وبقتل حبيب بن عبد الرحمن سنة 140هـ-757م انتهى حكم أسرة الفهريين بإفريقية[73].

واستمرت دولة برغواطة إلى عهد الموحدين، وتعددت الأراء في المصادر والدراسات الحديثة حول مذهب البرغواطيين. فمنهم من قال أنهم مسلمين كابن حوقل الذي زار بلاد المغرب ودخل إقليم "تامسنا" أو "تامسنى" وشاهدهم يقرؤون القرآن ويجوِدُونه[74]، وقال البكري عن طريف أنه كان على:" ديانة الإسلام إلى أن هلك هناك" إلا أنه عند ذكر ابنه صالح قال أنه" من أهل العلم والخير فتنبأ فيهم وشرّع لهم الديانة التي هم عليها إلى اليوم" أما القاضي عياض وصفهم ب"الكفرة" وذلك أثناء محاربة عبد الله بن ياسين لبرغواطة[75]، كمت وصفهم ابن أبي زرع في كتاب "الأنيس المطرب" بأنهم "المجوس" و"الكفرة برغواطة"، وأهل ضلال وكفر وديانتهم خسيسة وغيرها من الأوصاف[76] وذكر أيضا أنهم أسلموا بعد مقتل عبد الله بن ياسين ومحاربة

---

[72] – كانت تتلى عليه السور ويسميها "سورة الديك، سورة الجمل، سورة الفيل، سورة آدام..."، انظر: ابن عذارى، المصدر السابق، 223/1-237؛ ابن خلدون، المصدر السابق، 276/6.

[73] – ابن عذارى، المصدر السابق، 70/1.

[74] – ابن حوقل(أبو القاسم محمد النصيبي، ت. بعد 367هـ -977م)، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م، ص.82-83.

[75] – القاضي عياض(عياض بن موسى بن عياض السبتي، ت.544هـ-1149م)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ط.2، تح. سعيد أعراب وزارة الشؤون الدينية، المغرب، 1983، 183/8؛ ابن خلدون، المصدر السابق، 279/6.

[76] – ابن أبي زرع(أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، كان حيا 724هـ-1324م)، **الأنيس المطرب في روض القرطاس**، منشورات دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص. 110، 119، 129.

أبي بكر بن عمر اللمتوني لهم قائلا: "أسلموا إسلاما جديدا ولم يبق لديانتهم الخسيسة أثر"[77]، ويلاحظ أن برغواطة تغيرت ديانتها في عهد صالح بن طريف فاعتنقوا الإسلام الصحيح في عهد أبي بكر اللمتوني المرابطي.

ثانيا: إمارة بني مدرار(الصفرية) بسجلماسة (140-347هـ/757-957م)

أشار ابن عذارى المراكشي وبعض الدراسات إلى الثورات التي سبقت قيام إمارة بني مدرار[78] منها فطلب ابن الحبحاب بعودة الجيش من صقلية لنجدة خالد بن حبيب، فانسحب ميسرة المطغري إلى طنجة فاتهمه أتباعه بالخوف والانحراف فقتلوه سنة 124هـ-742م، ثم بايعوا خالد بن حميد الزناتي إماما فاستطاع أن يهزم خالدا بن حبيب ويقتله بمعية عدد كبير من فرسان العرب في "معركة الأشراف" التي دارت بينهما قرب طنجة[79]. ثم انتشرت الصفرية في المغرب الأقصى وشقوا عصا الطاعة عن والي إفريقية بالقيروان وعن الخلافة المركزية في المشرق، فغضب الخليفة ممّا آلى إليه الوضع وقال:"لأغضبن للعرب غضبة وأسير جيشا يكون أوله عندهم وأخره عندي" ثم عيّن كلثوم بن عياض القشيري واليا على المغرب سنة 124هـ-742م ودارت معركة بين قوات كلثوم بن عياض وقوات خالد الزناتي الصفرية قرب نهر السبو فانهزم العرب وقتل كلثوم[80].

وفي سنة 125هـ-743م عيّن الخليفة هشام عبد الملك حنضلة بن صفوان واليا على المغرب فانهزم جيشه في أول لقاء أمام الصفرية ثم جند كل من في القيروان من نساء وفقهاء والعامة. ووزّع السلاح والأموال على الجند وأيقظ روح الإستماتة في القتال حتى النصر أو الشهادة وبهذه التعبئة النفسية انهزمت الصفرية في منطقة الأصنام وتتبعوا فلولهم حتى منطقة جلولاء، ونقل عن الليث بن سعد قوله:"ما من غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب إلي من غزوة القرن والأصنام[81].

---

[77] – نفس المصدر، ص.133.

[78] – ابن عذارى، المصدر السابق، 51/1 وما بعدها، وانظر أيضا: موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، ص.105 وما بعدها؛ محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب**، ص.103 وما بعدها.

[79] – محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب**، ص.159؛ ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، ت.257-871م)، **فتوح مصر**، تح. عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2001م، ص.294.

[80] – ابن الأثير(محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ت.630هـ-1232م)، **الكامل في التاريخ**، تح. محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت،1987م، 457/4.

[81] – ابن عذارى، المصدر السابق،64/1.

ولما تفرق الصفرية اختار الداعي أبو القاسم سمكو بن واسول المكناسي الصفري المناطق الصحراوية لنشر المذهب الصفري فرحل إلى إقليم تافلالت جنوب المغرب الأقصى سنة 138هـ-755م، وتظاهر بتربية قطعان من الماشية وعكف على بث المذهب في أوساط بعض قبائل من السودان وبعض بطون صنهاجة اللثام من مسوفة ولمتونة...[82] إلى أن أُعلن عن قيام إمارة بني مدرار سنة 140هـ-757م في سجلماسة على وادي ملوية ففي البداية بويع عيسى بن يزيد الأسود على رأس الإمارة[83] وأصبح غالبية قبيلة مكناسة على المذهب الصفري[84]، وبقي في الحكم خمس عشر سنة لكن اتّهمته الصفرية فيما بعد بالانحراف عن المذهب فقتلوه وأمَّروا عليهم **أبا القاسم سمكوا بن واسول**[85]، فعمل على توطيد أركان الدولة تجنبا من مواجهة ولاة العباسيين بإفريقية، وتوارث حكم الإمارة من بعده في أعقابه.

ونظرا لأهمية موقع سجلماسة "موسطة الصحراء" وفي موضع التقاء فرعي نهر ملوية[86] وعلى طريق تجارة الرقيق والذهب مع بلاد السودان الغربي، شهدت هذه الإمارة ازدهارا اقتصاديا في عهد اليسع بن أبي القاسم الملقب بأبي المنصور (174-208هـ/790-823م)، فجدد بناء المدينة واختط بها المصانع والقصور، وسيطر على الواحات موسّعا بذلك نفوذ الإمارة إلى منطقة درعة من جنوب المغرب الأقصى فأخذ خمس معادنها. كما سعى إلى إرساء علاقات ودية مع الرستميين عن طريق المصاهرة[87]. فتزوج مدرار بن اليسع(208-221هـ/723-736م) بنت عبد الرحمن بن رستم سنة 208هـ-823م. ولما أراد الخليفة المنتصر مدرار بن يسع تولية ابن الرستمية-ميمون- الحكم أدى إلى غضب الفقهاء فاختاروا ابنه الثاني من زوجته الثانية الذي يدعى ميمون أيضا، فنشأ صراع بين الأخوين لمدة ثلاثة سنوات وفي الأخير خلع ميمون نفسه وعيّن ابن الرستمية إماما، لكن شيوخ الصفرية ثاروا عليه وخلعوه وعيّن أخاه سنة 224-263هـ/838-872م، فاستقر الوضع واضطهد الإباضيون وطردوا من

---

[82] – فرع من البربر يسكنون الصحراء التي بين بلاد المغرب وبلاد السودان، تقوم حياتهم على الترحال وعرفوا بحمل اللثام ومن أشهر قبائلهم: لمتونة وجدالة ومسوفة.

[83] – ابن عذارى، المصدر السابق، 156/1.

[84] – نفس المصدر، 172/6.

[85] – نفس المصدر، 156/1.

[86] – المراكشي(أبو محمد، عبد الواحد بن علي المراكشي، ت.647هـ-1249م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م، ص.256؛ ابن خلدون، المصدر السابق، 173/6.

[87] – ابن خلدون، المصدر السابق، 173/1.

سجلماسة[88]. وبعد وفاة ابن الرستمية أصبحت ولاية العهد لابنه محمد الملقب باليسع تيمنا بجده الأوّل فاتخذ لقب ب"المنتصر" ففي عهده شهدت سجلماسة إستقرارا وقوة فتطلع هذا الأخير إلى حملة ضد الأدارسة لضم من بها من الخوارج الصفرية لكن الفاطميين استولوا عليها فسقطت الإمارة على يد أبي عبد الله الشيعي سنة(296هـ-909م)[89] ولما غادرت الشيعة الإمارة أعاد المدراريون بناء دولتهم واستمرت إلى سنة 347هـ-958م فأسقطها الفاطميون مرة ثانية على يد جوهر الصقلي[90].

ثالثا: إمارة بني رستم (الإباضية) بتاهرت (162-296هـ/779-909م)

تأخر ظهور المذهب الإباضي في بلاد المغرب مقارنة بالمذهب الصفري، لكنه انتشر بين قبائله خاصة في نفوسة وهوارة، فالاضطرابات والصراعات التي شهدتها إفريقية بين قادة جند العرب الذي أدى إلى سقوط حاضرة القيروان بأيدي الخوارج الصفرية من قبيلة "ورفجومة" البربرية الذين أساءوا السيرة فيها، قام أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري(140-144هـ/754-761م) الإباضي بطرابلس ونواحيها بنجدة الحاضرة فطرد الورفجوميين منها وولى عليها عبد الرحمان بن رستم(160-170هـ/777-788م) ثم عاد إلى طرابلس لمواجهة جيش محمد بن الأشعث(141هـ-758م) [91] والي العباسيين على مصر، ولما علم عبد الرحمن بن رستم بتقدم ابن الأشعث. نحو القيروان بعد هزيمة الإباضيين ومقتل أبي الخطاب فرَّ إلى تاهرت[92]، فأسس بعد ذلك أوّل إمارة مستقلة بالمغرب الأوسط عن الخلافة العباسية. فاجتمعت

---

[88] – نفس المصدر، 172/1.

[89] – ابن عذارى، المصدر السابق، 157/1، ابن خلدون، المصدر السابق، 47/4، 173/6.

[90] – سقوط بني مدرار على يد جوهر الصقلي

[91] – هو محمد بن الأشعث بن عقبة بن أهبان الخزاعي، أمير مصر ووليها من قبل الخليفة أبو جعفر المنصور(136-158هـ/754-775م) بعد موسى بن كعب التميمي، ولاّه أبو جعفر على الخراج والصلاة معًا، دخل المغرب على رأس جيش، عزل عن مصر، ثم وجه المنصور الأشعث مع ابنه إلى غزو الروم، فمرض أثناء طريقه وتوفي هناك، وكانت ولايته على مصر سنة واحدة، انظر: ابن تغري بردي(جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي، ت.874هـ-1470م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، قدّمه وعلّق عليه، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص.438 وما بعدها.

[92] – اختلف المؤرخون الإباضيون فيما بينهم، في مسألة بناء مدينة تاهرت إذا كان قبل مبايعة عبد الرحمن بن رستم أم بعد ذلك، فذهب كل من ابن الصغير إلى أن بناءها كان قبل مبايعته، انظر: نفس المصدر، ص29-30؛ وأبو زكريا، المصدر السابق، ص81-82؛ والشماخي، المصدر السابق، ص44-45؛ والبكري، المصدر السابق، ص.68؛ أمّا سعد زغلول فقد

الإباضية إلى عبد الرحمن بن رستم واتفقوا على إمامته. فبنوا مدينة تاهرت التي وصفها اليعقوبي حين زارها ب"عراق المغرب"[93] لتعدد المذاهب بها. ووصفها المقدسي ب "بلخ المغرب" وذكر أنّ "فيها أخلاط من الناس"[94]، فكان يقطنها عدد من القبائل منها: لماية وسدراتة ومزاتة وزناتة ولواتة ومكناسة وغمارة وازداجة وهوارة ونفوسة[95].

بايعت القبائل عبد الرحمن بن رستم لفضله ولإتباعه كتاب الله وسنة رسوله(ﷺ) وأثر الصحابة الراشدين–رضوان الله عليهم– كما أنّه من حملة العلم الخمسة ولنسبه الفارسي إذ لا قبيلة له من قبائل البربر أو عشيرة تحميه إذا تغيّر أو تبدل من طريق العدل[96]، وكان قد قُدّم للإمامة سابقا بإفريقية على أبي الخطاب فامتنع[97]، ويعتبر أوّل إمام مرحلة الظهور بالمغرب الأوسط[98].

بدأت وفود من القبائل المجاورة تحط رحالها في تاهرت، لِمَا وجدته عند الإمام عبد الرحمن من تسامح وتعايش سلمي، فقد:"انتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب"[99]. وكانت الوفود والرّفاق تصل إليها من كل الأمصار وأقاصي الأقطار فكان:"ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلاّ

ذكر أنّ عبد الرحمن لم يكن يفكر في بناء المدينة الجديدة، وذلك لمحاولته الفاشلة سنة 151هـ–768م الذي اشترك فيها مع بقية الخوارج من إباضية وصفرية، في حصار عمر بن حفص في طبنة، وانتهى بانهزامهم فعاد إلى تاهرت، انظر: المرجع السابق، 290/2–291؛ وذهب ابن عذارى إلى أنّ المقصود بتاهرت هو المدينة القديمة، أما تاهرت الحديثة فقد بنيت بين (160– 162هـ/776–778م)، انظر: المصدر السابق، 196/1، وهذا الرأي يتفق فيه المؤرخون الإباضيون في تاريخ اختطاط المدينة كان في سنة 161هـ–777م؛ أمّا ابن خلدون فيقول أنّ اختطاط المدينة كان في سنة 144هـ–762م، المصدر السابق، 147/6.

[93] – اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، ت.284هـ–898م)، **البلدان**، دار إحياء التراث العربي، تح. محمد الحاج صادق، دمشق، 1968م، ص.109.

[94] – المقدسي(شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالبشاري، ت.387هـ–997م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تح. محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987م، ص.189.

[95] – أبو زكريا، المصدر السابق، ص.20.

[96] – ابن الصغير، المصدر السابق، ص.31؛ الشماخي، المصدر السابق، ص.44–45.

[97] – أبو زكريا، المصدر السابق، ص.82–83؛ محمد حسن، المرجع السابق، ص.323.

[98] – اعتبر أبو الخطاب أول إمام الظهور في المغرب حيث"عقدوا بإمامة الظهور سنة 140هـ"، انظر: بحاز إبراهيم وآخرون، **معجم أعلام الإباضية**، ص.142؛ ويعتبر عبد الرحمن بن رستم أول إمام الظهور في الدولة الرستمية، انظر: بحاز إبراهيم، **الدولة الرستمية**، ص.192.

[99] – المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص.189؛ أبو زكريا، المصدر السابق، ص.84.

استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله..." [100].

ولم تقتصر الهجرة إلى المغرب الأوسط على القبائل البربرية فقد كان العنصر المشرقي حاضرا بالمجتمع التاهرتي حتى أنّه لا ترى دارًا إلاّ قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين[101] ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين[102]، وهذا مسجد الكوفيين[103]. ومن بين المذاهب التي شهدها المجتمع التاهرتي المعتزلة أو الواصلية[104].

واتسمت الدولة الرستمية بالإستقرار داخيا من الناحيتين السياسية والمذهبية في عهد عبد الرحمن بن رستم، أمّا خارجيا فقد ربط علاقات ودية مع والي إفريقية روح بن حاتم(171-

---

[100] – ابن الصغير، المصدر السابق، ص.36.

[101] – القرويون نسبة إلى القيروان بالمغرب الأدنى وإلى عدوة القرويين بفاس بالمغرب الأقصى التي هاجر إليها القيرونيون المالكيون من المغرب الأدنى.

[102] – البصريون: إذا كان نبوغ المذهب المالكي بالمدينة فيها تفجر ومنها انتشر...، واستقر ببلاد العراق بالبصرة فغلب عليها ابن مهدي والقعنبي وغيرهما، والمقصود بالقعنبي صاحب الرواية الشهيرة عن الموطأ الإمام مالك بن أنس، فإذا قلنا: البصريون فلا يكون القصد منه أصحاب المذهب الحنفي دون غيرهم، فقول القاضي عياض يؤكد وجود المالكية وبكثرة، انظر: القاضي عياض، المصدر السابق، 53/1؛ السيوطي، **تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك**، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، 11/1؛ عمر الجيدي، **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، منشورات عكاظ، الرباط، 1987م، ص.158.

[103] – الكوفيون: سموا بالكوفيين نسبة إلى مدينة الكوفة وهم من أتباع مذهب الإمام أبي حنيفة، ولاستقراره هناك وانتشار مذهبه في الكوفة، انظر: السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ط.2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م ص.80-81.

[104] – هي إحدى طوائف المعتزلة، أتباع أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال، وسمي بهذا الاسم لترده على سوق الغزالين. كان واصل من تلاميذ الحسن البصري ولخلاف بين هذا الأخير وبينه في مسألة القدر والمنزلة بين المنزلتين، طرده ومن اتبعه فاعتزلوا إلى سارية من سواري مسجد البصرة، فسموا بعد ذلك " بالمعتزلة"، وكان اعتزال هذه الفرقة يتمحور في:
أولا: نفي صفات الله تعالى من علم وقدرة، وإرادة، وحياة، حيث يعتبرون هذه الصفات قديمة، ومن أثبت هذه الصفات فقد أثبت في نظره وجود إلهين، لكن أتباعه بعده ردّوا هذا القول، ثانيا: القول بمنزلة بين المنزلتين أي بين الكفر والإيمان، فالفاسق مثلا لا كافر ولا مؤمن، ثالثا: قوله في علي بن أبي طالب وأتباعه كالحسن والحسين وابن عباس، وعمار بن ياسر...وكل من كان معه يوم الجمل وأصحابه: طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين ومن كان معهم يوم الجمل، أنّ فرقة من الفرقتين فاسقة لا بأعيانهم وأنه لا يعرف الفاسقة منهما، رابعا: القول بالقدر، أي أنّ الله تعالى حكيم عارف ولا يجوز أن يضاف إليه شرّ ولا ظلم، ويستحيل أن يريد من المكلفين خلاف، ما أمر به، ويحتم عليهم شيئا ثم يجاريهم عليه، انظر: البغدادي، **الفرق بين الفرق**، ص.117 وما بعدها؛ الشهرستاني، المصدر السابق، 59/1 وما بعدها.

174هـ/787-790م)[105]، وعلاقة مصاهرة مع اليسع بن أبي القاسم سمكو بن واسول[106]، وجعل الإمامة "شورى في سبعة نفر صنيع عمر بن الخطاب"[107]، وقبل وفاته بويع ابنه عبد الوهاب بالإمامة سنة171-208هـ/787-723م) وكان سببا في حدوث انشقاقا مذهبيا عند إباضية المغرب الأوسط بين "**الوهابية**"[108] أتباع عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم و"**النكارية**"[109] أتباع يزيد بن فندين الخارج عن إمامة عبد الوهاب بن رستم، فأظهروا إنكار إمامته، فسموا بالنكارية وبالنكاثية لنكثهم بيعة الإمام- إلاّ أنّه استطاع إخماد هذه الفتنة، واخضع كثير من المناطق إلى نفوذه حتّى بلغت إمارة الإباضية في عهده أقصى اتّساعها وشملت عدّة أقاليم من المغرب الأوسط وجنوب افريقية. وكانت فترة حكم ابنه "أفلح" 208-258هـ/823-873م من أزهى عهود الدولة لاتسامه بالاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي وتزايد العمران والتجارة مع السودان وسائر الأقطار الإسلامية[110].

ومن أسباب سقوط الدولة الرستمية المشاكل الداخلية التي حلت بالأسرة الرستمية في عهد الإمام الرابع أبي بكر بن أفلح(258-261هـ/872-875م)[111]، والمد الفاطمي الذي توسع نشاطه بافريقية ومدن الزاب والتفكك الأسري الذي شهدته الدولة الرستمية ومن مخلفاته تآمر دوسرا

---

[105] – دوّن التاريخ محاولة واحدة للأغالبة عندما نصبوا الراية العبّاسية على أراضي تاهرت من طرف محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب الذي أحدث في سنة(239هـ/853-854م) مدينة سماها العباسية فخربها أفلح بن عبد الوهاب الإباضي سنة (208-258هـ/823-871م)، ونشبت مرة أخرى نزاعات بين الإباضيين والأفارقة السنيين لم تتواجه الإمارتين ولم يشارك فيها الإمام الرستمي، انظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص.82؛ محمد الطالبي، **الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184-296هـ/800-909م**، ط.2، ترجمة المنجي الصيادي، تح. حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، 1985م، ص.399-400.

[106] – زوّج عبد الرحمن ابن رستم ابنته أروى لابن الإمام اليسع بن أبي القاسم سمكو بن واسول صاحب دولة بني مدرار الصفرية، ابن خلدون، المصدر السابق، 172/6؛ محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب**، ص.227.

[107] – الدرجيني، المصدر السابق، 46/1.

[108] – أتباع عبد الوهاب بن عبد الرحمن رستم.

[109] – وهم أتباع يزيد بن فندين الخارج عن إمامة عبد الوهاب بن رستم، فأظهروا إنكار إمامته، فسموا بالنكارية وبالنكاثية لنكثهم بيعة الإمام، انظر: أبو زكريا، المصدر السابق، ص.89 وما بعدها؛ الدرجيني، المصدر السابق، 51/1؛ الشماخي، المصدر السابق، ص.55؛ ابن خلدون، المصدر السابق، 52/1.

[110] – ابن الصغير، المصدر السابق، ص. 71.

[111] – لا وجود لترجمته في المصادر الإباضية ويرجع البعض السبب إلى فتنة ابن عرفة، وقد قيل أنه قاتل لابن عرفة، انظر: ابن الصغير، المصدر السابق، هـ.1، ص. 70، ابن عذارى، المصدر السابق، 197/1؛ جودت عبد الكريم، **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص.64.

مع أبي عبد الله الشيعي[112]. وبما أنّ المجتمع التاهرتي كان مزيجا من القبائل والأجناس والمذاهب، ولا يهمهم مصير الإمامة لأنها ليست من مبادئهم، كما أنهم لا يفكرون في المقاومة والتضحية من أجل المصلحة العامة. أما المنتمون إليها فقد ذهب خيرة الرجال في الفتن والثورات الداخلية ضد تحرشات مغراوة وبني يفرن الزناتية[113]. فهذه الاضطرابات التي شهدتها الدولة الرستمية صَعب عليها لم الشمل والدفاع عن كيانها ممّا أدى إلى سقوطها في يد الفاطميين في عهد اليقظان بن أبي اليقظان محمد بن أفلح(294-296هـ/907-909م) في سنة 296هـ-909م[114].

واستمر وجود الصفرية والإباضية بالمغرب الأدنى إلى عهد سحنون فلما تولى منصب القضاء بإفريقية، فض حلق المخالفين في مسجد الجامع الذي كان فيه حلقات للصفرية والإباضية ظاهرين لزيغهم، إذ كانوا أئمة على الناس في المساجد ومعلمين لصبيان ومؤذنين فعزلهم، وكان بذلك أول قاض من شرد أهل الأهواء بتفريقهم وتأديب جماعة منهم لمخالفتهم أمرهم[115].

---

[112] – تآمرت دوسر مع أبي عبد الله الشيعي لما اغتال أبو يوسف (281-294هـ/894-907م) على يد بنبي أخيه اليقظان، الذي أخذ الإمامة دون حق شرعي، ما جعل أبناء أخيه يسلكون طرقا ملتوية للثأر والانتقام منه، انظر: ابن عذارى، المصدر السابق، 199/1؛ الدرجيني، المصدر السابق، 94/1؛ أبو زكريا، المصدر السابق، ص.169؛ محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب**، ص.251، 286، وانظر أيضا: provençal (E.), art, « Rustumides » **dans Encyclopédie de l`islam**, T. III, p657-658.

[113] – موسى لقبال، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص.340؛ محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب**، ص.426 وما بعدها.

[114] – ابن عذاري، المصدر السابق، 199/1.

[115] – أبو العرب، **طبقات**، ص.102؛ القاضي عياض، المصدر السابق، 600/2.

المحاضرة الثالثة

المعتزلــة ببــلاد المـغرب

أولا: تعريف المعتزلة

تعتبر بعض المصادر أن المعتزلة هم أتباع أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال (ت.131هـ-748م)[116]، أحد تلاميذ الحسن البصري، ولخلاف بينهما في مسألة القضاء القدر والمنزلة بين المنزلتين، طرد واصل بن عطار الحسن البصري مع عمرو بن عُبيد (ت.144هـ-761م) [117] الذي انظم إليه فاعتزلا ومن اتبعهما إلى سارية من سواري مسجد البصرة، فسمي أتباعه بعد ذلك ب "الواصلية" أو"المعتزلة"[118] لاعتزالهم قول الأمة في مرتكبي الكبائر فقالت الخوارج كلهم كفار، وقالت المرجئة هم مؤمنون وقال الحسن البصري هم منافقون أما واصل ومن اتبعه فقالوا هم فساق وليسوا بمؤمنين ولا منافقين ولا كافرين أي المنزلة بين المنزلتين. ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية[119] والعدلية. وجعلوا لفظ القدرية مشتركا، وقالوا: لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى. علما بأن هناك روايات مختلفة في أسباب تسميتهم بالمعتزلة فالمسعودي يرى أن "قولهم بالمنزلة بين المنزلتين- وهو الأصل الرابع- فهو أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر، بل يسمى فاسقا،

---

[116] – وقد اختلف الناس في تلقيب واصل بالغزال، فمنهم من زعم أنه كان غزالاً، والأصح أنه لقب بذلك لأنه كان يكثر الجلوس في سوق الغزالين إلى أبي عبد الله مولى قطن الهلالي. ويذكرون أنه كان يلازم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء ممن يتردد عليهم، فيجعل صدقته لهن، انظر: ياقوت الحموي، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تح. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، 1993م، 2793/6؛ وجعل المرتضى واصل ابن عطاء وعمرو بن عبيد من الطبقة الرابعة، انظر: المصدر السابق، ص.28 وما بعدها؛ عبد السلام هارون، **نوادر المخطوطات**، دار الجيل، بيروت، 1991م، 131/1-132.

[117] –البغدادي، **الفرق بين الفرق**، ص.93.

[118] – أيدت المعتزلة بني العباس بصورة خاصة، ووصلت الى ذروتها في نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع الميلادي، كان يعتمد على العقل باستعمال المجادلة، وقد نشأ هذا الحزب مثله مثل الخوارج والشيعة.

[119] – ابن حزم، **الفصل في الملل والنحل**، 33/3، 77.

على حسب ما ورد التوقيف بتسميته"[120]، أما المرتضى المعتزلي فيرى أن المعتزلة هم الذين أطلقوا التسمية على أنفسهم لإعتزالهم كل الأقوال المحدثة[121].

ثانيا: نشأة المعتزلة بالمشرق

أول ظهور للمعتزلة كان في البصرة سنة 100هـ-718م[122]. ولم تكن فرقة سياسية أو نتيجة سياسية معينة مثل غيرها من الفرق الإسلامية كالخوارج والشيعة، فقد كانت تعتمد في تأويلاتها على العقل وبعد مرور الوقت دخلت في خضم السياسية فاستعان بعض أئمتها ببعض الخلفاء العباسيين كالمأمون الذي أعلن الإعتزال مذهبا رسميا للدولة سنة212هـ-827م والمعتصم فقد اعتنقا مذهب الإعتزال وأنزلا بخصومهم الكثيرة من الضرر والأذى والأسقام[123]. ويرى محمد طالبي أنها نشأت مثلها مثل الخوارج والشيعة، فلم يرد بعضهم اتخاذ موقف بين على وخصومه ففضلوا الإعتزال (الحياد والتقوى) فاصطلح على تسميتهم بالمعتزلة، وكانت عدوة لبني أمية والشيعة والخوارج أي ضد من ساهم في الفتنة الكبرى[124].

وظهرت كمذهب كلامي أو فرقة سياسية دينية في أوائل القرن الثاني الهجري/8م على يد واصل بن عطاء، لكن أبو زهرة يرى أنّ:"مذهب المعتزلة أقدم من "واصل" وإن كثيرين من آل البيت قد نهجوا مثل منهجه، كزيد بن علي الذي كان صديقا لواصل، وإنّ واصلا من أبرز الدعاة، فكان عند الكثيرين رأسه لأنه أبرز من دعا إليه"[125].

---

[120] – المسعودي(أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، ت.346هـ-957م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح. محمد محي الدين عبد الحفيظ، دار الفكر، بيروت، 1973م، 122/3.

[121] – ابن المرتضى (أحمد بن يحي، ت.840هـ-1437م)، **كتاب طبقات المعتزلة**، تح. سوسنة ديقلد-قِلزَر، بيروت 1961، ص.5؛ محمود إسماعيل، **الحركات السرية في الإسلام**، ص.127.

[122] نفس المرجع، ص.140.

[123] – نفس المرجع، ص.144-145.

[124] – محمد الطالبي، **الدولة الأغلبية**، ص.614؛ محمود إسماعيل، **الحركات السرية في الإسلام**، ص.128.

[125] – أبو زهرة محمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص.124؛ أما محمود إسماعيل يرى أنه ظهر في البصرة في سنة 100هـ، انظر: **الحركات السرية في الإسلام**، ص.127.

واختلفت أراء العلماء في تحديد زمن ظهور المعتزلة فيرجع القاضي عبد الجبار أصول المذهب أنّها ظهرت في عصر النبوة حيث يعتبر أنّ أبا بكر وعمر روادا للإعتزال[126]، أما البعض الآخر فيرى أنّها ظهرت في أصحاب علي رضي الله تعالى عنه، فقد اعتزلوا السياسة واهتموا بالعقائد عندما تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان "وهم سموا أنفسهم معتزلة، وذلك عندما بايع الحسن بن علي معاوية رضي الله عنهما، فاعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة"[127]، ويرجع البعض الآخر أصولها إلى الصحابي عبد الله بن مسعود(ت.32هـ-652م) القائل ب"القدرية" وتعني مسؤولية الإنسان عن أفعاله. وذلك لما اعتزل أحداث الفتنة الكبرى تأسيسا على موقف عقلاني معتدل، وإذا أخذنا بالرأيين الأخيرين فإنّ الاعتزال نشأ نشأة سياسة باتخاذ موقف معتدل ومستنير من أحداث الفتنة الكبرى[128]، ويستخلص مما سبق أن الصحابة رضوان الله عليهم جميعا هم الطبقة الأولى الذين ظهر عليهم الاعتزال حسب القاضي عبد الجبار[129].

ثالثا: أصول المعتزلة

ومهما اختلفت الأراء حول ظهور المعتزلة إلا أن واصل بن عطاء هو الذي أسس الدعوة السرية في البصرة ومنها أرسل الدعاة إلى خرسان واليمن والجزيرة والكوفة وأرمينية والشام والحجاز والمغرب وحدد لهم أسلوب الدعوة لكسب الأعوان والأنصار. ووضع واصل أصولا

---

[126] – القاضي عبد الجبار(عماد الدين أبي الحسن بن أحمد، ت.415هـ-1024م)، **طبقات المعتزلة، كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ممّباينتهم لسائر المخالفين**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974م، ص.214؛ سلمى محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص.140-141.

[127] – الملطي(أبو الحسين محمد بن أحمد، ت.377هـ-987م)، **كتاب التنبيه والرد على الأهواء والبدع**، عني بتصحيحه ديد رينغ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 2009م، ص.24؛ أبو زهرة، المرجع السابق، ص.124؛ سلمى محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص.140.

[128] – محمود إسماعيل، **الحركات السرية في الإسلام**، ص.128؛ سلمى محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص. 140-141.

[129] – القاضي عبد الجبار، المصدر السابق، ص.214.

للمذهب ولا يستحق أحد اسم الاعتزال إلا إذا توفرت فيه الأصول الخمسة[130] للإعتزال[131] وهي:

1-التوحيد: وهو لب مذهبهم، وأساس نحلتهم، وصوره الأشعري في كتابه "المقالات الإسلاميين" فقال:"إنّ الله واحد أحد، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وليس بجسم ولاشبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ودم، ولا شخص ولا جوهر ولا عرض..."، وقد بنوا على هذا الأصل استحالة رؤية الله-سبحانه وتعالى- يوم القيامة لاقتضاء ذلك الجسمية والجهة، كما بنوا عليه أن الصفات ليست شيئا غير الذات وإلا تعدد القدماء في نظرهم، وبنوا على ذلك أيضا أن القرآن مخلوق لله تعالى، لمنع تعدد القدماء، ولنفي كثيرين منهم صفة الكلام عن الله تعالى[132]. أو هو يدور حول ما يثبت لله وما ينفي عنه من الصفات، وعرفه عبد القاضي عبد الجبار لغة وإصطلاحا:" في أصل اللغة عبارة عمّا به يصير الشيء واحدًا، كما أنّ التحريك عبارة عما به يصير الشيء متحركا، والتسويد، ..." واصطلاحا هو:"العلم بأنّ الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيا وإثباتا على حد الذي يستحقه، والإقرار به ولا بد من إعتبار هذين الشرطين: العلم والإقرار جميعا، لأنه لو علم ولم يقر أو أقرأ ولم يعلم لم يكن موحدًا"[133]. ومن خالفهم بالتوحيد سموه مشركا ومن خالفهم في الصفات سموه مشبها ومن خالفهم في الوعيد سموه مرجئا[134].

2- العدل: قال عبد الجبار البغدادي:"اعلم أن العدل مصدر عدل يعدل عدلا، كما أن الضرب مصدر من ضرب يضرب ضربًا، وقد يذكر ويراد به الفعل، ويذكر ويراد به الفاعل، فإذا وصف به الفعل، فالمراد به كل فعل حسن يفعله الفاعل لينفع به غيره أو ليضره". وفي الإصطلاح:"أنّ أفعاله تعالى كلها حسنة، وأنّه لا يفعل القبيح، ولا يخل بما هو واجب عليه. وبيّن المسعودي العدل فقال:"هو أنّ الله تعالى لا يحب الفساد، ولا يخلق أفعال العباد، بل يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم وركبها فيهم، وأنه لا يأمر إلا بما

---

[130] – أبو زهرة، المرجع السابق، ص.125؛ سلمى محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص.141.

[131] – المقدسي(مطهّر بن طاهر، ت.355هـ-969م)، **البدء والتاريخ**، مكتبة المثنى، بغدادا، مؤسسة الخانجي، مصر، 1899م، 142/5؛ أبو زهرة، المرجع السابق، ص.125.

[132] – الشهرستاني، المصدر السابق، 1/ 57؛ أبو زهرة، المرجع السابق، ص.108.

[133] – عواد بن عبد الله، **المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها**، ط.2، مكتبة الرشد، الرياض، 1995م، ص.81.

[134] – المقدسي، **البدء والتاريخ**، 142/5 وما بعدها.

أراد، ولم ينه إلا عما كره، وأنه ولى كل حسنة أمر بها، وبريء من كل سيئة نهى عنها، ولم يكلفهم ما لا يطيقونه، ولا أراد لهم ما لا يقدرون عليه، وأنّ أحدا لا يقدر على قبض ولا بسط إلا بقدره الله التي أعطاهم إياها، وهو المالك لها دونهم، يفنيها إذا شاء، ويبقيها إذا شاء، ولو شاء الله لجبر الخلق على طاعته، ومنعهم اضطراريا عن معصيته، ولكان على ذلك قادرا، غير أنه لا يفعل، إذ كان في ذلك رفع للمحنة، وإزالة البلوى"[135].

3- الوعد والوعيد: والوعد هو الخبر المتضمن إيصال النفع إلى الغير أو دفع الضرر عنه في المستقبل، سواء كان حسنا مستحقا أم لا، فالله تعالى وعد المطيعين بالثواب. أما الوعيد فهو كل خبر يتضمن إيصال الضرر إلى الغير أو تفويت نفع عنه في المستقبل، ولا فرق بين أن يكون حسنا مستحق، وبين أن لا يكون كذلك. بمعنى أنهم يعتقدون أن الوعد والوعيد نازلان لا محالة، فوعده بالثواب واقع، ووعيده بالعقاب واقع أيضا، ووعده بقبول التوبة النصوح واقع أيضا، وهكذا فمن أحسن يجازي بالإحسان إحسانا ومن أساء يجازي بالإساءة عذابا أليما، فلا عفو عن كبيرة من غير توبة، كما أنه لا حرمان من ثواب لمن عمل خيرا، وأنّ هذا فيه رد على المرجئة الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة إذ لو صح هذا لكان وعيد الله في مقام اللغو، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا[136].

4- **المنزلة بين المنزلتين:** ويعتبر هذا الأصل نقطة البدء في نشأة المعتزلة كما سبق ذكره، وهو سبب الاختلاف بين واصل والحسن البصري حيث جاء واصل برأي خاص في مرتكب كبيرة وعلى إثره طرده الحسن البصري. والمقصود من هذا الأصل لغة ما قاله القاضي عبد الجبار البغدادي:"أنّ هذه العبارة إنّما تستعمل في شيئ بين شيئين ينجذب إلى كل واحد منهما بشبه"، أما إصطلاحا:" فهو العلم بأن لصاحب الكبيرة اسم بين الإسمين، وحكم بين حكمين"[137].

وذكر الشهرستاني أنّ واصل قال:"إن الإيمان عبارة عن خصال خير، إذا اجتمعت سمي المرء مؤمنا، وهو اسم مدح، والفاسق لم يستكمل خصال الخير، ولا يستحق اسم المدح، فلا يسمى مؤمنا، وليس هو بكافر أيضا لأن الشهادة وسائر أعمال خير موجودة فيه، ولا وجه لانكارها، لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة من أهل النار خالدا فيها، إذ ليس في الآخرة

---

[135] – المسعودي، المصدر السابق، 205/3؛ الشهرستاني، المصدر السابق، 57/1.

[136] – نفس المصدر، 57/1-58.

[137] – عواد بن عبد الله، المرجع السابق، ص.255-256.

إلا الفريقان: فريق في الجنة، وفريق في السعير، ولكنه يخفف عنه العذاب[138]. والمعتزلة مع اعتقادهم أن العاصي من أهل القبلة في منزلة بين المنزلتين يرون أنه لا مانع من أن يطلق عليه اسم مسلم تمييزا له عن الذميين، لا مدحا وتكريما، وأنّه في الدنيا يعامل معاملة المسلمين، لأن التوبة له مطلوبة، والهداية مرجوة[139].

5- **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** وحقيقة الأمر والنهي أنّ الأمر: قول القائل لمن دونه في الرتبة إفعل. والنهي: هو قول القائل لما دونه لا تفعل[140]. وهذا الأصل الخامس المتفق عليها بين المعتزلة، فقد قرروا ذلك على المؤمنين أجمعين، نشرا لدعوة الإسلام وهداية الضالين، ودفعا لهجوم الذين يحاولون تلبيس الحق بالباطل، ليفسدوا على المسلمين أمر دينهم، ولذلك تصدوا للذود عن الحقائق أمام سيل الزندقة التي اندفعت في أول العصر العباسي، وتهدم الحقائق الإسلامية، وتفكك عرا الإسلام عروة عروة، وجردهم المهدى لذلك، وتصدوا لأهل الحديث والفقه، وحاولوا حملهم على اعتناق آرائهم بالحجة والبرهان، أو بالشدة وقوة السلطان.

وخالفت المعتزلة الشيعة في القول "بالوصية" و"العصمة" فقد اتفقوا معهم في الكثير من الأراء الخاصة بالإمامة فضلا عن تجويزهم "التأويل"[141].

ثالثا: عقائد المعتزلة

للمعتزلة – كغيرهم من الفرق الكلامية – آراء وأفكار ومعتقدات كثيرة سنذكر أهمها بإيجاز:

1 – اختلفوا في المكان لله تعالى: فذهب بعضهم – وهم جمهورهم – إلى أن الله تعالى في كل مكان بتدبيره، وهذا قول أبي الهذيل والجعفرين، والإسكافي، ومحمد بن عبد الوهاب الجبائي.

2- وذهب آخرون إلى أن الله تعالى لا في مكان، بل هو على ما لم يزل عليه، وهذا هشام الفوطي وعباد بن سليمان وأبي زفر.

---

[138] – الشهرستاني، المصدر السابق، 48/1.

[139] – نجم الدين الهنتاتي، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي**، ص.97.

[140] – نفس المرجع، ص.265.

[141] – عبد المجيد بن حمدة، المرجع السابق، ص.274 وما بعدها؛ محمود إسماعيل، **الحركات السرية في الأسلام**، ص.130.

3 – ذهبوا إلى أن الاستواء هو بمعنى الاستيلاء في قول الله تعالي: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"[142].

4 – أجمعت المعتزلة على أنه لا يجوز القول بجواز رؤية الله[143].

5 – اختلفوا في صفة الكلام لله تعالى: فذهب بعضهم إلى إثبات الكلام لله تعالى بينما ذهب بعضهم إلى إنكار ذلك.

6 – أجمعوا على أنه لا يجوز القول بأن القرآن غير محدث. فالمعتزلة تقول أن القرآن مخلوق ومحدث لأنه نزل بعد التوراة والإنجيل[144]. ومستدلين بخلق القرآن بقوله تعالى﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[145].

و أبرز سمات هذه الطائفة نفي الصفات عن الله تعالى وإسناد القدرة إلى العباد[146].

لم تحظ أفكار الاعتزال برضى الخلافة السنية إلا في بعض عهود منها، فأثارت غضب أهل الحديث ورجال السلف المواليين للخلافة، فاعتبروا أن المعتزلة "مارقين" سياسيا و"فوضويين" إجتماعيا و"ضالين" دينيا[147]، فالشهرستاني السني وصفهم ب"المجوس"[148]، واتبع الإمام مالك رأي الخليفة عمر بن عبد العزيز في القدرية فذكر إن لم يتوبوا يقتلوا، وفي رواية أخرى أنهم قوم سوء لا تجالسونهم ولا تصلوا وراءهم وإن جامعوكم في السفر فاخرجوهم[149].

اهتم شيوخ المعتزلة بوضع كتبا إلا أنها فقدت جميعها مثل كتاب واصل بن عطاء، ورسائل أبي الهذيل في الرد على الخصوم. وصنف النظام مقالات كثيرة في الفلسفة والتوحيد والرد على المخالفين ضاعت كلها. وألف الجاحظ مئات الرسائل ولم يبق منها إلا النزر القليل. وتنافس أهل الحديث في أحراق مصنفات المعتزلة إبان محنة المعتزلة في عصر الخليفة

---

[142] – سورة طه، الآية 5.

[143] – البلخي(أبو زيد أحمد بن سهل، ت.322هـ–934م)، **البدء والتاريخ**، تح. خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص.186.

[144] – الرازي(فخر الدين محمد بن عمر، ت.606هـ–1209م)، **خلق القرآن بين المعتزلة وأهل السنة**، تح. أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بغداد، 1992م.

[145] – سورة الرعد، الآية 16.

[146] – الجرجاني(علي بن محمد الشريف، ت.816هـ–1413م)، **كتاب التعريفات مع الفهرست**، مكتبة لبنان، بيروت، 1985م، ص.249.

[147] – محمود إسماعيل، **الحركات السرية في الإسلام**، ص.119.

[148] – الشهرستاني، المصدر السابق، 56/1.

[149] – نجم الدين الهنتاتي، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي**، ص.97–98.

المتوكل(232-247هـ/846-861م) تقربا إلى الله ونكاية في الخصوم، لذلك أخذت الفرق الإسلامية تتحامل على المعتزلة أشد التحامل على آرائهم على أنها ضرب من الوثنية والزندقة[150].

رابعا: فرق المعتزلة

كان غالبية أصحاب هذه الفرق من الموالي أي من غير العرب، وبما أنهم نهلوا من التراث القديم وأصاغوا أرائهم من ناحية، ولنقمتهم على الخلافة الأموية من ناحية أخرى اتهموا بالشعوبية والزندقة والوصولية، غير أن زعماء المعتزلة حاربوا الشعوبية بمفهومها العنصري ودعوا إلى الوحدة بين الشعوب الإسلامية بمفهوم المساواة[151].

تفرد صاحب كل فرقة بمسائل خاصة به أشارت إليها المصادر، وقد اختلفت في ذكر عددها ونذكر منها:

الواصلية: أتباع أبي حذيفة واصل بن عطاء الألثغ الغزال، تلميذ الحسن البصري وسمي بالغزال لتردده على سوق الغزالين. و**الهذلية:** نسبة إلى أبي الهذيل حمدان بن الهذيل العلاف، شيخ المعتزلة، ومقدم الطائفة ومقرر الطريق، والمناظر عليها أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل بن عطاء، ويقال أن واصل أخذ عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، ويقال أخذها عن أبي الحسن بن أبي الحسن البصري، وانفرد عن أصحابه بعشر قواعد. و**النظامية** أصحاب إبراهيم بن يسار بن هاني النظام، قد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، وانفرد عن أصحابه بمسائل. و**الخَابِطِيَّة** أصحاب أحمد بن حابط أو خابط وهم من غلاة القدرية المعتزلة. و**الحَدْثِيَّة** أصحاب الفضل الحدثي. **والبشْرِية** أصحاب أبي سهل بشر بن المعتمر من أهل بغداد ويقال أنه من الكوفة. و**المُعَمَّرية** أصحاب أبي عمرو وأبي المعتمر وهو من أهل البصرة. و**المرْدَارِيَّة** أتباع أبي موسى عيسى بن صبيح من أقوالهم "أن الله قادر على الكذب والظلم". و**الثُّمَامية** أصحاب أبي معمر ثمامة بن أشرس. و**الهِشَامِيَّة** أصحاب هشام بن عمرو الفوطي من أهل البصرة. و**الجاحظية** وهم أصحاب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تِلْمِيذَ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيَّارٍ الْبَلْخِيِّ وكان من فضلاء المعتزلة والمصنفين لهم. و**الخيَّاطِيّة** أَصْحَابُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي عُمَرَ الْخَيَّاطِ. و**الكعْبيّة** أَصْحَابُ أَبِي

---

[150] – محمود إسماعيل، **الحركات السرية في الإسلام**، ص.121.

[151] – نفس المرجع، ص.130-131.

الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَعْبِيّ. **والجُبَّائية** وَهُمْ شِيعَةُ أَبِي عَلِيٍّ الْجُبَّائِيّ. و**البهشَمِيَّة** أصحاب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجُبَّئي، وابنه أبي هاشم عبد السلام وهما من معتزلة البصرة، انفردا عن أصحابهم بمسائل وانفرد كل واحد منهما عن الآخر بمسائل[152].

خامسا: انتشار المعتزلة ببلاد المغرب

رغم اختلاف الدراسات حول دخول الاعتزال ببلاد المغرب، إلا أن المصادر ذكرت أن حلقات ومناظرات المعتزلة كانت تعقد في جامع القيروان[153]، فذهب البعض إلى أنّه دخل مع مذهب أبي حنيفة النعمان، فقد ذكر ابن حزم أنّ:"مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة..."[154] الذي كان أظهر المذاهب في القرون الأولى، وظهرت بعده مذاهب سنية أخرى وغير سنية منها ما بقي في بلاد المغرب حتى مجيء المعز بن باديس، فحمل الناس على التمسك بمذهب الإمام مالك، وقطع ما عداه حسماً لمادة الخلاف المذهبي[155]، وأنكر بعض المؤرخين وجود المذهب المعتزلي ببلاد المغرب واقتصر على ظهوره بالمشرق في مركز الخلافة. إلا أن الجغرافيين وأصحاب كتب التراجم أشاروا بوجوده ببلاد المغرب في وقت مبكر فابن خرداذبة حيث ذكر أن مدينة أيْزَرَج تلي تاهرت كانت في يدى إبراهيم بن محمّد البربرىّ المعتزلىّ[156] أي أواخر القرن الثالث الهجري/9م. أما ابن حوقل(ت.حوالي سنة 376هـ/990م) الذي كانت له معرفة بجغرافية بلاد المغرب المذهبية أشار إلى وجود المعتزلة عند حديثه عن الخوارج الإباضية في جبل نفوسة وقسطيلية وقفصة

---

[152] – الشهرستاني، المصدر السابق، 56/1 وما بعدها.

[153] – أبو العرب، **طبقات**، ص.120؛ المالكي، (ط. بيروت)، 409/1؛ محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب**، ص.478-479.

[154] – ابن حزم(أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ت.456هـ-1063م)، **رسائل في فضل الأندلس وذكر رجالها**، ط.2، تح. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدّراسات والنشر، لبنان، 1987م، 229/2؛ المقري، المصدر السابق، 10/2؛ ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت.681هـ-1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، تح. إحسان عباس، دار صادر، لبنان، 1968م، 144/6.

[155] – ابن حزم، **رسائل في فضل الأندلس**، 229/2؛ ابن مخلوف(محمد بن محمد بن عمر بن قاسم، ت.1360هـ-1941م)، **شجرة نور الزكية في طبقات المالكية**، تح. عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، 148/1-149.

[156] – ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت.280هـ-893م)، **المسالك وممالك**، تح. محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م، ص. 88.

غيرهما من مدن إفريقية قائلا:"تجاورهم من البربر زناتة ومزاتة قبيلتان عظيمتان الغالب عليهم الاعتزال من أصحاب واصل بن عطاء"[157].

وانتشرت بعض المعتزلة بإفريقية وقد امتنع كل من ابن فروخ وابن غانم والبهلول بن راشد من صلاة الجنازة على أحد المعتزلة وكان ابن فروخ قد اتهم بالإعتزال[158]، ورفض أهل بيت الأمير محمد بن الأغلب وكان غالبيتهم معتزلة أن يصاحبوه للصلاة على الإمام سحنون حين وفاته قائلين أنه كان "يكفرنا ونكفره"[159].

وانتشر الاعتزال أيضا بين قبائل صنهاجة الشمال وبين بعض بطون قبيلة غمارة وبعض نواحي تلمسن وبلاد سوس واشتغل كثيروهم بالتجارة التي كان بعضها مع بلاد السودان[160]، ويستنتج مما ذكره الجغرفيان والمالكي صاحب كتاب رياض النفوس أن المعتزلة ظهرت في وقت مبكر ببلاد المغرب أي قرب تاهرت وبإفريقية، وربطت بعض الدراسات ظهور الاعتزال بالمغرب الأقصى بدولة الأدارسة[161] وربما تزامن ظهورها مع مذهب الخوارج والشيعة.

يبدو أن المصادر الجغرافية اهتمت بذكر جغرافية المذاهب السنية وغيرها ببلاد المغرب كابن حوقل وابن خرداذبة وغيرهما وكان هذا الأخير أول من أشار إلى معتزلة المغرب الأقصى بعد حديثه عن إفريقية وتاهرت قائلا: "ووراء تاهرت مسيرة اربعة وعشرين يوما بلد المعتزلة وعليهم رئيس عادل وعدلهم فائض وسيرتهم حميدة ودارهم طنجة ونواحيها"[162] وأضاف ابن حوقل أن:"في كثير منهم الشراية والتدين القوي بها والتمسك بها وفي بعضهم الإعتزال والعلم[163]، وذكرت بعض المصادر أيضا أن إدريس الأوّل حمل معه بعض مبادئ الشيعة الزيدية[164] إلى المغرب الأقصى وهو تفسير لما قام به الخليفة هارون الرشيد(170-

---

[157] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص.94.

[158] – المالكي، (ط. بيروت)، 186/1.

[159] – نجم الدين الهنتاتي، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي**، ص.97.

[160] – سلمى محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص.143.

[161] – سلمى محمود إسماعيل نقلا عن جولد تسيهر، **العقيدة والشريعة في الإسلام**، تر إلى العربية، القاهرة، 1956م، ص.111.

[162] – ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص.265.

[163] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص.99.

164 – أتباع زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب– رضي الله تعالى عنه– يقولون إن الإمامة لأولاد فاطمة الزهراء دون غيرهم، كان زيدا يفضل علي رضي الله عنه على أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، إلاّ أنّه يرى جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل، فقد قال في علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان أفضل

193هـ/786-809م) لمّا أرسل رجلا من الشيعة لقتله سنة 175هـ_792م بوليلى(وليلة) ولا يخفى على أنّ قبيلة أوربة هي التي ساعدت إدريس الأوّل لمّا فر من موقعة فخ سنة 169هـ_785م فوصل إلى المغرب الأقصى سنة 170هـ-786م فنزل عند أبي إسحاق الأوربي المعتزلي الذي جمع له زعماء قبيلة أوربة، فرحبوا به وبعدها عرّفهم بنسبه وفضله وقرابته من رسول الله(ﷺ) فبايعوه أميرا عليهم سنة 172هـ-788م[165]، فهذا يدل على امتداد دور المعتزلة في المشرق الموالي للزيدية، كما أنّهم شاركوا في ثورات العلويين في الحجاز والعراق الأمر الذي عرضهم للإضطهاد من طرف العباسيين[166]، وبعدها امتزجت دعوة المعتزلة في الدعوة الزيدية وساهم المذهبين فكريا بعد تداخلهما في تأسيس دولة الأدارسة.

أشار الباحث محمود إسماعيل في دراسته عن وجود دعوة المعتزلة في إفريقية والمغرب الأوسط والأقصى، وأنّ مركز الدعوة كان بإفريقية فكان الدعاة ينطلقون منها إلى باقي مناطق بلاد المغرب واعتمد في ذلك على عدد من النصوص الهامة المستقاة من كتب التاريخ والفرق وكتب الأدب[167]. ومن هؤلاء الدعاة أبي إسحاق المكنى بالعمشاء كان يقول:"**بخلق القرآن**، وله أصحاب يجالسونه ويختلفون معه"[168]، وعبد الله بن المبارك الذي وصل إلى المغرب الأقصى "فأجابه الخلق"خاصة من قبيلة أوربة وزناتة[169] ، وهذا ما أدى إلى انتشار المعتزلة بطنجة، والتي أصبح بها "مائة ألف معتزلي يحملون السلاح"، وانتشر المذهب في بلاد سوس

الصحابة إلاّ أنّ الخلافة فوضت لأبي بكر لمصلحة رأوها فيه، وذكر الأشعري في كتابه المقالات أنّه :" لما ظهر في الكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فأنكر ذلك على من سمعه منه، فتفرق عنه الذين بايعوه فقال لهم:" رفضتموني" فيقال إنهم سموا الرافضة لقول زيد " رفضتموني"، انظر: البغدادي، **الفرق بين الفرق**، ص.22؛ الشهرستاني، المصدر السابق، 179/1 وما بعدها؛ الأشعري، المصدر السابق، 129/1-130.

[165] – ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.20؛ الناصري(أحمد بن خالد، ت.1315هـ-1897م)، **الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، تح. محمد حجي، وإبراهيم بوطالب، وأحمد توفيق منشورات وزارة الثقافة والاتصال، المغرب، 2001م.19/2؛ سعيدة لوزري، **المذهب المالكي بالمغرب الأوسط-دخوله وانتشاره-(3-5هـ/6-11م)**، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2015م، ص.83-84.

[166] – سلمى محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص. 144؛ محمود إسماعيل، **الحركات السرية في الإسلام**، ص.143 وما بعدها.

[167] – سلمى محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص.142.

[168] – اشتهر بالجدل والمناظرة من العراقيين، قال الخشني:" يذهب إلى خلق القرآن ويناظر فيه مناظرة شديدة وله في ذلك داعية وله لمة وأصحاب الأحزاب"، انظر: المالكي (ط. بيروت)، 342/2؛ سعيدة لوزري، **المذهب المالكي، ص.**141-146.

[169] – سلمى محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص.142.

وفي بعض قبائل صنهاجة الشمال وبين بطون قبيلة غمارة، وعاشت المعتزلة في أمن ودعة في مدينة طنجة[170] مائة ألف معتزلي يحملون السلاح[171]. وارتفع عدد المعتزلة بعد تعرضهم للإظطهاد من طرف العباسيين في المشرق فوجدوا في المغرب الأقصى مكانا آمنا، ولإشتغالهم بالتجارة توجه الكثير منهم إلى المغرب الأقصى لممارستها مع بلاد السودان[172].

ذكرت بعض الدراسات أن معتزلة المغرب الأقصى حاولت إغراء معتزلة المغرب الأوسط للتنصل من ولائهم للرستميين والطاعة للأدارسة، وبعد قتل إدريس الأوّل ساعدت المعتزلة ابنه إدريس حتى صار شابا ثم ولوه الإمارة، وهذا يعني تأكيد حقيقة احتواء الاعتزال والتشيع الزيدي فكريا بينما حدث العكس سياسيا[173]. ولم يدم هذا الوفاق طويلا حتى تحول الأدارسة من الاعتزال إلى المذهب المالكي. واختلفت الأراء حول من له الفضل في إدخاله هل إدريس الأوّل أم الثاني؟. ويمكن تأكيد دخول الإعتزال إلى المغرب الأقصى ما ذكر ابن حوقل(ت.367هـ-977م) من أن القبيلتين:"زناتة ومزاتة هما عظيمتان الغالب عليهما الإعتزال من أصحاب واصل بن عطاء". ولما تحدث عن البرانس المقيمين بين السوس الغربي وأغمات وفاس قال أن:"بعضهم الإعتزال والعلم"و دخل الإعتزال إلى هناك بواسطة" فئة منهم التفت ب" نفر من أصحاب واصل بن عطاء بنواحي زناتة"[174].

وفي إفريقية حاول أمراء الأغالبة، حسب محمد الطالبي، "منذ أن صار الإعتزال مذهبا رسميا لدولتهم، ولأسباب تخص السياسة الداخلية، المحافظة على توازن معين بين المعتزلة قليلي العدد قطعا والمختارين أساسا من أوساط المجتمع العليا وبين السنيين الأكثر عددا والذين كانوا يجدون أنصارهم بالخصوص بين الجماهير المعادية للتدقيقات" فكانت الوزارة من نصيب المالكية بينما القضاء للمعتزلة[175].

---

[170] – محمود إسماعيل، **الحركات السرية في الإسلام**، ص.141؛ وذكر البكري طنجة أنها "وليلى بالبربرية وأنها طنجة البيضاء في التواريخ"، انظر: المصدر السابق، ص.108-109.

[171] – سلمي محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص.143.

[172] – نفس المرجع، هـ.9، ص.143.

[173] – نفس المرجع، ص.144.

[174] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص.94، 99.

[175] – محمد الطالبي، **الدولة الأغلبية**، ص.255.

وانخرم هذا التوازن مع الأمير محمد الأول الذي ولى سحنون القضاء بعد استشارة العلماء والفقهاء[176]، ذكر القاضي عياض أنه:"لما أراد محمد بن الأغلب أن يولي سحنون، جمع العلماء والفقهاء للمشورة، فأشار سحنون بسليمان بن عمران، وأشار سليمان بسحنون وأشار غيرهم بسليمان..."[177]، وبذلك قطعت إفريقية في المذهب السني شوطا مهما لنشر الأسباب التي قبلت بها إفريقية الإعتزال كمذهب للدولة أي محاكاة الخلافة العباسية التي تخلت في عهد المتوكل (232-247هـ/846-861م) على أراء المعتزلة بصفة رسمية ولوحظ نفس التغيير بإفريقية[178]، دون أن ينقرض الإعتزال بصفة قطعية في عهد الأمير محمد. ورغم ما عرف من تعصب المالكية وبغضهم لمخالفيهم، فقد سمحوا للخوارج(الصفرية والإباضية) والمعتزلة بممارسة نشاطهم في إفريقية، حتى مجيء الإمام سحنون فمنع ذلك لما تولى القضاء سنة 234هـ-848م بعد سنتين من المساومات[179].

وكانت المعتزلة تقول بخلق القرآن وهي من المسائل المنتشرة بإفريقية بين الحنفية والمعتزلة، وربما اتهم أسد بن الفرات بما أنه كان يحمل المذهبين اتهم في زمانه بأنه من الذين يقولون بخلق القرآن إلا أن الإمام سحنون لما سأله الفقيه بكر بن حماد التاهرتي في ذلك قال له:"والله ما قاله". وفي رواية أخرى قال ابن الفرات لما فسّر قوله تعالى:﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[180] فقال أسد: "ويح أهل البدع هلكت هوالكهم، يزعمون أنّ الله خلق كلاما يقول ذلك الكلام المخلوق"، ولو كان أسدا معتزليا لما طرد أصحاب هذا المذهب من مجالسه بل ضربهم ووصفهم بالزندقة، فكان أعلم العراقيين بالقيروان كافة، ومذهبه سني لا يعرف غيره[181]. وكانت تعقد حلقات ومناظرات في مساجد إفريقية، بل في جامع القيروان ذاته[182].

نشير إلى أن أمراء الأغالبة قد ابتكروا طريقة في منصب القضاء لإرضاء الرّعية التي كانت متعددة المذاهب فأدى هذا التنوع في اختيار القاضي الحنفي والمالكي والمعتزلي ممّا

---

176 – محمد الطالبي، **الدولة الأغلبية**.

177 – القاضي عياض، المصدر السابق، 56/4.

178 – محمد الطالبي، **الدولة الأغلبية**، ص.255-256.

179 – أبو العرب، **طبقات**، ص.120؛ المالكي، (ط. بيروت)، 409/1؛ الدباغ، المصدر السابق، 55/2-192.

180 – سورة طه، الآية 13-14.

181 – المالكي، (ط. بيروت)، 186/1 ، 265؛ القاضي عياض، المصدر السابق، 301/3-302.

182 – محمد الطالبي، **الدولة الأغلبية**، ص.595.

نتج عنه التنافس على القضاء[183]. فقد عزل بن أبي جواد المعتزلي سنة 232هـ-847م ونصب الإمام سحنون المالكي[184]، وكانت المناظرات تعقد في البلاط الأغلبي بين المذاهب السنة وبينها وبين المعتزلة، فقد تناظرا الفقيهان الجعفري والعكبري في مسألة "خلق القرآن"[185]، وكانت لسعيد ابن الحداد مناظرات في القيروان مع الفراء المعتزلي[186]. وبما أن سحنون كان يمثل المذهب المالكي دون سواه قائلا "لا نجيز شهادة المعتزلة، والإباضية والجهمية والمرجئة وغيرهم من أهل الأهواء"[187].

ويرى محمد الطالبي أن منع الخليفة العباسي المتوكل(232-247هـ/846-861م) المناظرات في القرآن ومسائل الدين الأخرى، أنها جاءت متزامنة مع عزل ابن أبي جواد القاضي المعتزلي وأن هذا التطابق لم يكن محض صدفة قطعا "إذا كان مركب الخلافة وزورق الإمارة يعبران نفس المياه وخضعا في نفس الوقت لذات المناورات" [188].

لم تسعى المعتزلة في تأسيس دولة مستقلة تدين بالإعتزال -إلا نادرا- كالخوارج (الصفرية-الإباضية) أو الشيعية (علوية- إسماعيلية) الذين أسسوا دولا على أساس مذهبي، إلا أن جهود المعتزلة نتج عنها تكوين جماعات متماسكة تسكن كفئة قليلة في الدول وعاشت في وئام وسلام مع أئمتها، ومن بين المذاهب التي شهدها المجتمع التاهرتي في عهد الدولة الرستمية: المعتزلة أو الواصلية فكانت تضرب خيامها خارج العاصمة[189]، وكان مجمعهم قريب من تاهرت، يسكنون في بيوت كبيوت الأعراب ويزيد عددهم عن 30 ألفا[190]. وكانت مناظرات تعقد بين الإباضية وغيرها من المذاهب من بينها المعتزلة وقد ذكر ابن الصغير المالكي في

---

[183] – إبراهيم بحاز، **القضاء في المغرب من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية**، الياقوت، الأردن، 2001م، ص.196-197.

[184] – القاضي عياض، المصدر السابق، 4/61-64؛ محمد الطالبي، **الدولة الأغلبية**، ص.256 وما بعدها.

[185] – أبو العرب، **طبقات**، ص.89، القاضي عياض، المصدر السابق، 3/312.

[186] – الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 14/206.

[187] – ابن أبي زيد القيرواني(أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان، ت.386هـ-996م)، **النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات**، تح. محمد الأمين بوخبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، 8/292.

[188] – محمد الطالبي، **الدولة الأغلبية**، ص.259 وما بعدها.

[189] – محمود إسماعيل، **الحركات السرية في الإسلام**، ص.141.

[190] – الدرجيني، المصدر السابق، 1/42؛ الباروني، المرجع السابق، ق.2، ص.154؛ محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب**، ص.260

كتابه سير الأئمة[191]. ومحمد حسن في دراسته هذه المناظرات[192]، وكانت مناظرات بين الإباضية والمعتزلة حيث"اجتمع جمع بين المعتزلة والإباضية بنهر مينة للمناظرة..." [193].

بقيت المعتزلة بالمغرب الأوسط حتى سقوط الإمارة على يد الداعي أبي عبد الله الشيعي سنة 296هـ-908م، ولم تنكر بعض المصادر الإباضية ذلك فإنّه لما اقترب الداعي من تاهرت خرج إليه وجود من أهلها المخالفين، وكان من بينهم الشيعة والواصلية ومن بها من الصفرية فشكوا إليه الإمارة ووعدوه العون من أنفسهم على جميع الرستميين[194] ولما سقطت الإمارة نقض الداعي تلك العهود.

وانتشر الإعتزال في بعض نواحي تلمسان التي نزح إليها إدريس الأوّل[195] وربما انتقل إلى المغرب الأوسط بواسطة هذه المدينة، يبدو أن سكانه رفضوا هذا المذهب لذلك كانت مصدر شغب وقلاقل حسب محمود إسماعيل[196]. وفي الجنوب الغربي لدولة بني مدرار كان للمعتزلة دور مخرب لصالح جيرانها من العلويين[197]. وعلى العموم فإن المعتزلة كانت موجودة في معظم حواضر بلاد المغرب وكانت لها مناظرات مع أصحاب المذاهب السنية.

ومن أشهر المعتزلة: الجاحظ المدافع عن بني العباس والذي أيدهم بلا تحفظ[198]، والقاضي عبد الجبار، أبو علي الفارسي والزمخشري والفراء والسيرافي[199].

---

191 – Talbi(M.),«Chronique D`Ibn Saghir sur les imams Rustumides de Tahert», **les cahiers de Tunisie**, revue de sciences humaines, T. XXVI, 3em et 4em, trimestres ; «Rustumides» dans Art **E.I**, **T.III**.

192 – "المناظرات بين الإباضية الوهبية والفرق الأخرى ببلاد المغرب خلال القرنين الثالث والرابع الهجري/التاسع الميلادي" **ضمن كتاب المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد إلى الوحدة**، تنسيق حسن حافظي علوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2008م، ص.53-55.

193 – نفس المرجع، ص.55-56.

194 – أبو زكريا، المصدر السابق، ص.169.

195 – سلمى محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص.144.

196 – محمود إسماعيل، **الحركات السرية في الإسلام**، ص. 142.

197 – نفس المرجع، ص.143.

198 – **النديم** (محمد بن إسحاق المعروف بأبي يعقوب الوراق، ت.380هـ-990م)، **الفِهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء ما صنفوه من الكتب**، تح. رضا تجدد، إيران، 1981م، ص.209.

199 – حاجي خليفة، **سلم الأصول إلى طبقات الفحول**، تح. محمود عبد القادر الأناؤوط، تدقيق سعداوي صالح، إعداد الفهارس صلاح الدين أويغور، استانبول، 2010م، 5/312-313.

ولذا أيّد المعتزلة بني العباس. ولم تكن المذاهب السنية حزبا عباسيا بأتم معنى الكلمة حسب محمد الطالبي إذ لم يتحالف أي واحد منهم مع العباسيين بل بالعكس أبدوا جميعا ودا يختلف قوة نحو أعدائهم العلويين أو عارضوهم بشدة في مسائل مذهبية وعقائدية فقد سجن الإمام أبي حنيفة (80-150هـ/699-767م) عقب أقوال أيد فيها العلويين النفس الزكية وأخاه إبراهيم اللذان تمردا سنة 145هـ-762م على أبي جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م) فتوفي في السجن، ولأسباب مماثلة جلد الإمام مالك(93-179هـ/712-796م)، وسجن الشافعي(150-204هـ/767-820م)، وتعرض الإمام أحمد بن حنبل(164-241هـ/780-855م) إلى جلد والسجن لرفضه مسألة خلق القرآن[200].

المحاضرة الرابعة

المذهب الإسماعيلي من الدعوة إلى الدولة

أولا: تعريف المذهب الإسماعيلي

يُذكر أنّ أصحاب المذهب الإسماعيلي هم أتباع علي رضي الله عنه، حيث يرون أنّ الخلافة في أهل بيت النبي(ﷺ)وأنّه علي أحق بخلافته، وأنّ النبي(ﷺ)عيّنه بنصوص أَوَّلوها حسب مذهبهم منها: الأحاديث التالية:"من كنت مولاه فعلي مولاه" و"أنت منى بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبي بعدي" و"لأَعْطِين الراية غدا رجلا يفتح الله على يده" وغيرها. والاسماعلية هي إحدى فرق الشيعة التي ظهرت إثر الفتنة الكبرى. وبعد فشل محاولتهم تولي السلطة في المشرق لجأ أئمتهم بعد جعفر الصادق(ت.148هـ-765م) إلى مبدأ التقية. ثم انتقلوا إلى مجالات بعيدة عن مركز السلطة المركزية لنشر دعوتهم كما حدث في بلاد المغرب.

[200] – محمد الطالبي، **الدولة الأغلبية**، ص. 73.

ثانيا: ظهور الشيعة[201] ببلاد المغرب

1-أصول المذهب الإسماعيلي

الإمامة وهي الركن الأساسي عند الشيعة الإسماعلية فيعتقدون بإمامة تسعة أئمة وهم:علي، الحسن، الحسين، زين العابدين، محمد الباقر، جعفر صادق، إسماعيل ثم محمد ثم الإمام المستور عبد الله ويعتقد هؤلاء وجوب الإيمان بهم ومن أنكر أحدا منهم فهو كافر. الإيمان بعصمة الإمام من الخطأ فهؤلاء الأئمة معصومون وكلامهم شرع ومقدس. نفي الصفات الإلاهية تأثرا بالمعتزلة والفلاسفة. تكفير كل من يخالفهم من السنيين والخوارج. أتباع التأويل الباطني للنصوص الشرعية.

2-الدعوة الإسماعلية ببلاد المغرب

أولا: الدعاة الأوائل

عُرفت الدعوة الشيعية ببلاد المغرب في وقت مبكر ويعود ذلك إلى الإمام جعفر الصادق الذي أرسل الدعاة إليه. وتذكر بوبة مجاني:"أنّ الغموض الذي اكتنف بدايات الدعوة والأفكار التي روج لها الدعاة كانت بسبب قلة الكتابات التاريخية من جهة وضياع ما دوّن مبكرا من جهة أخرى...أضف إلى ذلك سرية الدعوة وطبيعة المذهب القائم على تأويل الخبر وليس

---

[201] – تطلق على أتباع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث يرون أنّ الخلافة في أهل بيت النّبي(ﷺ) وأنّه أحق بخلافته، وأنّ النبي(ﷺ) عيّنه بنصوص الأحاديث. ومن أقسام الشيعة: المغيرية(البجلية)، الموسوية(الإثنى عشرية)، الإسماعيلية(الشيعية) التي أسس أتباعها دولة سنة 297هـ-909م ببلاد المغرب على يد الداعي أبي عبد الله الشيعي بعد فشل محاولتهم العديدة في المشرق. لجأ أئمتهم بعد جعفر الصادق إلى مبدأ التقية. وهؤلاء هم أتباع إسماعيل الذين يقولون بإمامته بالنص من أبيه جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب. والإمامة لا يتولاها إلا ابن الإمام، ولا تنتقل من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين. نجحت دعوتهم في بلاد المغرب وقامت الخلافة بفضل دعاتهم المهرة الوافدين إليه من المشرق، انظر: ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ط.2، تح. محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، 1996م، 35/5 وما بعدها؛ ابن خلدون، المصدر السابق، 246/1 وما بعدها؛ محمد أحمد عبد المولى، **القوى السنية في المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية**، دار المعرفة، مصر، 1984م، 89/1 وما بعدها؛ موسى هصام، **التّمكين للمذهب المالكي في المغرب الأدنى والأوسط بين القرنين الرابع والسادس الهجريين(10-12م)**، كنوز الحكمة، الجزائر، 2013م، 96/1-146؛ Madelung (W.), art «ISMAILIYYA», **dans E.I**, nouvelle Edition, par Lewis (B.), Ménage (V.L.), Pellat (J.), Leyde Brille (E.J), Paris, (G.-P.) Maisonneuve Larose (S.A.), 1990, (CH.) et Schacht T.3, pp. 206-215.

روايته"[202]. وعُرف هذا المذهب الشيعي أيضا عن طريق رحلات المغاربة إلى المشرق وإلى الحركة التجارية. وفي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/8م، كثّف دعاة الشيعة نشاطهم في نشر الدعوة بسبب تدهور أوضاع الخلافة العباسية في المشرق إقتصاديا وإجتماعيا، ما جعلهم يروجون فكرة الإمام المهدي المنتظر[203]، التي تمحور حولها الفكر الإسماعيلي، وجعلت منه الأمل الذي تتطلع إليه الفئات المحرومة إلى إمامهم الذي سيخلصهم من وضعهم المزري ومن ظلم المغتصبين للسلطة في نظرهم. وبعد منتصف القرن الثالث الهجري/9م أسندت الدعوة الشيعية إلى ابن حوشب الكوفي المسمى بمنصور اليمن، وذلك في سنة 266هـ-897م، فكان مسؤولا عن تكوين الدّعاة وإرسالهم إلى مناطق مختلفة[204].

واختلفت الروايات في من أرسل الداعيين أبي سفيان والحلواني إلى بلاد المغرب، فإحدهما تقول أن ابن حوشب بعثهما، بينما تقول الروايات الشيعية أنّ جعفر الصادق، أمرهما بالدخول إلى المغرب وأن يتجاوزا إفريقية إلى حدود البربر ثم يفترقان، فينزل كل واحد منهما في ناحية. ولما وصل الداعيان إلى مدينة مرماجنة، إختار أبو سفيان منطقة تالا، بينما وصل الحلواني إلى ناحية سوجمار فاختار منطقة الناظور، فبنى كل واحد منهما مسجدا ليكون مركز دعوته، فأقبل إليهم أتباع من كل حدب وصوب، ليسمعوا عنهما فضائل أهل البيت، وما تعرضوا له من اضطهاد، فكسب الداعيان أعدادا كبيرة من سكان مرماجنة، والأربس، ونفطة، وكتامة، ونفزة وسماتة، وكان الحلواني يقول:"بُعثت أنا وأبو سفيان إلى المغرب، فقيل لنا اذهبا فإنكما تأتيان أرضًا بورًا، فاحرثاها، وكرّباها وذلّلاها إلى أن يأتيها صاحب البذر فيجدها مذللة فيبذر حبّه فيها"[205]. نجح الداعيان[206] في نشر دعوتهما التي وصلت إلى مدن المغرب الأوسط.

---

[202] – بوبة مجاني، **دراسات إسماعيلية**، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2002-2003م، ص.79.

[203] – عن المهدي المنتظر، انظر: عبد الحميد بن حمدة، **المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية**، تونس، 1986م، ص.270-274.

[204] – القاضي النعمان(أبو حنيفة بن محمد بن حيون التميمي، كان حيا 363هـ-974م)، **كتاب افتتاح الدعوة**، ط.2، تح. فرحات الدشراوي، شركة تونس للتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية، تونس، 1986م، ص.4.

[205] – نفس المصدر، ص.29؛ **ابن خلدون**، المصدر السابق، 41/4؛ ابن الأثير، المصدر السابق، 450/6.

[206] – كانت المدة بين دخولهما ودخول أبي عبد الله الشيعي135 سنة، والشيعي هو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي، واخْتلف في نسبه فإن ابن خلدون والقاضي النعمان جعلاه من أهل الكوفة، أما صاحب المقفى والكامل ذكرا أنه من أهل صنعاء، كان ذا علم، وعقل، ودين، وورع، وأمانة، ونزاهة، أخذ أصول الدعوة من ابن حوشب داعي اليمن، فامتثل بسيرته ونظر إلى مخارج أعماله، ومجاري أفعاله فأخذ بها وعمل بها، إلى أن خرج حاجا إلى مكة ومنها إلى كتامة من بلاد المغرب، بأمر من ابن حوشب الذي قال له:"إنّ أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وماتا وليس لها

1- ظهور أبي عبد الله الشيعي في كتامة

دخل الدّاعي أبو عبد الله الشيعي بعد الداعيين إلى بلاد المغرب واعتمد على قبيلة جيملة الكتامية في دعوته، وكان قد التقى ببعض الحجيج الذين تشيعوا على يد الحلواني وأبي سفيان ورافقهم إلى قبيلة كتامة نذكر منهم: حريث الجيمليُّ وموسى بن مكارم[207].

تعتبر قبيلة جيملة من القبائل الأولى التي إعتنقت المذهب الشيعي بعدما إستقر أبو عبد الله الشيعي بقلعة إيكجان[208] وهي منطقة جبلية وعرة، ملائمة لحركة الدعوة الجديدة، ولوفرة خيراتها جعل الداعي يختارها كمركز للانطلاق دعوته نحو إفريقية. فاستطاع كسب ثقة الكتاميين. وكان أوّل نجاح حققه الداعي تقديمه لصلاة الظهر والعصر وإبعاد معلم الصبيان من ذلك، وهي ميزة الكتاميين يعظمون أصحاب العلم حتى لو كان عنده أقل شيء منه ويقدمونه حتى على المعلم الذي عنهدهم[209].

أظهر الداعي مذهبه برفضه النقود التي أعطيت له مقابل صلاته وتعليمه للصبيان قائلا:"لستُ بمعلم الصبيان! ... إنّما نحن أنصار أهل البيت، وقد جاءت الرّواية فيكم يا أهل كتامة! إنّكم أنصارها، والمقيمون لدولتنا، وإنّ الله يُظهر بكم دينه، ويُعزُّ بكم أهل البيت! وإنّه سيكون إمامٌ منهم أنتم أنصارُه، والباذلون مُهْجَتهم دونه، وإنّ الله يستفتح بكم الدنيا كلّها، ويكون لكم أجْرُكم مضاعفا: فيجتمع لكم خير الدنيا والآخِرة!"[210]. ولم يقم صلاة التراويح في أوّل شهر

=غيرك، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك. وكان يقول لأبي عبد الله الشيعي السيّد بكتامة كما تقول العرب لصاحب أمرها، انظر: **كتاب إفتتاح الدعوة**، ص.30 وما بعدها؛ ابن عذارى، المصدر السابق، 124/1؛ ابن الأثير، المصدر السابق، 450/6؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، 483/3؛ إدريس(عماد الدين القرشي، ت.872هـ-1488م)، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص.83 وما بعدها.

[207] – لم نعثر لهما على ترجمة في المصادر، إلاّ أنهما من بني سكتان، وقال عنهما موسى لقبال "إنّ النصوص لم تشر إلى موطن كل منهما، وأنّ مصيرهما بقي غامضا وأخبارهما منعدمة سواء بعد استقرار الداعي في ايكجان أو بعد انتقاله عنها إلى تازروت ولعل ذلك يفهم منه ثانوية دورهما في القبيلة"، انظر: القاضي النعمان، **كتاب افتتاح الدعوة**، ص.34، 47؛ موسى لقبال، **دور كتامة**، ص.107، 236 ، 250.

[208] – تقع منطقة إيكجان بين مدن قسنطينة سطيف وميلة، وكانت تابعة سياسيا لمدينة ميلة دون سطيف، انظر: موسى لقبال، **دور كتامة**، ص.154.

[209] – القاضي النعمان، **كتاب فتتاح الدعوة**، ص.36.

[210] – ابن عذاري، المصدر السابق، 127/1.

رمضان لأنّه يعتبرها ليست من سنة النبي (ﷺ) وإنّما سنّها الخليفة عمر بن الخطاب[211]. فشاع خبره في تلك النّواحي، واعترض بعضهم على ذلك إلاّ أنّ الداعي استطاع أن يكسب كثيرا من المعارضين. ودخلت قبائل كثيرة في دعوته وأنشأ ديوانا لتسجيلهم وألزمهم بالخدمة العسكرية، من أجل الدخول في طاعة الإمام المعصوم من أهل البيت. واتسمت إقامة الشيعي بكتامة في البداية بالهدوء ممّا ساعده على نشر دعوته في أنحائها[212] وانظمت إلى دعوته وفود من سائر البلاد[213]، وتأثر بعضهم بدعوته فاستقروا هناك وعاد البعض الآخر إلى بلدانهم فنشروا الدعوة بها.

2- انتصار أبي عبد الله الشيعي على المعارضة.

قاوم عمال مدن كتامة وقادة الجيوش الأغلبية هذه الدعوة، وبعد فشلهم هاجروا جميعا إلى خارج أرض كتامة وبقوا محتفظين بتقاليدهم السنية وبالمذهب المالكي[214]. وقد رفض بعض قادة القبائل الإنضمام إلى هذه الحركة، وتخوفت بعض القبائل من تبعية القبائل التي اكتسبت ميزة السبق[215]. ولم تقتصر المعارضة على القبائل بل ظهر العداء بين أفراد العائلة الواحدة. فاستغل أبو عبد الله الشيعي ذلك في تطبيق العقوبة على فرد من أفرادها. وممن عارض أبو

---

[211] – ترى الشيعة أن صوم رمضان فريضة وأنّ صلاة التراويح بدعة، فأبطلوها ذلك أن الرسول(ﷺ) ما صلاها ولو كانت خيرا ما تركها. ودليلهم أنّ الرسول(ﷺ) قام في بعض ليالي شهر رمضان وحده، فقام قوم خلفه فلما أحس بهم دخل بيته...ثم قال:"أيها النّاس لا تصلوا الفريضة ليلا في شهر رمضان ولا غيره جماعة، إنّ الذي صنعتم بدعة"، وأضافوا حسب رأيهم أنّ العامة روت هذا الحديث وأنّ صلاة النافلة لم تكن في عهده(ﷺ) ولم تكن في أيام الخليفة أبي بكر ولا في صدر من أيام الخليفة عمر بن الخطاب حتى أحدثه عمر، انظر: القاضي النعمان، **دعائم الإسلام**، تح. آصف بن علي أصغر فيض، دار المعارف، الإسكندرية، 2003م، ص.213-214؛ أحمد عبد المولى، المرجع السابق، 215/1 وما بعدها؛ أما السنيون فيرون أنّها سنة فعلية سنها الرسول(ﷺ) بعد صلاة العشاء في رمضان، وكان عليه السلام يرغبها في رمضان من غير أن يأمر بعزيمة وكان يقول:"من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"، وتوفي الرّسول(ﷺ) والأمر على ذلك وأبو بكر وصدر من خلافة عمر رضي الله عنهما، انظر:"الإمام مالك، **الموطأ رواية يحي بن يحي الليثي المصمودي**، تح. محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 2003م؛ الإمام مالك، **المدونة الكبرى**، **رواية الإمام سحنون عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم العتقي**، تح. عامر الجزار وعبد الله المنشاوي، دار الحديث القاهرة، 2005م، 323/1-324.

[212] – كانت دعوة أبو عبد الله الشيعي في مرحلتها الأولى تمتاز بالسرية والتستر، انظر: محمد بركات بيلي، **التشييع في المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الخامس الهجري**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993م، ص.74.

[213] – القاضي النعمان، **كتاب فتتاح الدعوة**، ص.52.

[214] – موسى لقبال، **دور كتامة**، ص.247.

[215] – القاضي النعمان، **كتاب افتتاح الدعوة**، ص.112.

عبد الله الشيعي أهل ميلة وسطيف وبلزمة ورؤساء قبائل لهيصة وأجانة، ولطاية، ومتوسة، وبعض بطون كتامة، من المحافظين على التقاليد القبيلية وعلى المذهب السني. وانضم إلى المقاومة من تضرر من الإجراءات الصارمة التي اتخذها الداعي ضدهم وقد طلبوا من بني سكتان التي أوته أن يناظرونه[216]. لكن أبا عبد الله الشيعي اختار الاختفاء عن الأنظار، ولا يعرف مكانه إلاّ من كان من المؤمنين خلافا "للكافرين" عند الشيعة الذين عارضوا دعوته. ثم انتقل من إيكجان إلى تازروت وذهب معه من استطاع من المؤمنين وترك الضعفاء هناك[217].

انظمت القبائل المعارضة إلى الداعي الشيعي بعد انهزامهم أمامه، فسقطت مدينة ميلة ثم سطيف وباقي المناطق الأخرى، فازدادت قوته باستيلائه على أموال المنهزمين. وبهذا النصر الذي حققه أقدم على بناء قاعدة لدولته الجديدة في تازروت، وسماها بدار الهجرة، حوالي سنة 289هـ-902م، لكي يتخذها فيما بعد الإمام عبيد الله المهدي[218] قاعدة له، لكن المهدي استغنى عنها واستبدلها بعاصمة الأغالبة. عاد الشيعي إلى جيملة وإيكجان بعدما زال

---

[216] – القاضي النعمان، **كتاب افتتاح الدعوة**، ص،91؛ وانظر أيضا: ابن خلدون، المصدر السابق، 451/4.

[217] – نفس المصدر، ص.87-88؛ ابن خلدون، المصدر السابق، 4/ 43-44؛ محمد الطالبي، **الدولة الأغلبية**، ص.691-692.

[218] – هو أبو محمد عبيد الله، الملقب بالمهدي، أوّل إمام الظهور في بلاد المغرب ولد في سنة 259هـ-872م في سلمية وقيل بالكوفة بعد وفاة أبيه سنة 249هـ-863م. خرج الإمام من سلمية متجها نحو المغرب لما استتب الأمر لأبي عبد الله الشيعي، لما وصل إلى مصر تنكر بزي التجار، بعدما أُشيع خبره، فهرب مع ابنه أبي القاسم بأموال كثيرة إلى سجلماسة، ولما وصلا إليها سجنهما آخر ملوكها اليسع بن مدرار، فنجح أبو عبد الله الشيعي فك أسرهم وفتح سجلماسة. انتقل عبيد الله المهدي إلى إفريقية وأقيمت له الدعوة ودعي بالخلافة في المغرب على منابر رقادة والقيروان، يوم الجمعة سنة 297هـ-909م، إلا أنه اختُلِفَ في نسبه على عدة أقوال: أنّه عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أو هو عبيد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر، وقيل هو علي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وغيرها من الأقوال، توفي بالمهدية في سنة 322هـ-934م، انظر: القاضي النعمان، **كتاب افتتاح الدعوة**، ص.269 وما بعدها؛ الصنهاجي(أبو عبد الله محمد الحمادي، ت.626هـ-1228م)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص.17-18؛ ابن خلكان، المصدر السابق، 118/3؛ المقريزي، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، ط.2، تح. جمال الدين الشيال، القاهرة، 1996م، 60/1 وما بعدها؛ ابن الأثير، المصدر السابق، 453/6؛ مصطفى غالب، **تاريخ الدعوة الإسماعيلية**، من أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية، 1953م، ص.101 وما بعدها.

خطر الانقسام فغيّر السّكة وأمر بالصلاة على عليّ رضي الله عنه في الخطب والإقتداء به بعد الصلاة على النبي(ﷺ) وزيادة "حي على خير العمل" في الأذان[219].

قسّم الداعي الشيعي كتامة إلى أسباع، وجعل لكل سبع منها عسكرًا، وقدم عليها مقدمًا ولقبهم بالمقدمين والدعاة وبالشيوخ[220]. وأبقى أعمال المؤمنين والفيء من المغارم على وليٍّ من المسلمين في أيدي المشايخ، فلم يكن يقبض منهم شيئا ولا يصل إليه حتى مجيء عبيد الله المهدي فأصبحت تدفع إليه[221]، وامتحنهم الداعي ومَن نجح رفعه بقدر ما يستحق، وكانوا يسارعون لهذه المحن ولا يرغبون عنها، كما أرسل الدعاة إلى باقي بلاد المغرب والمشرق، لنشر المذهب الإسماعيلي بين القبائل في الأرياف وسكان المدن ويتم ذلك بسرية تامة[222].

وتمكن أبو عبد الله الشيعي من هزم جيش الأغالبة، وملك عدة مدن إما عنوة أو بالأمان منها: طبنة وبلزمة وباغاية ومرماجنة وتيفاش وتبسة ومجانة ثم أرسل إلى عبيد الله المهدي يخبره بالفتح وهو في سجنه بسجلماسة ثم دخل رقادة فخرج أهل القيروان لاستقباله فأكرمهم وأمّنهم، ثم توجه نحو سجلماسة سنة 296هـ-908م لإخراج عبيد الله المهدي وابنه القاسم(القائم بأمر الله) [223] من السجن وفي نفس السنة وهو في طريقه استولى على الإمارة الرستمة.

ثالثا -معارضة المالكية للتشيع الإسماعيلي

1- المعارضة السلمية

أ - المناظرات بين فقهاء المالكية والشيعة

---

[219] - وضع المحققان﴿ وتوَكّلْ عَلَى الله- إِنَّكَ عَلىَ الحَقِ المُبِين﴾ سورة النساء، الآية 81، لكنه لما رجعنا إلى السورة وجدنا الشطر الأوّل من الآية 81 وهو ما يمكن تفسير ما فعله ابن عذارى عندما وضع علامة التعجب بينهما، انظر: ابن حماد الصنهاجي، المصدر السابق، ص.19-20؛ ابن عذارى، المصدر السابق، 1/150-151.

[220] - القاضي النعمان، **كتاب افتتاح الدعوة**، ص.124-125؛ موسى لقبال، **دور كتامة**، ص.243.

[221] - نفس المصدر، ص.125.

[222] - نفس المصدر، ص.126.

[223] - هو القائم بأمر الله محمد بن عبيد الله المهدي، وذكر ابن خلدون أنّه نزار، ولد في سنة 280هـ-893م، وقيل 277هـ-890م بالسلمية، ارتحل مع أبيه إلى مصر سنة 291هـ-904م، وهو صغير، فأقاما بها حتى دخلا بلاد المغرب. عهد له عبيد الله المهدي بالإمامة من بعده حسب الأصول الإسماعيلية، وكان قد أخفى موت أبيه أثناء ثورة صاحب الحمار حتى فرغ منها، انظر: المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، 1/74؛ **المقفى الكبير**، 6/169-170؛ ابن خلدون، المصدر السابق، 4/51؛ مصطفى غالب، المرجع السابق، ص.130.

حدث وأن طُلب من أبي عبد الله الشيعي أن يناظر وجوها من علماء كتامة مرتين فرفض واختفى عن الأنظار خوفا من أن ينكشف أمره ويفشل في قيام الدولة قبل تأسيسها. قام فقهاء المالكية والعامة بمقاطعة قضاة الشيعة وعمالهم، ورفض من استطاع دفع المال إليهم[224]، فأحس المهدي أنّه غير مرغوب فيه، فغيّر معاملته لهم ظنا منه أنّه يستطيع أن يقنعهم بالرأي لأنّ سياسة العنف لم تجدي. وكان عبيد الله المهدي ودعاته (أبو عبد الله الشيعي وأخوه العباس) ومن قضاتهم محمد بن عمر المروذي[225]، ممّن عقدوا مناظرات مع المالكية، وعملوا على إقناعهم وإلزامهم الحجة، وترجيح أرائهم في مذهبهم الشيعي.

كانت الغلبة في هذه المناظرات لأبي عثمان سعيد بن الحداد، الذي كان يرد على أهل البدع من المخالفين للسنة، فمثل المسلمين فيها أحسن تمثيل، حتى شبهه أهل القيروان بأحمد بن حنبل أيام محنة (خلق القرآن)[226]، فكانت مناظراته مع أبي عبد الله الشيعي في مسألة "التفضيل" أي أفضلية أئمة أهل البيت على غيرهم من الصحابة، وحول إثبات أن محمد (ﷺ) خاتم النبيين. ومع عبيد الله المهدي حول حديث:"من كنت مولاه فعلي مولاه"[227].

وكان القاضي المروذي الشيعي يرسل في طلب الفقهاء من المالكية والحنفية ليناظرهم في بعض المسائل عسى أن يرجعهم إلى مذهبه، منها: قيام رمضان فكان يقول لهم :"إن وجبت لكم الحجة رجعنا إليكم وإن وجبت لنا رجعتم إلينا"[228]. ودارت مناظرات أيضا حول المسائل التي تتناول الفقه وأصوله، ومناقب الصحابة ومراتبهم وأخرى كلامية ذات المدلول

---

[224] – المالكي(أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله محمد، ت.474هـ–1082م)، مقدمة **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسائهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تح. حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951م، 17/1.

[225] – الدباغ، المصدر السابق، 291/2.

[226] – نفس المصدر، 298/2.

[227] – ابن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني، ت.241هـ– 856م)، **المسند**، شرحه ووضع فهارسه حمزة بن أحمد الزين، دار الحديث، القاهرة، 1995م، 1/ 84؛ الترمذي(محمد بن عيسى بن سورة، ت.679هـ–1280م)، **السنن**، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كتاب المناقب عن رسول الله، رقم 3713، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص.842؛ وصححه الألباني في صحيح السنن للترمذي، باب المناقب، رقم 3713، 521/3–522؛ ابن ماجة(أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت.673هـ–1274م)، **السنن**، تأليف ضفاء الضوّ أحمد العدوي، باب فضائل علي– كرّم الله وجهه– رقم 121، دار اليقين، 2001م، 81/1 ؛ وصححه الألباني في كتاب المناقب، باب فضائل علي كرّم الله وجهه– رقم 121، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ص.37.الدباغ، المصدر السابق، 299/2.

[228] – الدباغ، المصدر السابق، 299/2–300؛ عبد العزيز مجدوب، المرجع السابق، ص.151.

السياسي[229]، منها: مسألة خلق القرآن، القياس، الإمامة، مسألة التفضيل(علي رضي الله عنه)، تكفير الصحابة[230]... التي فسروها بمفهوم خاطئ معتمدين على التأويل لظاهر النصوص (القرآن والسنة) وحسب ما تمليه عليهم ميولهم ومعتقداتهم. ولولا وقوف أهل النظر والجدل ومعرفتهم للأحاديث والآيات القرآنية وإدراكهم لمعانيها ومدلولاتها، وتبحرهم في اللغة العربية والنحو لمّا استطاعوا التغلب عليهم.

وفسّر بعض الباحثين أن سياسة الفاطميين مع فقهاء المالكية أمر طبيعي، فكل دولة تريد فرض سلطانها ومبادئها تتبع سياسة خاصة بها، ولو أدى ذلك إلى تعذيب وتشريد وقتل من خالفها[231]. فليس من الطبيعي أن تقاوم هذه الدول فيمن خالفها في الرأي والعقيدة، بل لابد لها من إقناعهم بالحجة والبرهان لأن العنف لا يجدي نفعا، فكل حركة تقاوم تزداد عنفا. وكانت المالكية في أعنف مظاهرها وأشد صمود مع بني عبيد رغم ما نالهم من قتل وتعذيب[232]. لكن عبيد الله المهدي ودعاته هُزموا من طرف فقهاء المالكية الذين أفحموهم بالحجة بعد الحجة مما أدى إلى زيادة شدة كراهية أهل إفريقية للعبيديين، فاستهانوا بأمرهم واستعدوا للانقلاب عليهم، وإزاء ذلك فكر عبيد الله المهدي في مغادرة القيروان وتركها للمالكية وبناء مدينة المهدية.

ب – ردود فقهاء المالكية بين الهجرة والاستقرار والتأليف.

بعد استلاء الفاطميين على بلاد المغرب[233] وسيطرتهم على غالبية مدنه أثر بشكل مباشر على فقهاء المالكية الذين تعرضوا للتعذيب والتقتل، فتشرق(تشيع) من لم يتحمل ذلك، وقاومهم

---

[229] – محمد اليعلاوي، "الجدل المذهبي بين المالكية والشيعة عند انتصاب العبيديين"، **ملتقى القيروان مركز علمي مالكي بين المشرق والمغرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة، 4-5- 6-ذو القعدة 1414هـ الموافق ل 15-16-17 أفريل 1994م**، مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، ص.270.

[230] – شكك الشيعة في إيمان الصحابة –رضي الله عنهم– لقوله تعالى﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتتمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (سورة أل عمران، الآية144)، فأولوا الآية وقصدوا من قوله تعالى أنّ الصحابة ارتدوا بعد وفاته(ﷺ) استشهد أحدهم أنّ عمر بن الخطاب لما توفي الرسول(ﷺ) قال:" إن" رسول الله(ﷺ) ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران وغاب عن قومه أربعين ليلة، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي الرجال وأرجلهم"، انظر: محمد أحمد عبد المولي، المرجع السابق، 263/2؛ Brunschvicg (R.), «Le Fiqh Fatimide et histoire de l`Ifriqiya», **Dans les études d`Islamologie**, Edition G. P. Maisonneuve et Larose, 1976, Paris, T.1, pp.63-71.

[231] – أبو العزم داود محمد، **الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين**، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 1985م، ص.184.

[232] – المالكي، مقدمة(ط. القاهرة)، ص.13.

[233] – شهدت الأندلس في عهد الخليفة الناصر ازدهارا كبيرا في التعليم، ووصل ذروته في عهد الحكم المستنصر لحرصه وتشجيعه للعلماء، فقد أكرمهم واستقبلهم في بلده من جميع الأقطار، مشرقا ومغربا، فشجع الكتابة ونسخ الكتب حيث أمر

من بقي في وطنه، إلاّ أنّ البعض اختار الهجرة إلى مدن أخرى فرارًا منهم للحفاظ على أنفسهم ومذهبهم. وقد سئل الفقيه أبو محمد بن الكراني "إذا خيّره بنو عبيد بين الدخول في دعوتهم، أو القتل؟ فقال:"يختار القتل..." وعلى هذا كان جبلة ابن حمود، ونظراؤه، (ربيع) القطان، وأبو الفضل الممسي(ت.333هـ-944م)،..."[234]. وقال ابن ناجي في حق هؤلاء الفقهاء "...جزى الله مشيخة القيروان خيرًا هذا يموت، وهذا يضرب، وهذا يسجن، وهم صابرون لا يفرون، ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة"[235]. ومن الفقهاء الذين اختاروا الفرار: الفقيه أحمد بن الفتح التاهرتي البزاز فرّ إلى قرطبة سنة 325هـ-840 [236] ورحل إلى الأندلس أبو الفضل أحمد ابن أبي عون الوهراني(ت. بعد 341هـ-952م)[237]، واختار سعيد بن خلف الوهراني الرحيل إلى المشرق[238] وهاجر الفقيه محمد بن الحارث الخشني(ت.361هـ-971م)[239] ومحمد بن يوسف الوراق(ت.362هـ-972م) إلى الأندلس[240] وآخرون.

وكان فقهاء المالكية القيروان قد منعوا من المجالس العلمية في المساجد والفتيا أصبحوا يجتمعون سرا في دور أحدهم، مما أدى إلى تراجع الإنتاج العلمي سببه تغيير وجهة الفقهاء التي كانت فيما سبق محطتهم ومستقرهم فاستفادت منه الأندلس والمغرب الأوسط. ورغم

بشراء الكتب ونسخها من المشرق، انظر: منيرة بنت المهدي، **علماء الأندلس في القرنيين الرابع والخامس الهجريين**، الرياض، 2002م، ص.51.

[234] – القاضي عياض، المصدر السابق، 276/7-277؛ وانظر: Idris (H.R) , «Deux juristes Kairouanais de l`époque Ziride : Ibn Abi Zaid et Al- Qabisi X^e- XI^e», **annales de l`institut d`études Orientales**, Faculté des lettres de l`université d`Alger, 1954, T. XII, p.127.

[235]– الدباغ، المصدر السابق، 2/ 292.

[236] – أبو جعفر أحمد بن الفتح تاهرتي، ونسب في بعض المصادر إلى المليلة، كان عظيم القدر جليلةُ يضاهي بكر بن حماد في الشعر، من الذين هاجروا إلى فاس ثم انتقل إلى البصرة ومدح صاحبها أبا العيش، ثم ولى قضاء مليلة ثم دخل الأندلس سنة 325هـ-936م، خوفا من عساكر الشيعة، فأجاره عبد الرحمن الناصر وعينه قاضيا على ناحيته، توفي بالمليلة سنة 332هـ-943م، انظر: ابن عذاري، المصدر السابق، 103/1؛ ابن الفرضي(أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي، ت.403هـ-1013م)، **تاريخ علماء الأندلس**، تح. روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص.61؛ عبد الوهاب ابن منصور، **أعلام المغرب العربي**، المطبعة الملكية، الرباط، 1979م، 287/2.

[237] – ابن الأبار، **التكملة**، 111/1؛ نويهض، المرجع السابق، ص.348؛ الهنتاتي، المذ**هب المالكي بالغرب الإسلامي**، ص.137.

[238] – عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى منتصف القرن العشرين**، منشورات الكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1971م ، ص.208؛ الهنتاتي، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي**، ص.137.

[239] – القاضي عياض، المصدر السابق، 266/6؛ الدباغ، المصدر السابق، 81/3.

[240] – الحميدي(أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، ت.488هـ-1095م)، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، تح. روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م، ص.86.

استيلاء الخلافة الفاطمية على هذا الأخير إلا أنه لم يؤثر على بروز فقهاء المالكية في مدينة تاهرت ووهران والمسيلة، أما إفريقية ففي هذا القرن سادها نوع من التراجع في الإنتاج العلمي.

اختار فقهاء المالكية التأليف كمقاومة سلمية للشيعة، عكس غيرهم الذين اختاروا المقاومة بشكل أخر كالمقاطعة أو المناظرة. ومن هؤلاء الفقهاء الفقيه أحمد بن قاسم التاهرتي البزاز الذي كان تأليفه متنوعا فقد ألف كتابا في"**فضائل الجهاد**" لتوعية الفقهاء والعامة، ولمحاربة بني عبيد الذين كانوا يعتقدون كفرهم قطعا. وألف ابن أبي زيد القيرواني "**الرسالة**" في المذهب المالكي للمبتدئين ولتوعية العامة وبالمقابل ألف القاضي النعمان الشيعي كتاب"**دعائم الإسلام**". وألف الفقيه أحمد بن نصر الداودي المسيلي أول شرح لصحيح البخاري بعنوان "**النصيحة في شرح البخاري**"[241] و"**كتاب الأموال**"[242] ربما عبّر فيه عن السياسة المالية التي فرضتها الدولة الفاطمية على سكان بلاد المغرب من المعارضين لها. وكان الداودي أكثر بغضا وكرها للعبيديين مما جعله ينكر على معاصريه من الفقهاء سكناهم في مملكة بني عبيد وبقاءهم بين أظهرهم، فكتب إليهم بذلك، إلاّ أنهم عارضوه، وسبب ذلك حسب رأيهم أن بقاءهم مع عامة النّاس يكون لتثبيتهم على الإسلام، ولو خرجوا من إفريقية لتشرق من بقي من العامة الألف والآلاف[243]، فاختاروا ماهو خيرا لهم وللأمة جميعا. مما سبق يتضح أن الفقهاء لم يبقوا مكتوفي الأيدي، فرغم المحن التي تعرضوا لها، إلا أنّ الحياة الفكرية والثقافية كانت على مستوى كبير من الإزدهار؛ وهذا راجع إلى مساهمة الفاطميين أنفسهم وبطريقة غير مباشرة في جعل الاتجاه السني ينشط وينشر بشكل أقوى في المغرب الأوسط والأندلس.

2- المعارضة الدموية

ثورة صاحب الحمار[244] وانعكاساتها على فقهاء المالكية

---

[241] – القاضي عياض، المصدر السابق، 1/ 48 و 710/4، 717، 719؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص.47؛ عبد الوهاب بن منصور، **أعلام المغرب العربي**، المطبعة المالكية، الرباط، 1979م، 264/1.

[242] – تناول الداودي في كتابه الأموال مسائل لها علاقة بالحياة الإجتماعية أثناء وجود الفاطميين بالمغرب، منها مسألة الخمس وكيف يتم تقسيمها، والزكاة وماهي الأشياء التي تجب فيها وماهو مقدارها، والخراج، وذكر ما يجري على أيدي الأمراء من أموال وغيرها، انظر: الداودي(أبو جعفر أحمد بن نصر، ت.402هـ-1011م)، **الأموال**، تح. محمد أحمد سراج وعلي جمعة محمد، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 2001م، ص.65 وما بعدها.

[243] – القاضي عياض، المصدر السابق، 103/7.

[244] – انظر: Le Tourneau (R) La révolte de Abu-Yazid au X^{em} siècle, **les cahiers de Tunisie**, revue de sciences humaines, T.I. 1er trimestre, 1953.

نشأ أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني(صاحب الحمار) في توزر واعتنق المذهب النكاري، ثم أقام بتاهرت وسجلماسة قبل عودته إلى قسطيلية[245]، وذكرت بعض المصادر أنّ الإباضيين يعتبرونه من المفسدين في الأرض[246]. كان أبوه قسطيلية من مدائن توزر كان تاجرا، رحل إلى تقيوس لما خرج الداعي إلى سجلماسة المهدي[247] استمر في تعليم الصبيان القرآن جعله مهنة لِبَثِ أفكاره المناوئة للنظام الفاطمي ثم التجأ إلى جبل الأوراس لينشر دعوته علانية، ومنها إلى تاهرت. وتعتبر ثورته من أخطر ردود الأفعال ضد الوجود الفاطمي بالمنطقة، بسبب السياسة المالية الجائرة التي انتهجتها الدولة الفاطمية والمتمثلة في الضريبة التي مسّت أبو يزيد عندما قصد الحج. فكل بلد كان يمر منه إلاّ وطُلب منه دفع المكس.

تضرر كيداد وابنه أبي يزيد[248] من ثقل المكوس التي فرضتها الشيعة، فقرر أبو يزيد مقاومتم بالدعوة إلى "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، و"محتسبا على جباة الأموال"[249] و"تكفير الشيعة" و"استباحة أموال ودماء الشيعة"[250]. فاستغل ضيق الفقهاء والعامة من معاملة الفاطميين[251]، فكثر أتباعه واشتدت قوته، وكانت بداية ثورته سنة 322هـ-943م، بتنظيم غارات على باغاية فقدمت إليه قوات كتامية، من ميلة وسطيف وبلزمة وتيجس وهوارة وورفجومة، فأزاحهم أبو يزيد وأجبرهم على الانسحاب إلى باغاية... ثم احتل تبسة وتمكن من مرماجنة حتى وصل إلى حدود إفريقية.

استولى أبو يزيد على الأربس فسفك الكثير من الدماء وحاول القائم بأمر الله وقّف هذا الزحف إلاّ أنّه مُني بالفشل ممّا سمح لأبي يزيد الدخول إلى تونس، فاستولى على رقادة والقيروان في سنة 333هـ-944م، وحاصر المهدية، وضيّق الخناق على أهلها، حتى أكلوا الدواب، والميتة وافترقوا في النواحي، ويعود نجاح أبا يزيد إلى التحالف المالكي وبعض الأحناف

---

[245] – فرحات الدشراوي، **الخلافة الفاطمية بالمغرب (296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات**، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ص.248.

[246] – ذكرت الرّواية الإباضية أنّه وُجد على حجر مكتوب عليه:"ثلاثة مفسدون في البلاد، شداد بن عاد، وفرعون ذي الأوتاد، ومخلد بن كيداد"، وهو تأكيدا ما قام به عند دخوله القيروان من تخريب وما فعله من الفسوق والمعاصي والفجور، انظر: أبو زكريا، المصدر السابق، ص.176 وما بعدها؛ ابن الأثير، المصدر السابق، 189/7؛ موسى لقبال، **دور كتامة**، ص.427.

[247] – ابن خلدون، المصدر السابق، 52/4؛ ابن الأثير، المصدر السابق، 188/7.

[248] – إدريس عماد الدين، المصدر السابق، ص.265؛ بوبة(نفس المرجع).

[249] – ابن عذارى، المصدر السابق، 173/1؛ موسى لقبال، **دور كتامة**، ص.54.

[250] – ابن خلدون، المصدر السابق، 52/4؛ ابن الأثير، المصدر السابق، 188/7-189.

[251] – ابن عذارى، المصدر السابق، 193/1.

الذين أعطوا لهذه الثورة الشرعية مدفوعين بما تعرضوا له من محن على يد الفاطميين[252]، فاكتسبت هذه الثورة طابعا سنيا.

استغل أبو يزيد الفرصة فأظهر الترّحم على أبي بكر وعمر خلافا لما ذهبت إليه الشيعة من تكفيرهم، وأمر أتباعه بقراءة مذهب مالك والالتزام به ومع ذلك فإنّ فقهاء المالكية لم يكونوا واثقين منه تمام الوثوق، في البداية، لكنّ بغضهم لبني عبيد حملهم على الانضمام إليه[253]، وراقب تطبيق قواعد الشرع الإسلامي وتنفيذها بواسطة الاحتساب على الولاة والعمال وأوساط الناس، كما دعى إلى التكتل لقتال الشيعة، والحط من شأنهم وشأن أئمتهم[254].

تشاور المتحالفون في مسجد الجامع بالقيروان لمحاربة الفاطميين[255]، ومن تشيع معهم، واتفقوا على الالتقاء في المصلى فلم يستوعبهم فقرروا أن يطوفوا بشوارع القيروان في اليوم الموالي. فخرج الجميع ومن معهم محتشدين في سماط القيروان حاملين مصاحفهم في أيديهم، ينادون الجهاد الجهاد، ورافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبي(ﷺ) والترّحم على أصحابه وأزواجه–رضي الله عنهم– ويعلنون البراءة من الفاطميين ومن ذهب مذهبهم. وتحريض العامة على قتال الشيعة[256].

ومن أبرز فقهاء المالكية المشاركين في هذه الثورة عباس الممسي، وإسحاق السبائي، وأبو العرب صاحب كتاب "**الطبقات**"، وربيع القطان. فقد استنهضوا عزائم الناس للجهاد ورغبوهم في القتال وتمكنوا من تعبئة الرأي العام، واتفقوا على أن يكون اللقاء في المسجد الجامع يوم الجمعة بالقيروان. شارك خمس وثلاتين من الفقهاء والصلحاء، فالتحقوا بأبي يزيد حاملين أسلحتهم ويدقون الطبول ويرفعون سبعة بنود والتي ركزوها قبالة مسجد القيروان، كتب عليها شعارات[257]، ثم قام أبو العرب فخطب خطبة أبلغ فيها وحرض الناس على الجهاد ثم تلا آيات قرآنية منها قوله تعالى:﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ﴾[258]. إلا أن القصد من أبي يزيد كان القضاء على السنيين المشاركين في هذه المعركة وأعداءهم الفاطميين بضربة واحدة ليسيطر على المدن ويظهر مذهبه الإباضي النكاري.

---

[252] – القاضي عياض، المصدر السابق، 5/305–307.

[253] – نفس المصدر، 1/13.

[254] – ابن عذارى، المصدر السابق،1/217؛ موسى لقبال، **دور كتامة**، ص.427.

[255] – القاضي عياض، المصدر السابق، 5/304؛ ابن عذارى، نفس المصدر، 1/217؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص.201.

[256] – القاضي عياض، المصدر السابق، 5/304.

[257] – نفس المصدر، 5/305–306؛ ابن عذارى، المصدر السابق، 1/217.

[258] – سورة النساء، الآية 95.

لم يتفطن السنيون لمكيدة أبا يزيد فأخلصوا في القتال وسقط منهم خمسة وثمانون رجلا عرفوا حقيقة الأمر وكشفوا عن نواياه وعداءه الشديد لهم[259]، ففارقوه واشتد بغضهم له. فبدأت ثورته تضعف وزادت بعد مراسلة الفقهاء للمنصور بن القائم[260]، وعبّروا عن مساندتهم له ضد أبا يزيد. فاستوجب على المنصور إعادة النّظر في معاملته للسنيين بما فيهم العامة، فعيّن أبا عبد الله محمد بن أبي منظور قاضيا مالكيا، وبعد وفاته خلفه عبد الله بن هشام المالكي. وبجانب فقهاء المالكية كان القاضي النعمان الشيعي يقضي أيضا لتسهيل عملية السّيطرة على إفريقية وما وراءها. وأظهر المالكية مدح وصحة نسب الشيعة لآل البيت وقبول هداياهم. وأسقط المنصور عنهم الجباية وأعفى جميع الناس مسلمهم وذميهم من جميع الضرائب الشرعية وغيرها، وتعهد أن لا تأخذ منهم إلاّ العُشر وفقا لأحكام الشرع. أمّا مع باقي المدن المجاورة حاول إغرائهم بمناصب في الدولة شريطة اعتناق المذهب الشيعي[261].

رابعا- المذهب المالكي ومحنة فقهاء المالكية.

1 – السياسة المالية

إنّ السياسة المالية التي شرعها عبيد الله المهدي هي تتمة لما كان في مرحلة الستر، فمن مهام الدعاة إرسال الأموال التي يجمعونها إلى الإمام وقد عانى المغرب الإسلامي عامة من السياسة المالية التي فرضتها الخلافة الفاطمية في مرحلة الدعوة فما غنمه الداعي أبو عبد الله من الانتصارات وضعه في أيدي المشايخ والأولياء وإلى عبيد الله المهدي إلى المشرق وسجلماسة[262]، آخذا بالآية﴿أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُول وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[263]، "وأولي الأمر" هم الإسماعليون وطاعتهم واجبة. وطاعة المهدي واجبة مثل طاعة الرّسول(ﷺ)، وأنّ الصدقات والغنائم هي حق من حقوقهم ويجب ردها إليهم لأنهم يعتبرونها من الحقوق التي اغتصبت

---

[259] – القاضي عياض، المصدر السابق، 5/306-307، ابن عذارى، المصدر السابق، 1/217.

[260] – هو إسماعيل بن القائم بأمر الله المسمى "المنصور بالله"، ولد بالمهدية في جمادى سنة 303هـ-915م، وقيل ولد بالقيروان سنة 302هـ-914م تقلد الإمامة بعد وفاة القائم الذي كان محاصرا في المهدية خوفا من أبي يزيد، ووعد لمن يُحضر رأس أبا يزيد يكافأه بعشرة ألاف دينار، إلا أنّ النجاح حاله في الأخير في سنة 336هـ-947م، واختلف في وفاته بين 13 شوال سنة 334هـ-957م وآخر شوال 341هـ-952م، انظر: القاضي النعمان، **كتاب افتتاح الدعوة**، ص.334-335؛ ابن الأثير، المصدر السابق، 7/210.

[261] – بوبة مجاني، **النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي، (296-362هـ/909-973م)**، رسالة دكتوراه(منشورة) في التاريخ الإسلامي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1995م، ص.66.

[262] – القاضي النعمان، **كتاب افتتاح الدعوة**، ص.173؛ الحبيب الجنحاني، "السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب"، **مجلة الأصالة**، السنة السادسة رمضان- شوال 1393هـ، سبتمبر- أكتوبر 1977م، العدد 49-50، الجزائر، ص.52.

[263] – سورة النساء، الآية 59.

منهم. وكانت مسألة الأحباس مختلف فيها بين الفاطميون والمالكية إلاّ أنّ القاضي النعمان نسب الأحباس لعلي–رضي الله عنه– لأنّه عمل بها[264]. ويعتبرون الأحباس التي عقدتها المالكية –في نظرهم–غير شرعية[265] فيستولون عليها ويدخلونها في بيت المال، وفي حالة عزلهم من الوظائف الدينية(القضاء، والإمامة في المسجد...) لرفضهم التشريق(التشيع)، يحرمون من الانتفاع ببعض موارد الأحباس[266]. لذلك استولى المهدي على قصر زيادة الله وما تبعه من أحباس وأخلاه من سكانه، وقد تضرر المالكية من هذه السياسة التي نتج عنها تقلد المناصب العليا للفاطميين كالقضاء والإفتاء وامتلاك الضياع والأراضي الخصبة، والحوانيت واحتكار بعض السلع الرائجة في أسواق إفريقية، فكونوا بذلك الطبقة الأكثر خطرا على الدولة. كما تجاوز الفاطميون في حدود الإرث فقد جعلوا من مات ولا وريث له ورثه عبيد الله المهدي[267].

2 – اضطهاد المالكية

تعرضت المالكية للاضطهاد من طرف الشيعة فضُربوا وطيف بهم في الأسواق بسبب لإفتائهم بمذهب مالك والطعن في نسبهم. وقُتل بعضهم لتفضيل بعض الصحابة على عليّ – رضي الله عنهم[268]، وسُجن البعض الآخر منهم القابسي الذي ألف كتاب "**الإمامة**" و"**الرد على الرافضة**"[269]. وقد بلغ عدد الذين سجنوا وقتلوا من العلماء والعباد في سجن المهدية "دار النحر" أو "دار البحر" بأربعة ألاف[270]. وصدرت عنهم أفعال مخالفة لمبادئ الدين الإسلامي فقد نصبوا الأعمى السباب في الأسواق للسب بأسجاع لقنها فسب النبي(ﷺ) بألفاظ[271] وزوجاته

---

[264] – أوقفت فاطمة الزهراء– رضي الله عنها– حوائطها السبعة على زوجها علي ثم على الحسن ثم الحسين ثم الأكبر من ولده، وأوقف علي– رضي الله عنه– عدة أمواله ذكرها في كتاب وصيته ...، انظر: القاضي النعمان، **دعائم الإسلام**، 341/2 وما بعدها؛ الهنتاتي، "الأحباس بإفريقية وعلماء المالكية إلى منتصف القرن 6هـ/12م"، **الكراسات التونسية**، العدد 174، الثلاثية الثالثة، تونس، 1996م، ع. 174، ص.98.

[265] – القاضي النعمان، **دعائم الإسلام**، 576/2.

[266] – الهنتاتي، **الأحباس بإفريقية**، ص.97 وما بعدها من عدة صفحات.

[267] – ابن عذارى، المصدر السابق، 268/1.

[268] – نفس المصدر، 265/1؛ القاضي عياض، المصدر السابق، 336/5–337؛ الجودي(أبو عبد الله محمد بن صالح القيرواني، ت.1373هـ– 1943م)، **تاريخ قضاة القيروان**، تح. أنس بن الشيخ محمد العلاني، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2004م، ص.100.

[269] – وقيل أنّ هذا الكتاب لمحمد بن سحنون التنوخي، انظر، القاضي عياض، المصدر السابق، 257/6–258.

[270] – المالكي، (ط. بيروت)، 277/2.

[271] – نفسه.

وأصحابه حاشا علي بن أبي طالب والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري زعما منهم أنّ الصحابة إرتدوا بعد وفاة الرسول(ﷺ) ومنع الفقهاء من الإفتاء إلاّ بمذهبهم، وأباحوا المحرمات منها إسقاط الرجم على المحصنين في الزنا، وإسقاط المسح على الخفين، وتحليل المطلقة ثلاثا، وأمروا بقطع صلاة التراويح[272]، وأحدثوا في الصلاة أمورا لم تكن معروفة كإحاطة البناث بالميراث والقنوت في الصلاة الجمعة قبل الركوع. وبالرغم من تمكن الدعاة اكتساب أنصار من قبيلة كتامة وغيرها التي وفرت لهم قوة عسكرية فاستطاعوا من خلالها القضاء على المعارضين من حكام وفقهاء والعامة من الناس وفرضوا مذهبهم بقوة وأسسوا دولة جديدة ذات مذهب جديد وهي الدولة الإسماعيلية أو العبيدية أو الشيعية أو الفاطمية. كما أنه لم تتمكن ثورة النكارية من القضاء عليها رغم التحالف السني (الحنفي، المالكي) اختارت الرحيل إلى مصرا كمركز لسلطتها حتى تفرض المذهب الشيعي بالمشرق وهو هدفها الأسمى.

المحاضرة الخامسة

المذهب المالكي(دخوله وانتشاره)

مقدمة

كان الصحابة–رضي الله عنهم–إذا لم يجدوا حكما في كتاب الله أو في سنة رسوله(ﷺ) يجتهدون بإصدار الحكم في المسائل التي تعترضهم. وواصل التابعون هذا النهج ولم يتعدونه إلاّ في اليسير ممّا بلغهم، ثم جاءت مرحلة أئمة المذاهب[273] الفقهية الأربعة (أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل)، واستطاعت مذاهب هؤلاء أن تبقى وتتغلب على المذاهب السنية

---

[272] – ابن عذارى، المصدر السابق، 128/1.

[273] – مفردها مذهب، وهو ما ذهب إليه الفقيه أو الإمام في المسائل الاجتهادية، وكذلك ما ذهب إليه أتباعه على القواعد والأصول التي وضعها. ما كان منصوصا عليه في الكتاب والسنة وعليه الإجماع فلا يعد مذهبا، لعدم انفراد أو اختصاص الفقيه به، فمسائل الخلاف هي التي يعد القول فيها مذهبا يعزى لصاحبه، انظر: أبو الأجفان، "المدرسة المالكية في إفريقية في عهد سيادة القيروان"، **بحوث الملتقى الأوّل للقاضي عبد الوهاب البغدادي**، دار البحوث للدّراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 2004م، ص.212.

الأخرى إلا أنها زالت بسرعة، كمذهب سفيان الثوري ومذهب الحسن البصري، ومذهب الأوزاعي. حيث انضم لكل إمام من هؤلاء الأربعة أتباع ومقلدون، وصاروا فيما بعد يجمعون أقوالهم وفتاويهم في مؤلفات ويبثونها في الناس. فظهرت مدارس فقهية انقسمت إلى مدرستين مشهورتين وهما: مدرسة الرأي (أبو حنيفة) بالعراق، ومدرسة الأثر(مالك بن أنس) بالمدينة.

ساد مذهب أبي حنيفة(ت.150هـ-767م) بإفريقية إلى أن دخل "**موطأ**" الإمام مالك بن أنس(ت.179-795م)، بواسطة عدد من الفقهاء كعلي بن زياد التونسي(ت.183هـ-799م)، وابن فروخ(ت.185هـ-801م) وعبد الله بن غانم (ت.190هـ-805م) والبهلول بن راشد(ت.183هـ-799م) وأسد بن الفرات(ت.213هـ-828م) إلى أن ظهر الإمام سحنون(ت.240هـ-854م) الذي غلَّب في أيامه مذهب مالك بن أنس فقد فض حلق المخالفين في مسجد الجامع[274]، فاستقر المذهب بعده وشاع في الأقطار. وأخذ قوم قلّة بالمذهب الشافعي ومذهب أبي سليمان داود الأصبهاني الظاهري[275].

أولا- إنتشار المذهب المالكي بإفريقية

أخذ سكان إفريقية في البداية مذهب أهل العراق (المذهب الحنفي) وكان أوّل المذاهب السنية انتشارا في بلاد المغرب. وقد ذكر القاضي عياض أنّ مذهب أبي حنيفة :"ظهر بإفريقية ظهورا كثيرا إلى قرب أربعمائة سنة فانقطع منها، ودخل منه شيء إلى ما وراءها من المغرب قديما..." [276].

---

[274] – كان أوّل من شرّد أهل الأهواء من المسجد الجامع، وكان فيه حلقات للصفرية، والإباضية، وظاهرين لزيغهم، إذا كانوا أئمة على الناس في المساجد عزلهم، أو معلمين لصبيانهم، أو مؤذنين، انظر: أبو العرب، **طبقات**، ص.102؛ القاضي عياض، المصدر السابق، 60/4.

[275]– هو سليمان بن علي بن خلف الأصفهاني المعروف بالظاهري. اختلف في سنة ولادته على أقوال منها في سنة 202هـ-817م أو في سنة 200هـ-815م. أخذ علمه عن إسحاق بن راهويه، وأبي ثور، وانتهت إليه رياسة العلم ببغداد. سمي بالظاهري نسبة إلى مذهبه الذي يأخذ بظاهر النّصوص – القرآن والسنة- فإن لم يجد نصا أخذ بالإجماع، إلاّ أنه يرفض القياس ولا يعمل به. له العديد من التصانيف منها" كتاب إبطال القياس"، وكتاب "الحجة" وغيرهما. اختلف في سنة ولادته كما اختلف في سنة وفاته وأرجحها سنة 270هـ-883م، انظر: الحنبلي(أبو الفلاح عبد الحي بن العماد، ت.1089هـ-1678م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت؛ عبد القادر بوعقادة، **المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنيين الثاني والثالث للهجرة (الثامن والتاسع الميلاد)**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، قسم التاريخ، الجزائر، 2004م، ص.198 وما بعدها من عدة صفحات.

[276] – المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص.45؛ القاضي عياض، المصدر السابق، 65/1.

لما دخل المذهب المالكي إلى بلاد المغرب تعايش المذهبان إذ أن بعض الفقهاء حمل المذهبين معا كابن غانم وابن فروخ وأسد بن الفرات، فالمالكية والحنفية في إفريقية كانوا على ألفة، وقد وصف المقدسي القيروان بقوله:"...هي فرضة المغربين ومتجر البحرين، لا ترى أكثر مدنها ولا أرفق من أهلها، ليس غير حنفي ومالكي مع ألفة عجيبة لا شغب بينهم ولا عصبية..." [277]. وكان أسد بن الفرات إذا سرد أقوال العراقيين(المذهب الحنفي) في مجالسه يقول له مشايخ المدنيين: أوقد القنديل الثاني يا أبا عبد الله فيسرد أقوال المدنيين (أي مالك بن أنس)[278]. يرجع الفضل إلى الفقيه علي بن زياد التونسي[279]، وابن الأشرس[280]، والبهلول بن راشد[281] وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم في إدخال المذهب المالكي إلى إفريقية[282]، فأخذه الكثير من النّاس حتى توسع في أوساطهم، وما يزال ينتشر إلى أن جاء سحنون بن سعيد فغلب في أيامه. فقد سمع سحنون من علي بن زياد بافريقية الذي لا يوجد أفقه منه في عصره، فقد سمع من الإمام مالك وسفيان الثوري والليث بن سعد[283].

---

277 – **أحسن التقاسيم**، ص.186.

278 – القاضي عياض، المصدر السابق، 474/2-475.

279 – هو علي بن زياد التونسي العبسي، أصله من العجم، ولد بطرابلس، ثم انتقل إلى تونس، وقيل أنّه من عبس، فقيه ثقة، سمع في المشرق من الإمام مالك وسفيان الثوري والليث بن سعد، وابن لهيصة وغيرهم، وفي إفريقية من خالد بن أبي عمران، وسمع منه بإفريقية البهلول بن راشد وسحنون بن سعيد وأسد بن الفرات، عُرض عليه القضاء على إفريقية فرفض، وهو أوّل من أدخل موطأ مالك إلى إفريقية سنة 150هـ-767م. وقد وصلت إلينا قطعة من تحقيق محمد الشاذلي النيفر، انظر: الإمام مالك، **الموطأ رواية علي ابن زياد التونسي العبسي**، تح. محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978م، ص.7، وتعتبر أوّل رواية ظهرت، انظر: أبو العرب، **طبقات**، ص.251؛ القاضي عياض، المصدر السابق، 326/1 وما بعدها.

280 – أبو مسعود عبد الرحمن بن الأشرس من أهل تونس من الأنصار، ثقة درس عن الإمام مالك بن أنس وابن القاسم وقد نُسب إليه كتاب علي بن زياد التونسي "خير من زينته"، انظر: أبو العرب، **طبقات**، ص.253؛ القاضي عياض، المصدر السابق، 26/1-27.

281 – أبو عمرو البهلول بن راشد، أصله من القيروان، من الثقات والمجتهدين، مستجاب الدعوة، وسمع في إفريقية من عبد الرحمان بن زياد وموسى بن علي بن رباح، وسمع منه سحنون وعون بن يوسف الخزاعي(ت.239-853م)، سمع في المشرق من الإمام مالك والليث وسفيان، انظر: أبو العرب، نفس المصدر، ص.52؛ المالكي، رياض النفوس(ط، بيروت)، 201/1؛ القاضي عياض، المصدر السابق، ص.330 وما بعدها.

282 – جاء في كتب الطبقات أن إفريقية قد غمرها المذهب المالكي قبل أن يسافر سحنون إلى المشرق، وقد بلغ عدد الفقهاء أكثر من ثلاثين فقيها كلهم لقي مالك بن أنس وسمعوا منه، إلاّ أن الفقه والفتيا كان في القليل منهم، فقدم سحنون بالمذهب المالكي إلى إفريقية وانتشر بها، انظر: القاضي عياض، المصدر السابق، 591/2؛ الدباغ، المصدر السابق، 83/2.

283– أبو العرب، **طبقات**، ص.251؛ القاضي عياض، المصدر السابق، 326/1.

ونسب بعض المؤرخين المعاصرين دخول المذهب المالكي إلى أسد بن الفرات[284]، في حين تؤكد المصادر على أنّه أخذ العلم عن علي بن زياد بتونس قبل رحيله إلى المشرق للسّماع عن الإمام مالك[285]. وقال أسد بن الفرات عن علي بن زياد:"إنّه أوّل من تعلمت العلم عليه"[286] معنى ذلك أن عليا بن زياد هو الذي أدخل المذهب المالكي بشهادة أسد بن الفرات. ولما تولى سحنون القضاء، فض حلقات المخالفين في مسجد الجامع، فكان أوّل قاض قام بتفريقهم، وأدّب جماعة منهم لمخالفتهم أمره، فشاع المذهب المالكي واستقر بإفريقية وغيرها من بلاد المغرب في عهده حتى دخول الفاطميين. وذكر ابن خلكان أنّ:"...مذهب أبي حنيفة- رضي الله عنه- بافريقية أظهر المذاهب فحمل المعز بن باديس الصنهاجي(406هـ-1015م) جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك- رضي الله عنه- وحسم مادة الخلاف في المذهب واستمر الحال من ذلك الوقت إلى الآن"[287]أي زمن ابن خلكان. كان مذهب أبي حنيفة أظهر المذاهب في القرون الأولى، ثم ظهرت مذاهب سنية أخرى(مالكية، شافعية، ظاهرية)، وأخرى غير سنية كالصفرية والإباضية والنكارية والمعتزلة والشيعية حتى مجيء المعز بن باديس، فحمل الناس على التمسك بمذهب الإمام مالك، وقطع ما عداه حسماً لمادة الخلاف المذهبي، فالمذهب الحنفي كان أظهر المذاهب السنية في دولة بني عبيد لموافقتهم في مسألة التفضيل، يقول القاضي عياض:"فكان فيهم القضاء والرئاسة وتشرق قوم منهم واصطيادا لدنياهم وأخرجوا أضغاثهم عن المدنيين فجرت على المالكية في تلك المدة محن"[288].

ويعود سبب انتشار المذهب المالكي في عهد سحنون إلى توليه القضاء(234هـ-848م)، وكان لا يخاف في الله لومة لائم، فقد عارض بعض القضاة في أحكامهم، مما عرّضه

---

[284] – الجنحاني الحبيب، **القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م، ص.155؛ السيد محمد أبو العزم داود، المرجع السابق، ص.62.

[285] – أبو العرب، **طبقات**، ص.82، القاضي عياض، المصدر السابق، 326/2.

[286] – المالكي، (ط. القاهرة)، ص.158؛ الهنتاتي، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي**، ص.38.

[287] – ابن خلكان، المصدر السابق، 234/5؛ ابن أبي دينار(محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، ت.1092هـ-1681م)، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط.3، دار المسيرة، بيروت، 1993م، ص.103.

[288] – القاضي عياض، المصدر السابق، 26/1.

إلى محن من قبل بعض أمراء الأغالبة وقضاتهم[289]، كعبد الله بن أبي جواد القاضي الحنفي المعتزلي لمعارضته له في مسألة "خلق القرآن" فصدر حكم إعدام سحنون، الذي لم ينفذ[290].

ومما يثير الانتباه أن فقهاء المالكية لم يقبلوا منصب القضاء بسهولة كالفقيه علي بن زياد التونسي الذي رفض تولي القضاء عند ما طلب منه والي إفريقية ذلك، وقد كان له تأثير في نشر المذهب[291]، وتحدث عن ذلك الشاذلي النيفر قائلا:"هذه المدرسة التي وضع لبنتها علي بن زياد وهي مدرسة مالك بن أنس فهو الذي أدخل مذهبه الديار وعرّف به وشرحه للناس وبيّن لهم قواعده حتى اقتنعوا به ولم يجتذبه إليه بسلطان ولا بنفوذ"[292]. وكان الإمام سحنون قد رفض عرض الأمير الأغلبي محمد بن الأغلب(227-242هـ/842-857م) ولاية قضاء إفريقية ولما ألح عليه وافق طلبه وحلف له بأشد الأيمان وأعطاه العهد أنه يطلق يديه على أهل بيته وقرابته وخدمه وحاشيته، وينفّد عليهم الحق أحبّوا أم كرِهوا[293]. ولم ينجح الأغالبة في القضاء على المذهب المالكي في بدايته، إلا أن أمراءهم قاموا بتولية قضاة من المالكية عوضا عن الحنفية.

كانت تعقد مناقشات والمناظرات بين الحنفية والمالكية في المساجد وأحيانا في بلاط الأمراء، وقال المقدسي:"ما رأيت فريقين أحسن اتفاقا وأقل تعصبا من أهل القيروان، وسمعتهم يحكون عن قدمائهم حكايات عجيبة حتى قالوا، إنّ القاضي كان سنة حنفيا وسنة مالكيا"[294] وقد تحدثت المصادر عن تولي قاضيين في القيروان في نفس الوقت، وحدث ذلك ثلاث مرات في فترات متقطعة في عهد الأغالبة، **الأولى:** في عهد الأمير زيادة الله الأوّل بن إبراهيم، الذي أبقى القاضي أبا محرز محمد بن عبد الله الكناني المالكي مع أسد بن الفرات قاضيا حنفيا، و**الثانية:** في عهد الأمير أبي العباس محمد بن الأغلب، الذي عين مع سحنون قاض ثاني

---

289 – تعرض بعض الفقهاء المالكية للتعذيب والسجن لمخالفتهم الحنفية في بعض الأحكام وبعض المسائل كخلق القرآن، انظر: القاضي عياض، المصدر السابق، 276/7؛ الدباغ، المصدر السابق، 93/2 وما بعدها.

290 – نفس المصدر، 55/4 ،61، 70.

291 – أبو العرب، **طبقات**، ص.101-103؛ القاضي عياض، المصدر السابق، 45/4 وما بعدها؛ الدباغ، المصدر السابق، تح. محمد الأحمدي أبو النور، ومحمد الماضور 353/2 وما بعدها.

292 – الإمام مالك، **موطأ رواية علي بن زياد**، ص.36؛ عمر الجيدي، **محاضرات في تاريخ المذهب**، ص.23.

293 – ابن عذارى، المصدر السابق، 109/1؛ القاضي عياض، المصدر السابق، 56/4.

294– المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص.195؛ ابن عذارى، المصدر السابق، 155/1؛ عمر الجيدي، "محاربة المذهب المالكي في المغرب"، **مجلة دعوة الحق**، ع.225، أكتوبر- نوفمبر، الرباط، 1982م، ص.70؛ **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي**، ص.43 وما بعدها.

من المغرب الأوسط اسمه الطبني، والثالثة: في عهد الأمير زيادة الله الثالث فكان القاضي حماس ابن مروان مالكي والقاضي محمد بن أحمد بن جيمال الحنفي. وهذه طريقة المبتكرة في القضاء لإرضاء الرّعية، فكان للمذاهب الإسلامية دور هام في اختيار القاضي الحنفي والمالكي والمعتزلي للتنافس على القضاء، لكن المذهب المالكي كسب رواجا فساعد القاضي سحنون على انتشاره[295].

قام سحنون بتغييرات جذرية في الدولة الأغلبية، فجعل إماما في المسجد الجامع يصلي بالنّاس، وكان ذلك للأمراء دون غيرهم، وجعل الودائع عند الأمناء دون القضاة فقد كانت في بيوتهم، كما اهتم بالبوادي فجعل عليها أمناء أرسلهم من القيروان لينظروا فيما يصلح من السلع وما يغش منها، فقد كان ذلك للصلحاء من أهلهم يكلفون بذلك. وقام ببناء بيتا لنفسه في الجامع حتى يسهل عليه الحكم بين الخصمين، واستعمل قضاة المالكية هذا البيت بعد سحنون، فكان إذا وُلي قاض حنفي هدمه وإذا ولي مالكي بعده بناه[296].

ثانيا- انتشار المذهب المالكي في الأندلس

اعتمدت الدولة الأموية في الأندلس في البداية على مذهب الأوزاعي، الذي انتقل إليها مع جند الشام ومع عبد الرحمن الداخل بعد زوال الخلافة الأموية في المشرق، وبعد القرن الثاني الهجري/8م اتجه عدد من الطلبة إلى المدينة بدافع زيارة الحرمين وبدافع التعلم والاتصال بكبار العلماء، فأخذوا مختلف العلوم وتفقهوا عن الإمام دار الهجرة مالك بن أنس وأصحابه، من بين هؤلاء أبا عبد الله زياد بن عبد الرحمن اللخمي، وقرعوس بن العباس، والغازي بن قيس وغيرهم فرجعوا إلى وطنهم بعلم مالك وأبانوا للنّاس فضله واقتداء الأئمة به فقد القاضي عياض أنه: "أدخل بها(الأندلس) قوم من الرّحالين والغرباء من مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد وداوود، فلم يتمكنوا من نشره، فمات لموتهم على إختلاف أزمانهم، إلاّ من تديّن به في نفسه، ممّن لا يؤبه لقوله"[297]. فالمذهب الشافعي كان يمنع حتى في مجالسهم العلمية بالرغم

---

[295] – لقد عُيّن أسد بن الفرات شريكا مع محرز في القضاء في سنة 203هـ-818م أو 204هـ-819م فكان ابن الفرات أغزر علما وفقها وكان أبو محرز أسداهما رأيا وأكثرهما صوابا، انظر: القاضي عياض، المصدر السابق، 304/3؛ إبراهيم بكير بحاز، **القضاء في المغرب**، ص.196-197.

[296] – الدباغ، المصدر السابق ، 88/2.

[297] – القاضي عياض، المصدر السابق، 27/1.

من أنه تلميذ مالك ويمكن تفسير ذلك أنه بسبب مخالفته له في بعض المسائل، أو حبهم للإمام مالك والإقتداء به دون غيره، فذكر المقدسي أنّه كان يوما يُدرِس بعضهم في مسألة فذكر قول الإمام الشافعي–رحمه الله– فقال أحدهم:"أسكت من هو الشافعي إنّما كان بَحْرَين أبو حنيفة لأهل المشرق، ومالك لأهل المغرب أفنتركهما ونشتغل بالساقية"[298]. ثم ألزم الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية أهل الأندلس بمذهب الإمام مالك[299]. وأوّل ما دُوِّن في الحديث والفقه والأثر كتاب "**الموطأ**" للإمام مالك، فقد جمع فيه ما صح عنده من السنّة ومن فتاوى الصحابة والتابعين وتابعيهم. فكان موطأه هذا كتاب حديث وفقه، وهو أساس فقه الحجازيين.

ويعتبر زياد بن عبد الرحمن هو أوّل من أدخل المذهب المالكي إلى الأندلس[300]، فقد رحل إلى الحجاز بعد سنة من ولاية الأمير هشام بن عبد الرحمن، الذي تميز عهده بظهور مجالس العلم والأدب، وتولي النظر في الرعية بخير ما نظر من الرّفق، والعدل، والتواضع. كان الإمام مالك يسأل المغاربة عن أحوال المسلمين ولما لقي زياد بن عبد الرحمن سأله عن أميرهم هشام فأخبره عن مذهبه وحسن سيرته فقال مالك:"ليت الله زين سماءنا بمثل هذا"[301]. وذكر القاضي عياض أن هشاما ألزم النّاس جميعا بمذهب مالك، وصار القضاء والفتيا عليه، ابتداء من سنة 172هـ–788م، وكانت الفتيا والرّواية يومئذ لصعصعة بن سلام إمام الأوزاعية"[302].

واختلفت المصادر حول من أدخل المذهب المالكي إلى الأندلس فابن القوطية يقول أن الغازي بن قيس هو الذي أدخله إلى تلك البلاد أيام عبد الرحمن بن معاوية. بينما ذكر في موضع آخر أن زياد رحل إلى المشرق بعد عام من ولاية هشام بن عبد الرحمن ولقي مالكا. وللقاضي عياض روايتان متناقضتان ففي الأولى: ذكر أنّ زياد بن عبد الرحمن هو أوّل من

---

[298] – المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص.195.

[299] – نفس المصدر، ص.54 –55.

[300] – المقري، المصدر السابق، 230/3؛ القاضي عياض، المصدر السابق، 116/3–122.

[301] – ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز، ت.367هـ–977م)، **تاريخ افتتاح الأندلس (متبوعا ب"قصة الأندلس" لابن قتيبة و"أخبار الفتح" من الرسالة الشريفة**، تح. عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1994م، ص.94.

[302] – القاضي عياض، المصدر السابق، 27/1.

أدخل[303] "**الموطأ**" إلى الأندلس. وفي الثانية: أنّ الغازي بن قيس هو من أدخل "**الموطأ**"[304]، وتحتمل هاتان الروايتان قراءتين: فالأولى أنّ الغازي بن قيس أدخل "**الموطأ**" إلى الأندلس أيام عبد الرحمن الداخل، في صورته الأولى من الكتابة، دون تنقيح ودون تهذيب، فقد ذكر أنّه شاهد مالكا وهو يؤلف "**الموطأ**". أما زياد فأدخل "**الموطأ**" إلى الأندلس في صورته المكتملة والمتقنة فأخذه عنه يحي بن يحي الليثي بعد تنقيح وتهذيب[305].

أما الدراسات الحديثة فكانت متضاربة فحسين مؤنس ذكر أنّ زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون واحد من الثلاثة الذين ثبت أنهم أسسوا المذهب المالكي بالأندلس وعلى أيديهم أصبحت المالكية المذهب الغالب، بل الرسمي لأهل الأندلس، أوّلهم الغازي بن قيس وثانيهم زياد بن عبد الرحمن هذا، وثالثهم يحي بن يحي الليثي"[306]. في حين ذكر المستشرق الإسباني آنخل جنثالث بالنثيا في كتابه "تاريخ الفكر الأندلسي" أنّه "من الثابت على أي حال أنّ مذهب مالك ثبت في الأندلس وعلا في أيام هشام الرضى، بسبب المكانة الرفيعة التي حظي بها يَحْيَ عنده... وكان يشاوره"[307] ففي هذه الفترة كان يحي بن يحي الليثي يتردد على المشرق للأخذ عن الشّيوخ الكبار، وحسب القاضي عياض فإن لقاءه مع الإمام مالك كان في سنة 179هـ-795م، السنة التي توفي فيها الإمام مالك[308].

وبدأت تجتمع في قرطبة وطليطلة وغيرها من بلاد الأندلس جماعات من فقهاء المالكية وأعيانهم، فمنهم من أخذ العلم عن مالك مباشرة ومنهم من أخذه عن تلاميذه، فبيّنوا للناس فضل الإمام مالك وإقتداء الأمة به، وجلسوا ليعلّموا النّاس مسائل الحلال والحرام، ووجوه الفقه وأحكامه، ففي هذه الفترة أمر الأمير الحكم بن هشام، بالأخذ بمذهب مالك والتزامه، وكان ذلك بمحض إرادته واختياره، فانتقلت الفتوى إلى رأي مالك وأهل المدينة، وانتشر علم مالك ورأيه

---

[303] – ابن القوطية، المصدر السابق، ص.97.

[304] – نفس المصدر، ص.92.

[305] – القاضي عياض، المصدر السابق، 117/3، المقري، المصدر السابق، 45/2؛ الهنتاتي، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي**، ص.44، 127.

[306] – حسين مؤنس، فجر الإسلام، الشركة العربية للنشر والطباعة، القاهرة، 1959م، ص.654.

[307] – الهروس مصطفى، "قيام المدرسة المالكية بالأندلس"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، **سلسلة ندوات ومحاضرات**، 1998م، ص.211؛ **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م، ص.17.

[308] – القاضي عياض، المصدر السابق، 381/3.

في قرطبة والأندلس جميعا. واختلفت المصادر في سبب انتشار المذهب المالكي بالأندلس، فهناك من يرجع ذلك إلى المذهب الأوزاعي القريب من مذهب مالك، ورغم أن الأوزاعي كان معاصرا لأبي حنيفة ومالك إلاّ أنه لم يكن يتوسع في الرأي كما فعل أبو حنيفة، بل كان ينكره، ويأخذ به فقط إذا اقتضت الضرورة لذلك، وكان لا يعمل بالقياس، ويميل إلى مدرسة الحديث التي كان يتزعمها مالك والتي تعتمد بالدرجة الأولى على السنة النبوية، واختلف مع الإمام مالك في عدم الأخذ بعمل أهل المدينة.

ثالثا- انتشار المذهب المالكي في المغرب الأقصى

وُجدت بالمغرب الأقصى مذاهب سنية متعددة، كمذهب الأوزاعي والحنفي، قبل ظهور المذهب المالكي فقد أشارت بعض الرّوايات التاريخية أنّ دخول المذهب المالكي إلى المغرب الأقصى تأخر بالنسبة إلى دول المغرب الأخرى، وتضاربت المعلومات حول من نقله إلى هناك فبعض الدراسات ترجح أنّ إدريس الأول[309] هو أوّل من دعا الناس لإتباع مذهب الإمام مالك[310]، والدليل عندهم ما قام به الإمام مالك نفسه-رضي الله عنه- عند نصرته لمحمد بن

---

[309]- نتج عن الصراعات التي كانت بالمشرق بين العباسيين والعلويين هروب إدريس الأول إلى مدينة وليلي(وليلى) بالمغرب الأقصى، إثر موقعة فخ (169هـ-785م)، وكان وصوله إليها في سنة 170هـ-786م. فنزل عند إسحاق الأوربي، الذي جمع له زعماء قبيلة أوربة، فرحبوا به، وبعدما عرّفهم بنسبه وفضله وقرابته من رسول الله- (ﷺ) بايعوه أميرا عليهم يوم الرابع من شهر رمضان سنة(172هـ-788م) قائلين له:"الحمد لله الذي أثنى به وشرفنا بجواره فهو سيدنا ونحن عبيده نموت بين يديه"، ثم بايعته قبيلة مغيلة وصدينة، فخطب في الناس قائلا:"لا تمدن الأعناق إلى غيرنا فإن الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا". ثم وفدت عليه قبائل زناتة والبربر، من بينهم زواغة، وزواوة، وسدراتة، وغياثة، ومكناسة، وغمارة، واستتب أمره وتمكن سلطانه وقويت شوكته، انظر: الناصري، المصدر السابق، 19/2؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.20. ويلاحظ أنّ ابن أبي زرع والناصري يتفقان في سنة دخول إدريس الأول إلى المغرب ومبايعته التي كانت في 4 رمضان 172هـ-788م؛ إلا أن ابن أبي دينار جعل المبايعة في رمضان دون تحديد اليوم، انظر: المصدر السابق، ص.102 ؛ واكتفى ابن عذارى بتحديدّ السنة فقط، انظر: المصدر السابق، 83/1؛ وجعلت الباحثة بوبة مجاني يوم البيعة في 14 رمضان، انظر: **أثر العرب اليمنية في تاريخ المغرب في القرون الأولى للهجرة**، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، (الجزائر)، 2003م، ص.118؛ وحددها السيد أبو العزم في منتصف رمضان، انظر: نفس المرجع ، ص.162.

[310] - ابن القاضي (أحمد بن محمد، ت.1025هـ-1616م)، **جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس**، 1891م، ص.25؛ التازي عبد الهادي، **جامع القرويين**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972م، 118/1؛ الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، ص.128-129، الجيدي، "المذهب المالكي"، ص.25؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص.165.

عبد الله الكامل النفس الزكية، ما عرّضه لسخط العباسيين[311]. وذكر الكتاني أنّ إدريس الأوّل كان يحب مالكا فحمل أهل المغرب على مذهبه لأنّه كان من شيعة آل البيت وممّن بايع محمد ابن عبد الله النفس الزكية عم إدريس[312].

جعل إدريس الأوّل المذهب المالكي مذهب الرسمي للدولة فحمل النّاس عليه وقراءة كتابه لقوله:"نحن أحق بهذا الكتاب"الموطأ وقراءته"[313]، وقال الكتاني:"وعلى مذهبه كان إدريس وجميع العلماء من أهل المغرب الأقصى بسبب تقليد إدريس لمالكٍ وتحصيل كتابه "**الموطأ**" وحفظه له"[314]، أما سعد زغلول فقال أن دولة الأدارسة كانت سنية المذهب لِما جاء في كتاب **البيان المُغرب** من تسمية ابن عذارى للأدارسة بالدولة الهاشمية[315]، ويرى المستشرق الألماني ألفراد بل أنّ إدريس الأوّل وخلفاءه هم الذين عملوا على نشر المذهب السني في المنطقة بقوله:"إنّ نسبهم جعل ذلك فرضا عليهم" وشبّه ما قام به إدريس الأوّل عند بنائه مسجد مدينة تلمسان بما فعله عقبة ابن نافع عند بنائه مسجد القيروان[316].

---

311 – إنّ سبب محنة الإمام مالك –رضي الله عنه– في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور (136–158هـ/754–775م) هو النهي عن الحديث "ليس على مستكره طلاق"، وقيل أنّ من نهاه هو جعفر بن سليمان ابن عمه، بعثه الخليفة أبو جعفر المنصور ليسكن الهوجاء التي كانت بالمدينة ويجدّد له البيعة، فقدم المدينة وهو يتوقد على من خالف أبا جعفر، فأظهر الغلظة والشدة عليهم، فدّس جعفر على الإمام مالك ممّن لم يكن يخشاهم، فسأله سرًا فأفتاه "أنّ يمين المكره لا يلزم"، فوصل الخبر إلى جعفر بن سليمان() فأمره بضربه سبعين، انظر: أبو العرب، **المحن**، ط.2، تح. يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988م، ص.319–320؛ ابن قتيبة(أبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، ت.276هـ–889م)، **الإمامة والسياسة**، تح. طه محمد الزيني، دار المعرفة، 148/2–149؛ القاضي عياض، المصدر السابق، 130/2 وما بعدها؛ الزواوي (عيسى بن مسعود)، **مناقب سيدنا الإمام مالك**، دار الفكر للطباعة والنشر، مصر، د. ت، 26/1.

312 – الكتاني، **الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس**، طبعة حجرية، 1889م، ص.130.

313 – نفس المرجع، ص.130–131.

314 – نفسه؛ التازي، المرجع السابق، ص.118؛ عبد الهادي حسيسن، "دخول المذهب المالكي إلى بلاد المغرب الإسلامي"، **مجلة دار الحديث الحسينية**، الرباط، 1982م، ع.3، ص.520؛ أبو العزم، المرجع السابق، ص.165.

315 – ابن عذارى، المصدر السابق، 82/1؛ سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**، منشأ المعارف، الإسكندرية، 1976م، 518/2.

316 – ألفراد بل، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمه عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981م، ص. 88–89.

في حين تذكر بعض المصادر، أنّ إدريس الأول حمل معه بعض مبادئ الشيعة الزيدية[317] إلى المغرب الأقصى. وعللوا ذلك بما قام به الخليفة هارون الرشيد عند إرساله رجل من الشيعة الزيدية ليقتله. واستدل البعض المؤرخين بنص الرّسالة التي بعث بها إدريس الأكبر إلى أهل مصر، يذكرهم فيها بفضائل أهل البيت ويصف فيها التضحيات الغالية التي بذلوها في سبيل حقهم الشرعي ومطالبتهم بتأييده ومساندته، فوصلت هذه الرسالة إلى الخليفة هارون الرشيد وبعدما اطلع على محتواها، اقتنع أنّ الأدارسة كانوا يخططون لتوحيد الخلافة كلها تحت قيادتهم. وبعد وفاة إدريس الأوّل خلفه ابنه إدريس الثاني(192-213هـ/808-828م) وفدت عليه وفود من إفريقية والأندلس من قبائل قيسية، والأزدية، ومدلج، وبني يحصب، والصدف بن حمير وغيرهم. فسُر إدريس الابن بوفادتهم وأجزل صلاتهم، وقربهم، ورفع منازلهم، وجعلهم بطانة دون البربر، كما هاجر إليه أهل ربض قرطبة[318]، بعدما أجبرهم الحكم بن هشام على الخروج عقب وقعة الربض سنة 202هـ-217م. فساهمت هذه الهجرات في نشر المذهب المالكي انتشارا واسعا بالمغرب الأقصى.

عيّن إدريس الثاني الوافدين في مناصب سيادية، ذات أهمية في دولته، فاستوزر عمير بن مصعب الأزدي، وجعل علي بن عبد الله الخزرجي الأنصاري كاتبا له. وسعيد بن محمد القيسي قاضيا للدولة، وترى الباحثة بوبة مجاني أنّ الفضل يعود لهؤلاء الثلاثة في نشر المذهب المالكي بين سكان المغرب الأقصى[319]. وكان الفضل لوزير إدريس في اختيار المكان

---

[317] – أتباع زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب– رضي الله تعالى عنه– يقولون إن الإمامة لأولاد فاطمة الزهراء بنت الرسول(ﷺ) دون غيرهم، فقد كان زيدا يفضل علي رضي الله عنه على أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، إلاّ أنّه يرى جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل، وقال في علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان أفضل الصحابة إلاّ أنّ الخلافة فوضت لأبي بكر لمصلحة رأوها فيه، وذكر أبو الحسن الأشعري في كتابه المقالات أنّه :"لما ظهر في الكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فأنكر ذلك على من سمعه منه، فتفرق عنه الذين بايعوه فقال لهم:" رفضتموني" فيقال إنهم سموا الرافضة لقول زيد "رفضتموني"، انظر: البغدادي، **الفرق بين الفرق**، ص.22؛ الشهرستاني، المصدر السابق، 179/1 وما بعدها؛ الأشعري، المصدر السابق، 130-129/1.

[318] – ثار جماعة من الفقهاء من بينهم يحي بن يحي الليثي صاحب الرواية المشهورة عن الإمام مالك وطالوت الفقيه وغيرهما، فخلعوا الحكم بن هشام وبايعه بعض قرابته وكانوا بالربض الغربي من قرطبة فقاتلهم وفر الباقون إلى فاس بالمغرب الأقصى، انظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص.47؛ ابن القاضي، المصدر السابق، ص.12؛ الناصري، المصدر السابق، 35/2.

[319] – بوبة مجاني، **أثر العرب اليمنية**، ص.251.

الذي ستُبنى فيه مدينة "فاس". فأسكن بالعدوة الشرقية من فاس الأندلسيين فسميت بعدوة الأندلسيين، وبالعدوة الغربية أسكن القرويين وساهمت هذه الوفود في نشر مذهب مالك، ومن نتائجها ظهور فقهاء مالكية بها، منهم: الفقيه جبر الله بن القاسم الأندلسي، وعبد الله بن محمد الهواري، كما تعزز المذهب المالكي في المغرب الأقصى بالفقهاء الذين رحلوا إلى المشرق منهم: أبو ميمونة دراس الفاسي، الذي كان له فضل كبير في نشر المذهب المالكي[320].

رابعا– انتشار المذهب المالكي في المغرب الأوسط

وفدت إلى تاهرت قبائل كثيرة لِمَا وجدته عند الإمام عبد الرحمن بن رستم من التسامح والتعايش السلمي، وكانت مليئة بمختلف المذاهب سنية وغيرها كالمعتزلة أو الواصلية والصفرية والشيعية، حتى قال عنها المقدسي:"انتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب"[321]، بينما لاحظ ابن الصغير الوفود والرّفاق من كل الأمصار، وأقاصي الأقطار فقال:"ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلاّ استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله..."[322]. فأقبل الناس على المدينة من كل الأمصار، حتى لا ترى دارًا إلا قيل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين، وهذا مسجد الكوفيين. وتسمية هذه المساجد بأصحابها، دليل على تنوع المذاهب والفرق، وعلى تردد فقهاء الأمصار إليها للتعليم أو للمناظرات والجدل فيما بينهم، ولا يُستبعد أن للمالكية مساجد بتاهرت، لأن القيروان في تلك الفترة غلب عليها المذهب المالكي منذ عهد سحنون.

ولما كان حكم الأغالبة يصل إلى بلاد الزاب، فهذه الجيرة تعتبر أحد أسباب دخول المذهب المالكي إلى الدولة الرستمية، وسبب آخر لما تولى سحنون بن سعيد قضاء القيروان، أرسل قضاة إلى الأقاليم، منهم سليمان بن عمران الذي كان قاضيا حنفيا بباجة، والأربس، وبجاية، ولم يوله حتى امتحنه في مذهب مالك، كما أنه لا يقضي في قضية حتى يشاور

---

320 – ابن الفرضي، المصدر السابق، ص.251؛ ابن مخلوف، المصدر السابق، 154/1؛ عبد الهادي حسيسن، المرجع السابق، ص.522.

321 – المقدسي، **أحسن التقاسيم**، ص.189.

322 – لما تولى عبد الرحمن بن رستم الإمامة، كانت سيرته حسنة فقد كان يجلس في مسجده للأرملة والضعيف لينظر في أمورهم، وكان لا يخاف في الله لومة لائم، حتى شاع خبره في مشارق الأرض ومغاربها، انظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص.32–36.

سحنون فيها[323]، وكان أبو خالد يحي السهمي أول قاض في منطقة الزاب، وحمدون بن عبد الله المعروف بابن الطبنة تولى قضاء طبنة، وأبو العباس إسحاق بن إبراهيم الأزدي تولى القضاء بنواحي الزاب. فهذه دلائل على العلاقة المذهبية والعلمية التي كانت تربط الدولة الرستمية بالدولة الأغلبية.

وكان المجتمع الإباضي لا يمنع المالكية وغيرهم من الصلاة في مساجدهم إلا المسجد الجامع[324]. فإنهم إذا رأوا فيه من يرفع يديه منعوه وزجروه، فإن عاد ضربوه، ومن أتى منهم إلى حلقات الإباضية، قربوه، وناظروه ألطف مناظرة، ومن أتى من الإباضية إلى حلقات غيرهم كان سبيله ذلك، فكانت لابن الصغير المالكي عدة محاورات ومناظرات مع مشايخ الإباضية، في العديد من المسائل الفقهية والمذهبية، دون أن يتعرض للاضطهاد أو القتل.

واتسمت علاقة المغرب الأوسط بالأدارسة بحسن الجوار، وامتد حكم الأدارسة إلى تلمسان وكان بها محمد بن خزر المغراوي[325]، الذي خرج إلى إدريس الأوّل مبايعا مطيعا فأمّنه وأبقاه بتلمسان، وكان حينئذ المغرب الأقصى مالكيا في عهد إدريس الثاني.

أما الأندلس فقد ذكرت بعض الدراسات أنّ محمد بن رستم ساعد الأمير عبد الرحمن بن الحكم في حروبه مرتين، وقد يكون ممّن ذهب معه من قواد وجنود إحتكوا بجند الأندلس فأخذوا عنهم أصول المذهب المالكي. وكما ساهمت العلاقات التجارية بين الأندلس والمغرب الأوسط من جهة واستقرار بعض الجاليات أندلسية في المدن الساحلية للمغرب الأوسط.

وأشارت بعض المصادر السنية والإباضية أن المغرب الأوسط كان به عدد من فقهاء المالكية منهم: ابن الصغير المالكي الذي اختلف في مذهبه، فالباحثان إبراهيم بحاز ومحمد ناصر قالا أنه شيعي المذهب، مستدلان بنص المناظرة التي جرت بين ابن الصغير وبين أحد الإباضيين حيث قال له الإباضي:"من أين زعمت وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين

---

[323] – الجودي، المصدر السابق، ص.79.

[324] – من أهم مراكز التعليم والتلقين للفقه الإباضي، ففيه كان الأئمة يعقدون حلقاتهم الدراسية، وفيه يأخذ رأي الأمة في الشؤون التي تهمهم بالدّرجة الأولى، كما فعل عبد الرحمن بن رستم عندما جاءته الأحمال من بصرة المشرق، فهو يشبه جامع عقبة بن نافع الفهري في القيروان، ولايختلفان إلا في نقطة واحدة، ويمكن اعتبارها تكميلية، فجامع عقبة خاص بالفقه السني، بينما جامع تاهرت خاص للفقه الإباضي، انظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص.34–35 ؛ بحاز إبراهيم، **الدولة الرستيمة**، ص.283.

[325] – التنسي(أبو عبد الله، ت.899هـ–1493م)، **تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر والعقبان**، تح. عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص.35.

والعراق"[326]، وبحديث:"مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِي مَوْلاَه" الذي استشهد به ابن الصغير. وذهب المستشرق البولندي .Lewicki T في دائرة المعارف الإسلامية، أيضا إلى أن ابن الصغير كان متشيعا[327].

رجحت وداد القاضي أن ابن الصغير كان سنيا مالكيا، بناءً على عدة أدلة، منها ما أكده سليمان الباروني في عدة مواضع من كتابه، واستشهدت بحديث "من كنت مولاه فعلي مولاه"، فهو من الأحاديث الصحيحة لدى أهل السنة[328]. بينما قال الباروني أن :"ابن الصغير المؤرخ المالكي في أئمة بني رستم ومدينة تيهرت دار إمامتهم وهو كلام لم يجد به أحد من المؤرخين منا ومن غيرنا لا قبله ولا بعده والله اعلم"[329]، وفي موضع آخر يقول:" أما المؤرخ ابن الصغير العلامة الخطير، المالكي الشهير الذي يبحث في أحوال تاهرت"[330]، فكلما ذكر الباروني ابن الصغير إلا وذكر أنه مالكي، وذكر الاصطخري(ت.346هـ-957م) أن:"الغالب على مذاهب أهل المغرب كلهم مذاهب الحديث وأغلبها عليهم في الفتيا مذهب الإمام مالك بن أنس..." [331].

ظهر بالمغرب الأوسط فقهاء مالكية نذكر منهم أبو القاسم الزواوي[332] ومروان بن أبي شحمة المسيلي وبكر بن حماد التاهرتي، وقاسم بن عبد الرحمن وأبو عبد الملك الملشوني وإبنه إسحاق، وأبو حاتم يحي بن السهمي وأخوه العباس وغيرهم.

خامسا-أسباب انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب

---

[326] – ابن الصغير، المصدر السابق، ص.118.

[327] – وداد القاضي، المرجع السابق، ص.39؛ وانظر أيضا: **Encyclopédie de l`Islam**,Op, Cit., p.949

[328] – ابن حنبل، المصدر السابق، 84/1.

[329] – الباروني، المصدر السابق، ص.290-291.

[330] – نفس المصدر، ص.41.

[331] – الإصطخري، المصدر السابق، ص.45؛ علق محمد الشريف على ما ذكره الإصطخري أن عبارة أهل المغرب الواردة في النص تحيل -فيما يعتقده- إلى المذاهب السنية حصرًا، فمن المعلوم أن المذهب المالكي بدأ ينتشر ببلاد المغرب والأندلس في عهد الإمام مالك بن أنس نفسه، وسرعان ما تحول إلى المذهب الرسمي للدولة الأموية بالأندلس، انظر: محمد الشريف، "جغرافية التيارات المذهبية بالمغرب الإسلامي كما يعكسها الجغرافيون المشارقة حتى القرن 4هـ/9م"، ضمن كتاب **المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد إلى الوحدة**، تنسيق حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 36-2008م، ص.109.

[332] – أبو العرب، **طبقات**، ص.154؛ المالكي، المصدر السابق، (ط. بيروت)، 248/1.

عن أبي هريرة –رضي الله عنه–عن الرسول(ﷺ)قال:"يُوشك النّاس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدون عالما أعلم من عالم أهل المدينة"[333]، ولم يجلس مالكا للدّرس إلا بعد أن شهد له شيوخه بأنّه أهل لذلك، فهو يقول:"ليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للحديث والفتيا جلس، حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل والجهة من المسجد، فإن رأوه أهلا لذلك جلس، وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم، إني موضع لذلك"[334]. وبعد أن جمع مالك العلم الوفير في الأثر والنظر، انتقل إلى التدريس في المسجد النبوي. فكانت له حلقات، يحضرها طلبة علم من كل النواحي، وقد فاقت حلقة شيوخه. وكان طلبة المغرب يحضرونها إمّا للاستزادة من علمه، أو لطرح مسائل لم يجدوا فيها حكما شرعيا، مثل خالد بن أبي عمران، الذي أخذ عنه علي بن زياد التونسي.

تميز المغاربة بكثرة رحلاتهم إلى المشرق، فدوّنوا كل ما سمعوه عن مالك من حديث وفتوى وغيرهما، وقلدوه حتى في لباسه. وكان مالك مهتما بالمغرب، لذلك خصص لأحد طلابه مقعدًا بجانبه. وقد ذكر ابن أبي عمران أنّه كان يسأل ابن غانم عن أهل المغرب ويطيل الحديث، فإذا شاهد أصحاب مالك ذلك يقولون:"شغله المغربي عنّا"[335]. إذا أتته أخبار مفرحة عن المغرب يسر بها، فهذا عبد الله بن غانم لما تولى قضاء القيروان سرّ به، وكان قد حضي بمكانة هامة عنده حتى عرض عليه الزواج من ابنته والإقامة عنده فامتنع ابن غانم بسبب شرطه الأخير[336].

بلغ طلبة المغرب في العلم ما لم يبلغه أحد، فلما توفي الليث بن سعد(ت.175هـ–791م) وقدم عبد الله بن فروخ مصر، فرح أهلها به ورجوا، أن يكون خلفا له إلا أنه توفي بعد بمدة قصيرة[337]. فكانوا يعظمونه ويعتقدون إمامته وكان مالك قد خصص موضعا لعبد الله في مجلسه ليقعد فيه ولم يكن مالك يستدعي أحدا للقعود فيه ويسأله عن قدومه وأحواله فيعلمه أنه

---

[333] – القزويني(الخليل بن عبد الله بن خليل الخليلي، ت.446هـ–1055م)، **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**، ضبطه الشيخ عامر أحمد خيدر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1993م، ص.25.

[334]– يقال إنّ مالكا بدأ التدريس وهو في سن السابعة عشر، وهو في نظر البعض لا يعقل، انظر: القاضي عياض، المصدر السابق، 125/1–126؛ الجيدي، **المحاضرات في المذهب المالكي**، ص.13.

[335] – القاضي عياض، المصدر السابق، 66/3.

[336] – نفسه.

[337] – القاضي عياض، المصدر السابق، 102/3–103.

في الوقت الذي أتى إليه فيقول له مالك:"صدقت لو تقدم قدومك لعلمت به ولأتيتك"[338]، وكان مالك لا يرد على مسألة وابن فروخ حاضرًا فيقول له:"أجب ي أبا محمد" فيجيب ثم يقول مالك:"هذا كما قال"، ووصفه بأنّه "فقيه المغرب"، وفي نص آخر وردت على مالك مسألة في الجنايات وكان صاحبها من أهل المغرب، فخول ابن فروخ للإجابة عنها لأنّه من أهلها، لكن هذا الأخير تردد احتراما لمالك قائلا:"بحضرتك" فرد عليه مالك:"نعم"[339].

وكانت ترِد على الإمام مالك مسائل من المغرب فلا يجيب عنها حتى يعرف ما قال فيها فقهاؤها، فقد أتى أبو عثمان المعافري بمسائل إلى مالك "من ابن غانم، فقال لي ما قال فيها المصفر يعني البهلول بن راشد[340]، وما قال فيها الفارسي، يعني ابن فروخ". ورُوي عنه أنّه لمّا أمره الخليفة العباسي المهدي(158-169هـ-775-785م) أن يضع كتابا ليحمل الأمة عليه[341] فرد قائلا: "...أمّا هذا الصقع وأشار بيده إلى المغرب فقد كفيته..." [342].

من خلال ما تقدم فإن الفضل في انتشار المذهب يرجع إلى الإمام مالك وطلبته وبفضلهم بلغت بلاد المغرب ذروة التقدم في الحركة العلمية. فكان تلاميذ مالك من أهل المغرب يتولون القضاء والفتيا ونُصْحَ أمراء إفريقية حتى قيام دولة العبيديين. وأحكامهم كانت تنفذ على الكبير والصغير، حتى قيل:"إنّ مالكا كان يحكم إفريقية في هذه الفترة عن طريق موطاه وتلاميذه"[343] وفي ما يلي بعض أسباب انتشاره.

1 – كان مذهب مالك بن أنس يَعتمد على الحديث، بينما مذهب أبي حنيفة يعتمد على الرأي، فيقدم القياس والاعتبار على السنن والآثار، ما جعل المذهب المالكي يَلقَى قبولا لدى المغاربة، الذين أخذوا بمدرسة الحديث الحجازية، فالمدينة كانت طريق رحلتهم في طلب العلم، وأداء فريضة الحج ، بينما العراق لم يكن في طريقهم فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة[344].

---

[338] – نفس المصدر، 104/3.

[339] – نفس المصدر، 105/3.

[340] – نفسه.

[341] – كما جاءت روايات مختلفة عن أبي جعفر المنصور في المدارك حول كتاب الموطأ ونسخ نسخا منه لترسل إلى كل الأمصار، من بينها أنّ أبا جعفر كلف مالك بأن يضع كتابا يحملهم عليه، فوضع مالك موطأه ولم يفرغ منه حتى مات أبو جعفر المنصور. ورواية أخرى أن أبا جعفر المنصور قال لمالك:"ضع للناس كتابا أدلهم عليه"، انظر: القاضي عياض، المصدر السابق، 71/2-73؛ ابن سعد، المصدر السابق، 468/5؛ بابا تنبكتي، المصدر السابق، ص.130.

[342] – القاضي عياض، المصدر السابق، 73/2؛ الزواوي(عيسى بن مسعود)، المصدر السابق، 26/1.

[343]– المالكي، المصدر السابق، (ط. القاهرة)، ص.12.

[344] – ابن خلدون، المصدر السابق، 568/1.

2 – إنّ الفقهاء الأوائل الذين سافروا وأخذوا العلم عن مالك، كانت لهم روايات عنه، ما أدّى إلى حب المغاربة لِهذا العالم الفقيه والمحدّث، وشيوخه من قبلهم وتلاميذه من بعده، فقد أصبحوا يقلدون مالك في أفكاره وسلوكه، بل قلدوه حتى في لباسه ومشربه وجلوسه... [345].

3 – شخصية مالك، فقد عُرف عنه تمسكه بمصادر التشريع الإسلامي المتفق عليها بين الجمهور(القرآن، السنة، الإجماع، القياس)، ومحاربته للبدع وإتباعه لأثر الصحابة والتابعين من بعدهم، واستقراره بالمدينة جعل مذهبه أولى للإتباع والاقتداء، وكان يقول حين يُسأل عن شيء:"إن أردت العلم فأقم– يعني بالمدينة–"[346] وممّا زاد تمسك المغاربة بمالك هو إقتصاده قدر الإمكان في القياس، وإن تعذر على مالك الوصول إلى الحكم أو الإفتاء فإنه يَعْتذر، ويكتفي بالقول لا أدري، ووردت إليه مسألة من المغرب فقال:"لا أدري، ما ابتلينا بهذه المسألة في بلدنا ولا سمعنا أحدًا من أشياخنا تكلم بها..." [347]. وقال عنه الونشريسي (ت.914هـ–1509م):"وقد نظرنا طويلا في أخبار الفقهاء وقرأنا ما صنف من أخبارهم إلى يومنا هذا فلم نر مذهبا من المذاهب غيره أسلم منه... ما سمعنا أنّ أحدًا ممن تقلد مذهبه قال بشيء من البدع فالاستمساك به نجاة"[348].

4 – ملائمة مذهبه لطبيعة المغاربة فمذهبه عملي أكثر منه نظري، يتماشى مع فطرة المغاربة التي تتميز بالبساطة والوضوح، ويعتمد الواقع ويأخذ بأعراف الناس وعادتهم[349].

5 – وزاد من إعجاب المغاربة بالمذهب المالكي، القدوة الحسنة لعلمائه من أمثال البهلول بن راشد وابن فروخ وسحنون، الذين كانوا يقضون بالمذهب المالكي دون غيره، ويطبقون الأحكام على كافة الناس كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، بما في ذلك أمراء الأغالبة[350].

---

[345] – ابن خلدون، المصدر السابق، 568/1.

[346] – القاضي عياض، المصدر السابق، 40/1.

[347] – نفس المصدر، 180/1.

[348] – **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب**، أخرجه جماعة من الفقهاء، بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، 1981م، 26/12.

[349] – إن مذهب مالك يعتبر العرف والعادة مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي، انظر: وهبة الزحيلي، **أصول الفقه الإسلامي**، ط.2، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1968م، ص.829–830.

[350] – الجيدي، **محاربة المذهب المالكي**، ص.70.

6 – كان الإمام مالك أكبر الفقهاء سنًا، وأكثرهم صبرا، ذو أخلاق عالية، والنَّفَسُ الطويل في العلم، فظل يُدرِّس الفقه، ويحدِّث برِوَايته، وبسبب تأخر وفاته ساعد التلاميذ من الاستفادة منه، والأخذ بروايته من منبعها، ما جعل مذهبه يستقر أكثر في أقطار العالم الإسلامي [351].

7 – ويرجع ابن خلدون انتشار المذهب إلى أنّ: أهل بلاد المغرب والأندلس قلدوا مالك دون غيره ممّن لم تصل إليهم طريقتهم، فقد قلدوا غيره إلاّ في القليل، لأن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز، ولأن المدينة في ذلك الوقت دار علم ومهبط الوحي، ومقر الرسول(ﷺ) والخلفاء الراشدين والصحابة الآخرين من بعدهم–رضوان الله عليهم–، وعملهم يعتبر من مصادر التشريع الإسلامي المتفق عليها بين جل الفقهاء ، فالخروج من المدينة إلى العراق لم يكن طريقهم فاقتصروا على مالك بن أنس. كما أنّ بداوة أهل المغرب والأندلس مشابهة لأهل الحجاز ولم يعرفوا الحضارة التي لأهل العراق[352].

7–نفور المغاربة من كل تخريج وتأويل، ما جعلهم يتمسكون بالنصوص الشرعية أشد التمسك.

إضافة إلى العوامل التي ذكرناها سابقا فقد ساهم فقهاء المالكية بنضالهم في بقاء المذهب المالكي وانتشاره على المذاهب الأخرى سنية أو غيرها. وعارضوا سياسة أمراء الدولة الأغلبية، إلا أن فقهاء الحنفية وقفوا إلى جانبهم وتساهلوا معهم في بعض المسائل كتحليل النبيذ، والقول بخلق القرآن. وكان أمراء الأغالبة قد أثقلوا كاهل الرّعية بالجبايات وأسرفوا في أخذ المغارم. فهذه الأسباب جعلت العامة، وباقي أهل القيروان ينفرون منهم، فاختاروا مذهب مالك بدلا من مذهب أبي حنيفة الذي وجدوا فيه راحتهم، فلجأ أمراء الأغالبة إلى تنصيب قضاة من المالكية، خوفا من أن تنقلب ضدهم العامة، وفي هذا السيّاق تمّ تعيين الإمام سحنون بن سعيد التنوخي، والقاضي عيسى بن مسكين.

[351] – كمذهب أبي حنيفة في إفريقية رغم أنّه توفي ثلاث وعشرين سنة قبل وفاة الإمام مالك، ومذهب الأوزاعي أي بعد عشرين سنة من وفاة سفيان الثوري، رغم ذلك لم يعرفوا الاستقرار.

[352] – ابن خلدون، المصدر السابق، 568/1.

المحاضرة السادسة

المذهب الظاهري ببلاد المغرب

أولا: تعريفه

المذهب الظاهري نسبة إلى داود بن علي الظاهري البغدادي(ت.270هـ-883م)، اشتهر هذا المذهب بين أهل العلم كأفراد وانتقل عن طريق الطلبة الرّحالين واستقر في الأندلس وبلاد المغرب وسرعان ما اختفى بسبب اشتداد المالكية في قمعه بالقوة في زمن أشهر علمائها أبي محمد بن حزم الأندلسي لكن تأثيره الفكري ما يزال قائما ليومنا هذا[353].

يعتمد أصحاب المذهب الظاهري[354] على النصوص الشرعية، ولا ينفون الأخذ بالرأي بكل أنواعه، إنما لا يأخذون بالقياس والإستحسان وبالمصالح المرسلة وسد الذرائع. فكانوا إذا لم يجدوا نصا يلجؤون بالأخذ بإستصحاب الذي هو الإباحة اعتمادا على قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [355].

وخالفت الظاهرية الفقهاء في مسائل عديدة منها: مسألة الميراث، والوصية، وهبة المريض (مرض الموت) فهم يعتبرون تصرفاته كتصرفات الصحيح على حد السواء فلو وهب المريض كل ماله لا أحد يعترضه لأنّ أساس تقييد تصرفات المريض مرض الموت هو رأي مبني على سد الذرائع. كما أنّهم أصدروا أحكاما منافية للشرع كحكمهم في مسألة "نجاسة الماء ببول الإنسان" لورود حديث في ذلك، ويحكمون بأنّ بول الخنزير لا ينجس الماء لعدم وجود نص شرعي في ذلك، وإذا قيل لهم أن نجاسة بول الحيوان تلحق بلحمه، ولحمه نجس، قالوا ذلك رأي ولا رأي في أحكام الإسلام.

---

353 – خالد علال كبير، **محاضرات في الحركات المذهبية لطلبة قسم التاريخ سنة الرابعة**(نظام كلاسيكي)، بمدرج مالك ابن نبي، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، قسم التاريخ، الجزائر، 2005م.

354 – بفتح الظاء المعجمة، والهاء المكسورة بعد الألف، وفي آخرها الراء نسبة إلى أصحاب الظاهر وهم جماعة ينتحلون مذهب ابن علي الأصفهاني صاحب المذهب الظاهري، انظر: السمعاني(أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، ت.562هـ-1166م)، **الأنساب**، تح. محمد عوامة، 1976م، 296/8.

355 – سورة البقرة، الآية 25.

ثانيا: نشأة المذهب الظاهري

التعريف بصاحب المذهب

المذهب الظاهري[356] من المذاهب السنية التي ظهرت ببغداد في منتصف القرن الثالث الهجري/9م وتوسع في العراق ووصل إلى بلاد فارس وإلى عُمان، وينسب هذا المذهب إلى الفقيه أبي سليمان داود بن علي بن خلف الفقيه الأصبهاني مولى المهدي إمام الظاهرية القياسي حسب المغاربة لنفيه للقياس[357]. ويعتبر أبو سليمان أوّل من تكلم به ودعى إليه عدة سنين. ولد أبو سليمان بالكوفة إلاّ أنه اختلف في سنة ولادته على أقوال منها: سنة 202هـ-817م أو سنة 200هـ-815م[358]، واختلف في سنة وفاته وكان أرجحها في سنة 270هـ-883م. كان ورعا، ناسكا، زاهدا، درس على تلاميذ الإمام الشافعي(204هـ-819م) فتأثر به بل تعصب له فألف كتبا في فضائله والثناء عليه. بعد سماعه الحديث من مُسدّد بن مسرهد(ت.228هـ-843م) صاحب كتاب "المسند" والقَعنبي(ت.221هـ-836م) صاحب رواية الشهيرة (الموطأ) عن الإمام مالك وغيرهما سافر إلى نيسابور فسمع من إسحاق بن راهويه (ت.238هـ-852م) كتاب المسند والتفسير ثم رحل إلى بغداد واستقر بها، وبالرغم ما قيل عنه فإن عقله كان أكثر من علمه إلا أنه ألف كتبا كثيرة ويبدو أنه تأثر بشيوخه المحدثين في تدوين كتبه التي كان أساسها الحديث. تتلمذ عن أبي سليمان ابنه محمد، وَزكريا بْن يَحْيَى

---

356 - الظاهر لغة خلاف الباطن والخفي، يقال ظهر يظهر ظهورا فهو ظاهر وظهير، وتعني البروز يقال: ظهر الشيء ظهورا أي تبيّن وبرز بعد الخفاء، وقال الرسول(ﷺ)"ما نزل من القرآن آية إلا لها ظهر وبطن ولكل حرف حدٌ ولكل حدٌ مطّلع؛ قال أبو عبيد:قال بعضهم الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله، وقيل الظهر الحديث والخبر؛ والبطن ما فيه من الوعظ والتحذير والتنبيه...؛ وقيل في تفسير قواه لها ظهر وبطن قيل ظهرها لفظها وبطنها معناها...وقيل أراد بالظهر التلاوة وبالبطن التفهم والتعلم، انظر: ابن منظور(أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ت.711هـ-1311م)، **لسان العرب المحيط** مادة "ظهر"، قدم له عبد الله العليلي وأعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف الجياط، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت، 1988م، 4/655-657.

357 - عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، **المغربية في شرح العقيدة القيروانية(مقدمة الرسالة لابن أبي زيد القيرواني المغربي ت.386هـ)**، مكتبة دار المنهاج، السعودية، 2017م، ص. 30.

358 - البغدادي(أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، ت. 463هـ-1071م)، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، مكتبة الخانجي، القاهرة، المكتبة العربية، بغداد، 1931م، 8/369-371؛ الشيرازي(أبو إسحاق الشافعي، ت.476هـ-1084م)، **طبقات الفقهاء**، تح. إحسان عباس، دار رائد العربي، لبنان، د.ت، ص.175؛ ابن الجوزي(أبو الفرج عبد الرحمن، ت.597هـ-1201م)، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تح. محمد عبد القادر عطا وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص.235.

الساجي، وَيوسف بْن يعقوب بْن مهران الداودي وغيرهم، ولمكانته العلمية كان يحضر في مجلسه أربعمائة صاحب طيلسان أخضر[359].

يعتبر أبو سليمان أول من أظهر المذهب الظاهري[360]. كتب عنه وعن مذهبه الكثير فالسمعاني مثلا يقول: "أنهم يجرون النصوص على ظاهرها وفيهم كثرة"[361]، ويذكر ابن الجوزي أن "مذهبه طريف يدعى الجمود على النقل، ويخالف كثيرا من الأحاديث، ويلتف على مفهوم الحديث إلى صورة لفظه وفي هذا تغفيل"[362]، وخالف داود ومن معه جمهور العلماء الأخذ بالقياس[363] فقد ذكر أبو بكر أحمد بن الكامل بن خلف القاضي(ت.350هـ-961م) [364]:"داود أوّل من أظهر انتحال الظاهر، ونفى القياس في الأحكام قولا، واضطر إليه فعلا فسّماه دليلا"[365].

ومن مآثر أبي سليمان المناظرات التي كانت تجمعه بالعلماء في مجالس شيخه إسحاق بن راهويه وكان فيها أعقل في الرّد على العلماء وأكثرهم علما، ورغم ذلك فإن أحمد بن حنبل(164-241هـ/780-855م) رفض استقباله رغم تلطفه من ابنه صالح إلا أن الإمام أحمد لم يرض مقابلته بناء على كتاب وصله من محمد بن يحي النيسابوري يقول فيه عن أبي سليمان:"أنه زعم أن القرآن محدث فلا يقربني" وفي رواية "أنه قال الذي في اللوح المحفوظ غير مخلوق والذي يقرأ الناس مخلوق"[366] وإن صحت هذه الرواية فابن حزم الأندلسي الظاهري اتبع أبا سليمان في مذهبه فقد تفقه بالمذهب الشافعي وتوصل بإجتهاده إلى نفي القياس كله جليه وخفية والأخذ بظاهر النص وعموم الكتاب والحديث إلا أنه خالفه في مسألة خلق القرآن إذ أنه ذكر مسألتين حوله في كتابه **المحلى** فهو يقول:"القرآن كلام الله وعلمه غير مخلوق"

---

359 - البغدادي، **تاريخ بغداد**، 369/8؛ الشيرازي، المصدر السابق، ص.175.

360 - السمعاني، المصدر السابق، 297/8.

361 - نفس المصدر، 296/8.

362 - ابن الجوزي، المصدر السابق، ص.236.

363 - الخوارزمي(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب، ت.387هـ-997م)، **مفاتيح العلوم**، دراسة وتصدير عبد الأمير الأعسم، دار المناهل، بيروت، 2008م، 22/1.

364 - قاضي الكوفة من أصحاب محمد بن جرير الطبري، عالما بالأحكام وعلوم القرآن والنحو والشعر وأيام الناس والتواريخ، انظر: البغدادي، **تاريخ بغداد**، 357/4.

365 - السمعاني، المصدر السابق، 297/8.

366 - ابن الجوزي، المصدر السابق، 238/12.

لقوله تعالى﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾[367]، وأنه مكتوب في المصاحف والمسموع من القارئ والمحفوظ في الصدور والذي نزل على جبريل وعلى قلب محمد (ﷺ) [368]. وممن أخذ عن أبي سليمان ابنه أبا بكر محمد بن داود كان فقيها أديبا شاعرا سار على منوال أبيه في المناظرات[369].

ثالثا: أصول المذهب الظاهري

لا شك أن معظم المتخصصين في علم الأصول يقرّون بأن الإمام الشافعي هو أوّل من اجتهد في وضع هذا العلم فأصّل أصوله وبيّن مناهجه ووضع قواعده في كتاب "**الرسالة**"، ومن هذه الأصول التي لا خلاف فيها بين فقهاء الأمة ثلاثة : كتاب الله وسنة رسول الله(ﷺ) وإجماع الأمة[370] لقوله تعالى:﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[371]. أما المختلف فيها ثلاثة عند الظاهرية: أولهما: القياس[372]، فلا يحل الحكم بالقياس في الدين، والقول به باطل، مقطوع على بطلانه عند الله تعالى حسب ابن حزم [373] وألف ابن حزم في ذلك كتابه **الاعراب عن**

---

367 – سورة طه، الآية 129.

368 – ابن حزم، **المحلى بالآثار**، تح. عبد الغفار سليمان بن البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، 52/1.

369 – الشيرازي، المصدر السابق، ص.175–176.

370 – ولم يكن في الدين إلاّ الإجماع أو الإختلاف فأخبرنا الله تعالى أن الإختلاف ليس من عنده لقوله :"ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه لختلافا كثيرا" (سورة النساء، الآية 82)، وذم الله الاختلاف وحرمه لقوله :"واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا" (سورة آل عمران، الآية 103)، انظر: ابن حزم، **النبذ في أصول الفقه الظاهري**، تح. محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن حزم، بيروت، 1993، ص. 24.

371 – سورة النساء، الآية 115.

372 – القياس في اللغة: هو مصدر للفعل قاس وله معنيان: أحدهما: يطلق بمعنى التقدير: أي تقدير شيء بشيء آخر، فياقال قاس الثوب بالذراع أو المتر إذا قدره به. ثانيا: يطلق بمعى التسوية بين الشيئين. فيقال فلان يقاس بفلان: أي يساويه. وفلان لا يقاس بفلان: أي لا يساويه. أما إصطلاحا: فهو إلحاق ما لم يرد فيه نص على حكمه، بما ورد فيه نص على حكمه في الحكم لاشتراكهما في علة ذلك الحكم. واتفق العلماء على أن القياس أصل من أصول التشريعالإسلامي ودليل على الأحكام الشرعية العملية. انظر: ابن حزم، **النبذ في أصول الفقه الظاهري**، ص. 98، الهامش1.

373 – ابن حزم، **النبذ في أصول الفقه الظاهري**، ص.98.

الحيرة والالتباس الموجودين في مذاهب أهل الرأي والقياس. واتفق جمهور من الفقهاء على أن القياس أصل من أصول التشريع ودليل على الأحكام الشرعية العملية وخالفت بعض المذاهب وهم قلة هذا القول كالظاهرية والشيعة الإمامية وغيرهما. ولا عبرة لهذا الخلاف لأنه لم يظهر إلاّ بعد الاجماع على حجية القياس في عصر الصحابة والتابعين[374]. واستدل ابن حزم على إبطال القياس بالآيات التي استدل بها القائلون بالقياس مع مناقشتها[375]. وقيل إن الإستحسان هو قياس[376].

رابعا: دخول المذهب الظاهري للغرب الإسلامي

دخل المذهب الظاهري إلى الغرب الإسلامي في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن بن معاوية (238-272هـ/852-889م) عن طريق الرحلات المشرقية، ويعتبر عبد الله بن قاسم ابن هلال القيسي القرطبي (ت.292هـ-905م) أوّل الأندلسيين من المالكية الذين تأثروا بمذهب داود العباسي فقد رحل عبد الله إلى المشرق واشتهر بالرحلة وطلب العلم. والتقى هناك بأبي سليمان داود فكتب كتبه كلها وأدخلها إلى الأندلس[377] التي طغى عليها علم داود فيما بعد. وفي نفس الفترة ظهر الفقيه بقي بن مخلد لم يكن بالمالكي ولا حنبلي ولا ظاهري لكنه أول من قال بترك التمذهب والعمل بالنصوص (القرآن والسنة) وترك ما سواهما[378]. وفي عهد عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) صار للمذهب أتباع بفضل جهود قاض القضاة وصاحب الصلاة الفقيه منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي(ت.355هـ-946م) الذي درس عن الإمام أحمد بن حنبل فكان يجمع كتب داود ويحتج له ويأخذ نفسه وذويه به وذكر ابن حزم أن شهرته تغني عن تكلف[379]، وتفاخر ابن حزم بعبد الله بن القاسم والمنذر البلوطي بقوله: "إذا نعتنا عبد الله بن قاسم هلال، ومنذر بن سعيد لم نُجار بهما إلا أبا الحسن بن

374 – ابن حزم، **النبذ في أصول الفقه الظاهري**، ص.98، هامش 2.

375 – نفس المصدر، ص. 99 -107.

376 – الخوارزمي، المصدر السابق، 23/1.

377 – ابن عذارى، المصدر السابق، 241/1.

378 – أحمد بكير محمود، **المدرسة الظاهرية بالمشرق**، دار قتيبة، تونس، 1990م، ص.32.

379 – ابن حزم، **رسائل في فضل الأندلس**، 239/2-240.

المغلس والخلال والديباجي..."[380]، وانقطع المذهب بعد المنذر بن سعيد البلوطي إلى أن ظهر مسعود بن سليمان بن مفلت القرطبي(ت.426هـ-1035م).

وأول من أدخل كتب داود إلى القيروان محمد بن خيرون القيرواني(كان حيا سنة 300هـ-912م) عند رحلته التي قادته إلى العراق فلقي بها أصحاب أحمد وابن معين وابن المديني وكان ذلك قبل ولادة ابن حزم بنحو قرن[381]، وربما يكون أبو عثمان سعيد بن الحداد(ت.302هـ-914م) مهتما بمذهب داود الظاهري فقد تكلم في مسألة فقيل له: "إن داود قال فيها كذا وكذا فقال: "لو كان نومي كيقظة داود ما تكلمت في العلم[382].

رد عدد من فقهاء بلاد المغرب على الظاهرية من بينهم ابن أبي زيد القيرواني لمخالفتهم للإمام مالك في كتابه **الذَّبِّ عن مذهب مالك**[383]. وفي المغرب الأقصى قويت شوكة المذهب الظاهري بعد ابن حزم، وانتشر حتى القرن السابع الهجري/14م. وكانت المالكية لا ترد إلا من خالفهم في الفروع وهذا دليل على اتفاقهم في الأصول، فلم يختلفوا مع الشافعي وأصحابه في عقائدهم.

خامسا: أسباب ظهور المذهب الظاهري

ذهب الباحث عبد الباق السيد عبد **الهادي إلى أن** ظهور المذهب الظاهري بالمغرب والأندلس يعود إلى ثلاثة أسباب:

1-كثرة العمل بالقياس والالتزام به الذي أدى إلى الشقاق من الفروع والسنن إلى الأصول، واختلف أصحاب الرأي في التوحدي وصفات الله تعالى وقدرته ونعيم أهل الجنة وعذاب أهل القبر والنار وغيرها من الأمور التي هي من عالم الغيب علمها عند الله وحده.

---

380 - ابن حزم، **رسائل في فضل الأندلس**، 187/2.

381 - عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، المرجع السابق، ص.30.

382 - الدباغ، المصدر السابق، 297/2-298.

383 - ويحتوي الكتاب في ثلاثة أجزاء متوسطة، ألفه ابن أبي زيد القرواني للرد عل مؤلف من الظاهرية ينتقد فيه مذهب الإمام مالك وينقض مسائل مذهبه سماه"التنبيه والبيان عن مسائل اختلف فيها مالك والشافعي"، انظر: ابن أبي زيد القيرواني(أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، ت.386هـ-997م)، **مقدمة الذَّبُّ عن مذهب مالك، في غير شيء من أصولـه، وبعض مسائل من فروعه، وكشف مـا لبَّس به بعض أهل الـخلاف، وجَهْلِه منى مَحَـاجِّ الأسلافِ**، تح. محمد العلمي، الرابطـة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، 2011م، 12/1 وما بعدها؛ عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، المرجع السابق، ص.30.

2- تأثر أبي سليمان داود بالإمام الشافعي في الأخذ بالنصوص ذلك أنه كان يفسر الشريعة بالنصوص مع العمل بالقياس الجلي فقط.

3- إزدهار الحركة الباطنية التي تدعوا إلى ضرورة وجود إمام مستتر يعلم الناس ما ليس في وسعهم أن يتعلموه من ظاهر الآيات والأحاديث[384].

سادسا: ابن تومرت والمذهب الظاهري

لم يستبعد الباحث مصطفى مغزاوي من تكوين محمد بن تومرت الفسيفسائي ووجود للأثر الظاهري، وذلك عند مروره بالأندلس أثناء رحلته العلمية فتأثر بالمذهب الظاهري الذي كان رائجا هناك في تلك الفترة[385]، وذكر ابن قنفد(ت.810هـ-1407م) أن محمد بن تومرت قرأ بقرطبة على القاضي ابن حمدين ثم رحل إلى المهدية فأخذ العلم عن أبي عبد الله المازري ثم انتقل إلى الإسكندرية[386]. لم تتعرض المصادر التي عاصرت الدولة الموحدية دخول المهدي ابن تومرت إلى الأندلس، ومهما يكن فقد نفى الباحث عبد المجيد النجار بناء على عدّة فرضيات بقاء ابن تومرت سنة كاملة في الأندلس، في حين رجح أن مدينة "قرطبة قد ألهبت شوق هذا الشاب إلى المشرق حيث كانت صاحبة الريادة في معارضة أبي حامد الغزالي خاصة أن القاضي ابن حمدين كان يدير حملة ضد أبي حامد الغزالي وكتابه"إحياء علوم الدين"[387].

وذكر الباحث بولطيف أنه:"لم يقل أحد من القدامى-فيما نعلم- بظاهرية ابن تومرت- ولا نعني القول بالظاهرية الموحدين- ما عدا الشاطبي(ت.790هـ/1388م)، الذي قال عنه: و"كان مذهبه البدعة الظاهرية"[388].

---

[384] - عبد الباقي السيد عبد الهادي، "المذهب الظاهري ونشأته وتطوره بالمغرب والأندلس حتى نهاية الموحدين"، **حولية سمينار التاريخ الإسلامي والوسيط**، الجمعية المصرية للدراسات الإسلامية، مصر، 2012م، مج.2، ع.2، ص.191.

[385] - مغزاوي مصطفى، **التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي والأندلس خلال العصر الموحد،(6-8هـ/11-13م)**، رسالة دكتوراه في تاريخ الوسيط، إشراف خالد علال كبير، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2011-2012م، ص.356.

[386] - ابن قنفذ(أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ، ت.810هـ-1407م)، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح. محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد تركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م، ص.99-100.

[387] - عبد المجيد النجار، **المهدي بن تومرت(أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي، 524هـ-1129م)، حياته وآراؤه، وثورته الفكرية والاجتماعية، وأثره بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، 1982م، ص.97-98.

[388] - لخضر بولطيف، **فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي**، المعهد العالمي للفكر، لبنان، 2009م، ص. 108.

وأشار الباحث لخضر بولطيف في كتابه إلى أن عددا من المستشرقين ذكروا تأثر ابن تومرت بظاهرية ابن حزم ويرجعون ذلك إلى رحلته الأندلسية وهو في طريقه إلى المشرق، فكان سببا كافيا ليتعرض ابن تومرت للمؤثرات الظاهرية الحزمية غير أنه أضحى هذا السبب "ليس حتميا، ولا يمثل تفسيرا وحيدا للكيفية التي عرف بها ابن تومرت الظاهري؛ فقد كان في متناوله أن يتعرف عليها وهو في المغرب الأقصى أو في المشرق[389].

المحاضرة السابعة

المذهب الموحدي ببلاد المغرب

أولا: مقدمة

إن"لكل ثورة إرهاصات تمهد السبيل لظهورها، ومقدمات تهيء النفوس لتقبل مبادئها وأهدافها. وإرهاصات الثورة الموحدية ومقدماتها كامنة في الانحلال الذي أصاب دولة المرابطين في عنفوان شبابها"[390].

قامت الدولة الموحدية(541-668هـ/1146-1270م) على حساب دولة المرابطين ويرجع ذلك لعدة أسباب ذكرها الباحث عباس الجراري وغيره من المؤرخين وهي كالتالي:

1-ضعف شخصية علي بن يوسف بن تاشفين[391] الذي عجز عن تدبير قيادة الدولة وتسيير شؤونها مما أدى إلى ظهور فوضى في البلاد جعلت ولاة القبائل يستبدون بالأقاليم ويستقلون

---

389 – لخضر بولطيف، المرجع السابق، ص.108-109.

390 – عباس الجراري، "الموحدون ثورة سياسية والمذهبية"، **مجلة المناهل**، المملكة المغربية، 1974م، ع.1، ص.84.

391 – هو أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين كانت ولايته في سنة 500هـ-1106م بعد وفاة أبيه الذي عقد له بالولاية في سنة 499هـ-1105م، تلقب بأمير المؤمنين وسمى أصحابه بالمرابطين، كان نزيه النفس بعيدا عن الظلم، يقضي في القضاء والأحكام التي ترد إليه بفقهاء بلاده فكان يقربهم ويكرمهم ويشاورهم فبلغوا في عهده مبلغا عظيما، وكان إذا أتته نصيحة قبلها أو موعظة خشع لها. وسار في رعيته أحسن سيرة فأحبه الناس واشتملوا عليه ومالوا إليه. اتبع سياسة أبيه في إيثار الجهاد وإخافة العدو وحماية البلاد، انظر: غبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.130؛ النويري(شهاب الدين

بها، فصار كل واحد منهم يصرح بأنّه خير من علي بن تاشفين وأحق في الحكم منه، ونتج أيضا انتشار الفساد وظهور المرأة في ساحة السياسة فأسندت إليها بعض أمور في الدولة تتحكم في عقول الحكام وتحيك المؤمرات وتدس المكايد[392]، "وأمير المسلمين في ذلك يزيد تغفله ويقوي ضعفه وقنع باسم امرأة المسلمين وبها يرفع إليه من الخراج وعكف على العبادة والتبتل وأهمل أمور الرعية غاية الإهمال"[393].

2- الانهاك الذي أصاب الدولة، خاصة في عهد علي بن يوسف بن تاشفين بسبب الحروب الكثيرةالتي واجهها في فتح الأندلس وما كانت تلاقيه جيوشه غير من مرة من هزائم كانت تضطر القواد إلى أن يطلبوا من العدو وقف القتال ورفع الحصار[394]. وزاد الوضع سوءا بعد معاناة الدولة في صراعها مع الموحدين حيث أنه: "في أثناء هذه الحركة الطويلة الأعوام اتصلت الحروب ببلاد أهل اللثام وغلت الأسعار بمراكش حتى وصل فيها الربع من الدقيق بمثقال حشمى ذهبي. وتوالى هذا الجدب حتى جفت في الأرض مذانبها واغبرت جوانبها وقلت المجابي بهذه الفتن وكثرت اللوازم على الرعايا بالعدوتين.." [395].

3- عجز فقهاء الدولة في عهد علي بن يوسف بن تاشفين من تطوير المذهب المالكي الذي كان محور الحركة المرابطية الإصلاحية، حتى يساير الوضعية التي أصبحت عليها دولتهم بعد اتسعت رقعتهاوتضخم نفوذها وبالتالي عجزهم عن توجيه الرأي العام في إطار المذهب[396].

4- المنافسة التي بين قبيلة صنهاجة المرابطية وقبيلة المصامدة الجبلية على زعامة البلاد واستغلال المهدي لهذه المنافسة ولجوءه إلى القبيلة المصمودية التي آمنت به وناصرته، يدعو إلى مذهبه وينشر فكرته في كثير من الأمن والاطمئنان[397].

أحمد بن عبد الوهاب، ت.733هـ-1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح. حسين النصار ومراجعة عبد العزيز الأهواني، القاهرة، 1983م، ص.393؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م، 11/672-674.

[392] - عباس الجراري، المرجع السابق، ص. 85.

[393] - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.130.

[394] - عباس الجراري، المرجع السابق، ص. 85.

[395] - ابن عذارى، المصدر السابق، 16/3.

[396] - عباس الجراري، المرجع السابق، ص.86-87.

[397] - نفس المرجع، ص.87.

ثانيا: مؤسس الدعوة الموحدية

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت الهرغي المصمودي البربري من أهل سوس، ولد بهرغة في سنة 471هـ-1078م[398]، وهَرْغة قبيلة من قوم يعرفون ب"إيسَرِغِينَنْ" وهم الشرفاء بلسان المصامدة، ونسبته متصلة بالحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وجدت بخطه[399]. واطلع ابن خلكان على نسبه فذكر أنه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود ابن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن سفيان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب[400] وبالرغم من اختلاف طفيف في النسب إلا أن المؤرخين اتفقوا على أنه من ذرية الرسول(ﷺ). وقال بعضهم أنه محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصل بن حمزة بن عيسى بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن ابن علي بن أبي طالب[401]، وذكر ابن خلدون أن "أصله من هرغة من بطون المصامدة، ويسمى أبوه عبد الله وتومرت، وكان يلقب في صغره بأمغار، وهو محمد بن عبد الله بن وُجلّيد ابن بامصال بن حمزة بن عيسى"[402] وقال أيضا أنه لما ادعى ابن تومرت النسب العلوي فعلينا تصديقه لأن الناس مصدقون في أنسابهم ومن جهة أخرى فإنه لم يذكر حجج أو دعاوي المعارضين وهي أقوى من دعاوي الموافقين من ذلك.

1- لا يوجد دليل ثابت على أن سليمان الإدريسي رحل إلى بلاد السوس وكما هو معروف أن العلويين كانوا شديدي الحرص على الحفاظ على نسبهم وإظهاره لتكون لهم مكانة خاصة بين الناس.

2- ومما يثبت صحة النسب البربري لابن تومرت اسم والده ولقبه الذي لقب به في صغره.

3- وجود ابن تومرت في وسط بربري لا يتميز عن غيره بشيء.

---

398 – ابن قنفذ، المصدر السابق، ص.99-100.

399 – ابن حزم الغافقي(أبو يحي اليسع بن عيسى الجياني، ت575هـ-1180م)، **كتاب المُغرب في محاسن المَغرب**، تح. عبد السلام الجعماطي، الرباط، 2016م، ص.156.

400 – ابن خلكان، المصدر السابق، 45/5؛ ابن القطان(أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي، منتصف القرن السابع الهجري)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، ط.2، تح. محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011م، ص.87؛ ابن خلدون، المصدر السابق، 301/6.

401 – ابن القطان، المصدر السابق، ص.88.

402 – ابن خلدون، المصدر السابق، 301/6.

4- وجود دوافع مذهبية ومصلحية لدى ابن تومرت جعله يسجل النسب العلوي.

5- ثبوت أن ابن تومرت كان كاذبا في أمور كثيرة كالدعوة للإمامة والمهدوية والعصمة مما يعني أنه من المحتمل جدا أنه ادعى النسب ويندرج ضمن أكاذيبه.

6- أما قول ابن خلدون إن الناس مصدقون في أنسابهم هو قول ليس مطلق وإنما هو مقبول في حدود وظروف. ولا يوجد دليل عقلي أو شرعي يؤيد مقولة ابن خلدون[403].

وبالنسبة إلى المذهب الفقهي لابن تومرت فقد ذكر العديد من الباحثين إلى انتماءه للمذهب المالكي ربما فسروا ذلك لاجتماعه بأشهر فقهاء المذهب كابن حمدين في قرطبة وأبو عبد الله المازري بالمهدية والطرطوشي بالإسكندرية، وجزم آخرون أنه:"نشأ مالكيا، وعاش مالكيا ومات مالكيا"[404]، ويمكن تفسير ما ذهب إليه هؤلاء إلى اهتمام ابن تومرت باختصار كتاب الموطأ الذي سماه "**محاذى الموطأ**"،[405] وقد قام المستشرق الألماني يوسف شاخت بدراسة حول أربع نسّخ المخطوطة للموطأ برواية ابن تومرت في مكتبات العالم.[406]

ثالثا: أصول الدعوة الموحدية

الأخذ بالمذهب الأشعري إلا في الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفيها إلا في القليل منها كما أنه كان يخفي تشيعه عن العامة.

2-**المهدوية:** ادعى ابن تومرت أنه المهدي المنتظر حسب الأحاديث التي جمعها عن المهدي المنتظر.

3-**الإمامة:** زعم ابن تومرت أن الإمامة واجبة وركن من أركان الدين ومن لم يؤمن بها فهو كافر، فألف كتاب الإمامة المشهور باسم"**أعز ما يطلب**" وهذه الفكرة أخذها ابن تومرت عن الشيعة الإمامية، مع العلم أن الإمامة لا أصل لها في الشرع.

---

403 - خالد علال كبير، المرجع السابق.

404 - لخضر بولطيف، المرجع السابق، ص.110-111.

405 - القاضي عياض، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تح. يحي إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، مصر،1998م، 19/1؛ بشير ضيف، **فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول**، ط.2، مراجعة عثمان بدري، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007.

406 - Schacht(J.), Deux éditions inconnues du Muwatta, **Dans Studi Orientalistici in Onore di Giorgio Levi Della Vida,** Roma, 1956, p.477.

العصمة: ادعى ابن تومرت أنه الإمام المعصوم التي تجب طاعته وزعم أن العصمة من ضروريات المهدوية والإمامة.

5-**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:** استخدم ابن تومرت هذا المبدأ الشرعي استخداما واسعا لأنه الوسيلة التي مكنته من كسب الاتباع وإظهار دعوته وقد استخدم هذا المبدأ الشرعي دعاة كثيرون مثل دعاة الشيعة والخوارج وغيرهم كما سبق ذكره في المحاضرات السابقة.

6-**إنكار التقليد والقياس والإجتهاد في مجال الفروع:** يريد بذلك مقاومة المذهبين المقلدين للمذاهب الأربعة عامة والمالكي خاصة، ومن جهة أخرى منع الإجتهاد ورفض القياس على طريقة ابن حزم الأندلسي وخالفه في الإجتهاد، فابن تومرت كان هدفه دعوة الناس إلى تقليده لأنه يعتبر نفسه أنه المهدي المعصوم ومن تم أنكر التقليد والقياس والاجتهاد، ولهذا فالأصول عنده هي القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الصحابة دون إختلافها ولم يعترف بإجماع الفقهاء، ويضاف إلى أصوله عصمته المهدوية.

7-**التكفير والدموية:** نص ابن تومرت على تكفير كل من يخالفه.

ويتبين من أصول الدعوة الموحدية أنها مذهب ملفق وخليط من مجموعة أفكار متناقضة انصهرت إلى مذهب ابن تومرت لخدمة مشروعه السياسي لذلك وجدناه يأخذه من الشيعة الإمامية (الإمامة والعصمة ومن الأشعرية مسألة الصفات ومن السلفية والظاهرية محاربة التقليد ومن الخوارج التكفير والدموية. ومع ذلك يجب أن نقول أن ابن تومرت قد أظهر شجاعة كبيرة وصبرا على البلاء من أجل مصالحه الدنيوية.

رابعا: الرحلة العلمية لابن تومرت

1- من الأندلس إلى المشرق

قبل رحيل ابن تومرت إلى المشرق طالبا للعلم رحل إلى الأندلس فدخل إلى قرطبة وقرأ على قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد ابن حمدين(ت.508هـ-1114م)[407] الذي أفتى

[407]- قام الأمير علي بن يوسف بن تاشفين معتمدا على إجماع قاض قرطبة أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين وفقهائه على إحراق كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، وتم ذلك في رحبة مسجد قرطبة على الباب الغربي بعد وضع الزيت عليه، وراسل القاضي جميع من يملك الكتاب بإحراقه، وأُحرق بصحن مراكش أيضا، ونزع علي بن تاشفين نسخ الكتاب امتلكها بعض الفقهاء، انظر: ابن القطان، المصدر السابق، ص.71؛ الحفناوي(أبو القاسم محمد بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي، ت.1334هـ-1906م)، **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، د.ت، 194/1؛

بإحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، وانتقل ابن تومرت إلى المرية ثم ارتحل منها إلى المهدية بإفريقية فأخذ عن الإمام أبي عبد الله المازري(ت.536هـ-1141م)[408] ثم ركب البحر نحو المشرق في سنة 501هـ-1107م[409] طالبا للعلم فزار العراق والتقي بها بأبي بكر محمد ابن أحمد الشاشي(ت.507هـ-1113م) رئيس الشافعية بالعراق ومدرس بالنظامية (المدرسة) ببغداد فأخذ عنه بعض من الأصلين (الفقه، الدين)[410]، وسمع الحديث عن أبي الحسن المبارك ابن عبد الجبار البغدادي الصيرفي(ت.500هـ-1107م) ونظرائه من المحدثين[411]. وذكرت بعض المصادر أن ابن تومرت التقى بحجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي(ت.505هـ-1111م) الذي اشتهر بكتابه إحياء علوم الدين من بين هؤلاء أذكر: عبد الواحد المراكشي وابن قطان[412]، بينما نفت مصادر أخرى اجتماع ابن تومرت بالغزالي من بينهم ابن الأثير والنويري فقال الأول:"وقيل إنه جرى له حديث مع الغزالي فيما فعله بالمغرب ومن التملك فقال له الغزالي: إنا هذا لا يتماشى في هذه البلاد، ولا يمكن وقوعه لأمثالنا" أما النويري فقال: "اجتمع بالغزالي بالعراق والكيا الهراس وقيل لم يجتمع بالغزالي"[413]. ومهما قيل عن ابن تومرت فإنه أخذ عن الكيا الهراسي(ت. 504هـ-1110م) تلميذ أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني الشافعي(ت.478هـ-1085م) الأصولي من أكبر أئمة الأشاعرة بالمشرق[414] وشيخ المالكية الفقيه الزاهد أبي بكر محمد بن الوليد الطُرْطُوشي(ت.520هـ-1126م) صاحب كتاب

Launois (A.), Influence des docteurs malikites sur le monnayage Ziride de type sunnite et sur celui des Almoravides, Arabica, **revue d`études arabes**, T. XI, 1964, p.149.

[408]- ابن قنفذ، المصدر السابق، ص.100؛ Talbi(M.), «Ibn TÛmart, ou le parti avant la dynastie almohade», **Les Africains**, sous la direction de Charles-André Julien et autre, édition j.a., T.XI, Paris , 1978, p.140.

[409] – ابن القطان، المصدر السابق، ص.62.

[410] – ابن حزم الغافقي، المصدر السابق، ص.156، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.136.

[411] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.136.

[412] – نفس المصدر، ص. 137؛ ابن القطان، المصدر السابق، ص.72-73.

[413] – النويري، المصدر السابق، ص.396؛ وتناول عبد المجيد النجار قضية اجتماع ابن تومرت بالإمام الغزالي بالتفصيل بناء على أراء مختلفة، انظر: المرجع السابق، ص.73 وغيرها من الصفحات.

[414] – تفقه تومرت بالمشرق عن إمام الحرمين الجويني، ودرس بالمدرسة النظامية ببغداد، انظر: السلفي، المصدر السابق، ص.53 ،438؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق، 199/5؛ وانظر أيضا: Talbi (M.), op. , cit, T. XI, p.141.

الحوادث والبدع[415] وغيرهم من المتكلمين السنيين[416]. جاور ابن تومرت مكة عدّة سنوات وتحصل على علم الشريعة من الحديث النبوي وأصول الفقه والدين. كان "ورعاً ناسكاً متقشفاً مخشوشناً ... شجاعاً فصيحاً في لسان العربي والمغربي، شديد الإنكار على الناس فيما يخالف الشرع"[417].

انتقل ابن تومرت من مصر إلى الإسكندرية ومنها ركب البحر إلى بلاد المغرب وشرع في دعوته وهو على ظهر السفينة يغير المنكر فألزم ركابها بإقامة الصلاة وقراءة أحزاب من القرآن الكريم حتى وصوله إلى المهدية في سنة 510هـ-1116م أو 511هـ-1117م، فنزل بأحد مساجدها وكانت المهدية تحت حكم يحي بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي(509-515هـ/1116-1121م) وقد أزعج من موقفه لما حل بالمهدية[418] فوجه إليه الإمام عبد الله المازري(ت.536هـ-1141م) فنصحه بالتوجه إلى المنستير فانتقل إليها مع مجموعة من الصالحين ومنها إلى تونس حيث التقى بأبي بكر الصنهاجي المشهور بالبيذق مع اثنين من المريدين اتجهوا نحو قسنطينة ومنها إلى بجاية وهي المرحلة الهامة في مستقبل السياسي للحركة التومرتية[419].

---

[415] – الطُرْطُوشي بسكون الراء بين الطائين المضمومتين المهملين بعدها الواو وفي آخرها الشين المعجمة نسبة إلى مدينة طرطوشة(Tortosa) بالأندلس، انظر: السمعاني، المصدر السابق، 234/8. والطرطوشي هو الفقيه محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري المالكي ولد بمدينة طرطوشة سنة 151هـ-768م أخذ الفقه المالكي عن أبي الوليد الباجي بمدينة بسطة(Basta) أو (Baza) الأندلسية، وقرأ الأدب عن أبي محمد بن حزم الأندلسي بمدينة إشبيلية (Seville) واستفاد عن غيرهما ثم انتقل إلى عدة مدن مشرقية كالاسكندرية التي استوطنها في سنة 490هـ-1197م وبغداد وواسط والبصرة ومكة وبغداد وبيت المقدس فاستفاد من علمائها كأبي أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي وأبي حامد الغزالي وغيرهما كما لازمه القاضي ابن العربي المالكي(ت.543هـ-1143م) ببغداد وأخذ الكثير من علمه، وكانت وفاته بثغر الإسكندرية في سنة 520هـ-1120م، انظر: السمعاني، المصدر السابق، 234/8؛ المقريزي، **المقفى الكبير**، 409/7-416.

[416] – ابن خلكان، المصدر السابق، 45/5؛ النويري، المصدر السابق، ص.396، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.136.

[417] – نفس المصدر السابق، 45/5-46.

[418] – ذكر ابن القطان والباحثان محمد الطالبي ولخضر بولطيف أن وصول ابن تومرت إلى المهدية كان في زمن ابنه علي بن يحي، انظر: ابن القطان، المصدر السابق، ص. 92-93؛ لخضر بولطيف، المرجع السابق؛ ص.89؛ Talbi (M.), Op., cit, T. XI, p. 145.، وخالفهم ابن خلكان والنويري في أن ذلك كان في زمن أبيه يحي بن تميم بن المعز ابن باديس الصنهاجي، انظر: المصدر السابق، 46/5؛ النويري، المصدر السابق، ص. 396؛

[419] – Talbi (M.), op. , cit, p. 146.

2- من المشرق إلى إفريقية

أ-ابن تومرت ببجاية

لما رجع المهدي ابن تومرت إلى المغرب في سنة 510هـ-1116م شرع في تطبيق مشروعه، فعند دخوله إلى بجاية بدأ ينشر دعوته زاعما أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[420]، وذكر عبد الواحد المراكشي أنه بدأ التدريس والوعظ بها "فاجتمع إليه الناس ومالت إليه القلوب"[421] ما أغضب الأمير الحمادي العزيز فأمر بإحضاره للمناظرة مع الطلبة بسبب تجاوزه و"جرأته على الملوك"[422]. اختلفت النصوص المصدرية في تاريخ دخول ابن تومرت ببجاية وإقامته بها، فذكر ابن القطان أنه وصل إلى بجاية سنة 511هـ-1118م[423] واكتفى البيذق وعبد الواحد المراكشي بذكر دخوله إلى بجاية دون تحديد السنة[424]، أما ابن خلدون ورشيد بورويبة فدخوله كان سنة 512هـ-1119م[425]. غضب الأمير العزيز بن المنصور بن الناصر (498-515هـ/1104-1121م) من ابن تومرت لما بدأ بنشر دعوته فأمر بإحضاره للمناظرة بسبب تجاوزه و"جرأته على الملوك"[426]، واختلفت النصوص المصدرية بين مجيئه وامتناعه، فابن خلدون ذكر أنّه منع من الحضور دون تفصيل[427]، بينما ابن القطان ذكر أنّه لولا تلطف الفقيه عمر بن فلفول[428] كاتب الدولة في إقناعه بالترغيب والتضرع لما وافق على

---

[420] – ابن القطان، المصدر السابق، ص.93-94؛ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.137؛ عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص.89؛ بولطيف لخضر، المرجع السابق، ص.89.

[421] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.137.

[422] – ابن القطان، المصدر السابق، ص.93.

[423] – نفس المصدر، ص.76.

[424] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.137، عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص.13.

[425] – ابن خلدون، المصدر السابق، 235/6؛ رشيد بورويبة، "إقامة ابن تومرت ببجاية وملالة"، **مجلة الأصالة عدد خاص بجاية عبر العصور**، ع.19، س.4، 1974م، ص.233

[426] – ابن القطان، المصدر السابق، ص.93.

[427] – ابن خلدون، المصدر السابق، 235/6.

[428] – هو أبو حفص عمر بن فلفول من كتاب الدولة الحمادية، بالتحديد يحي بن العزيز (515-547هـ/1121-1152م)، مخلص له وصاحب سره، شاعرا بليغا ذكره ابن بشروه في الخريدة، (انظر: ابن القطان، المصدر السابق، ص.93-94؛ الأصفهاني (أبو عبد الله عماد الدين محمد بن صفي الدين الكاتب، ت.597هـ-1201م)، **خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب، ط.3**، تح. العروسي المطوي والجيلالي بن الحاج يحي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م،

الحضور، "فناظروه وسألوه، فأجابهم ما أسكتهم، ثم سألهم فما أحاروا جوابا"، لكن ابن فلفول لاطفه ثانية على أن يترك ما يدعو إليه[429].

أحس الأمير الحمادي بخطر ابن تومرت في بجاية فأمره بالخروج فانتقل إلى ملالة وبقي بها عدة أشهر، وقيل بمنطقة فنزارة من بلاد متيجة ومهما يكن فان ابن تومرت ما مر بموضع إلا وسأل عن عبد المؤمن بن علي الكومي فالتقى به وهو يدرس الصبيان هناك وتعرف عليه وسأله عن مقصده وهدفه ثم طلب منه أن يصاحبه في رحلته فوافقه واتجهوا نحو تلمسان واعتكفا بمسجد العباد. وحسب عبد الواحد المراكشي أن ما كان يدعو إليه الإعتقاد على الطريقة الأشعرية[430]. وذهب بعض المستشرقين إلى أن ابن تومرت تأثر بظاهرية ابن حزم(384-456هـ/994-1064م) ربما فسروا جواز ابن تومرت إلى الأندلس السبب الذي جعله يتأثر بالمذهب الظاهري وبتبنى "إبطال القياس"[431]، ومهما يكن فإن ابن تومرت انتقل من تلمسان متوجها نحو فاس مع سبعة من الأتباع من بينهم البيذق وعبد المؤمن بن علي

ب-ابن تومرت بمراكش

دخل ابن تومرت ومن صحبه من الفقهاء إلى مراكش[432] عاصمة الدولة المرابطية وصحب معه عبد الله البشير الفقيه الونشريسي من فصحاء اللغة العربية ولغة أهل المغرب[433]. شرع ابن تومرت بانتقاد الفقهاء ورجال الدولة بالانحراف عن الشريعة وحتى بعد مناظرته لعدد من الفقهاء الذين لم يعرفوا شيئا مما كان يذكره إلا الفقيه الأندلسي مالك بن وُهَيْب الأزدي الإشبيلي(ت.525هـ-1131م). الذي علم قصده وأهدافه فعارضه وطلب من الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين(500-537هـ/1106-1143م) إما بسجنه أو قتله، لكن لا حجة

179/17؛ ميخائيل أماري، **المكتبة العربية الصقلية نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع**، ليبسك، دار صادر، بيروت، 1857م، ص.599.

[429] – ابن القطان، المصدر السابق، ص.94، عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.137.

[430] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.138-139.

[431] – لخضر بولطيف، المرجع السابق، ص.108-109.

[432] – مدينة عظيمة بناها الأمير يوسف بن تاشفين بمكان يسمى بمراكش وذكر ابن سعيد المغربي معنى مراكش امش مسرعا بلغة المصامدة، وكان ذلك الموضع مأوى اللصوص، انظر: ابن حزم الغافقي، المصدر السابق، ص.148-149.

[433] – ابن حزم الغافقي، المصدر السابق، ص.157؛

لمعاقبته وهو من المسلمين[434]، غادر ابن تومرت مراكش مع من كان معه قائلا:"لا مقام لنا بمراكش، مع وجود مالك بن وهيب فما نأمن من أن يعاود الملك في أمرنا فينالنا من مكروه". فانتقل ابن تومرت في سنة 514هـ-1120م إلى أغمات للاستقرار بها إلا أن المقرئ عبد الحق بن إبراهيم المصمودي المصاحب له نصحه بالذهاب إلى سوس بمنطقة تِنَمَلْ المحصنة ويصعب الوصول إليها، ولما سمع ابن تومرت اسم المنطقة تذكر ما اطلعه من علوم أهل البيت على كتاب يسمى"الجفر" من أنه سيظهر رجل يظهر بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس وهو من ذرية الرسول(ﷺ) يدعو إلى الله يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب[435]. فانتقل ابن تومرت إلى تينملل في حدود سنة 518هـ-1124م[436].

كوّن ابن تومرت جماعة من الأتباع وبنى لهم رباطا وغرس فيهم التربية الروحية وأخلاقية جهادية مثل ما فعل من قبله الداعي عبد الله بن ياسين المرابطي ثم أظهر دعوته في أواخر سنة 515هـ-1121م أو أوائل سنة 516هـ-1122م فبويع في هذه السنة وبنى دارا بجبل هنتاتة فأصبحت مزارا للتبرك به[437].

شرع ابن تومرت بالتدريس والدعاء إلى الخير دون إظهار معتقده الديني، وحسب عبد الواحد المراكشي والباحث نجم الدين الهنتاتي[438] أن العامة لم تتحول إلى العقيدة الأشعرية ولم تتأثر بها، إلا بعد المجهود الذي قام به ابن تومرت في إرسائها[439] بفضل عقيدته (التوحيد) "**المرشدة**" [440] فزاد تعظيمهم له ثم دعاهم إلى دعوته أولها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

[434] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.140.

[435] – ابن حزم الغافقي، المصدر السابق، ص.156، 160-161؛ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.140؛ ابن خلكان، المصدر السابق، 45/5.

[436] – ابن القطان، المصدر السابق، ص.133، 142؛ لخضر بولطيف، المرجع السابق، ص.93-94.

[437] – ابن قنفذ، المصدر السابق، ص.100-101.

[438] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.141؛ الهنتاتي، "تطور موقف علماء المالكية بافريقية من الخوض في المسائل الكلامية وتبنيهم الأشعرية"، **مجلة إيبلا**، معهد الآداب العربية، ع.55، س.170، 1992م، ص.311

[439] – نشر الباحث سعد أعراب مقال عن "**المرشدة**" ضمن أعمال الملتقى الثالث التونسي الإسباني، قرطاج 11-17 أفريل 1977، **ضمن الكراسات التونسية**، T.XXV, N.103-104, 3=em et 4=em trimestres 1978, (pp.107-137

[440] – درس العديد من العلماء عقيدة ابن أبي زيد القيرواني، فصنفوا كتبا منها ما صنفه تلميذه الإمام القاضي أبأ محمد عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي وهو أوّل شارحها، والمشدالي صنف كتابا أيضا شرح فيه عقيدة ابن أبي زيد القيرواني، انظر: القاضي عياض، المصدر السابق، 222/7؛ الغبريني(أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، ت.714هـ-1314م)،

ثم جمع أحاديث عن المهدي المنتظر وشوقهم إليه، وادعى إلي نفسه ورفع نسبه إلى الرسول (ﷺ) وأخبرهم أنه المهدي المعصوم فبيعوه وألف لهم كتبا في العقائد والإمامة منها كتاب "**أعز ما يطلب**" باللسان البربري وأمر أتباعه بقراءة حزب واحد منه بعد صلاة الصبح وبعد الفراغ من قراءة حزب من القرآن الكريم وكتاب "القواعد" وكتاب "الإمامة" دونهما بلسان عربي وبربري يشمل كل واحد منها على المواعظ والأمثال ليقرب لهم المقاصد "فجدب نفوسهم واستجلب قلوبهم، وسهل عليم التعليم بنفسه وبأعيان أصحابه"[441]. وكان ابن تومرت على المذهب الأشعري إلا في الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفيها إلا في القليل منها كما أنه كان يخفي تشيعه عن العامة حسب عبد الواحد المراكشي[442].

خامسا: طبقات الموحدين

1-ابن تومرت صاحب الدعوة.

2- أصحابه المقربون العشرة(آية العشرة) وهو المهاجرون الأولون الذين دخلوا في دعوته فأطلق عليهم اسم أهل الجماعة، وهم عبد المؤمن بن علي الكومي وأبو محمد عبد الله البشير الونشريسي وأبو حفص عمر الهنتاتي وأبو حفص عمر بن علي آصناج(الصنهاجي)(ت.536هـ-1141م)، وأبو يحي أبو بكر بن يجيت(ت.524هـ-1130م)،أبو إبراهيم الهزرشي، أبو الربيع(أبو عبد الله) سليمان بن الحضري، أبو عمران موسى بن تمارا، والأحسن بن علي وعبد الله بن ملوية، وهم أشرف أصحاب ابن تومرت الثقات والسابقون إلى دعوته[443].

3-الطبقة الخمسين (آية الخمسين) أهل الخمسين وهم رؤساء من مختلف القبائل أطلق عليهم اسم المؤمنين، وكان يقول لهم ابن تومرت ما على وجه الأرض من يؤمن من إيمانكم، وأنتم

عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح. محمد بن شنب، دار البصائر،الجزائر، 2007م، ص.106؛ السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ط.2، تح. أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، لبنان، 1979م، 301/2؛ عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، ص.302-303.

[441] – ابن حزم الغافقي، المصدر السابق، ص.167.

[442] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.140-141.

[443] – لم تشر المصادر إلى الأسماء العشرة كما أنها اختلفت في ذكر أسمائهم، انظر: ابن حزم الغافقي، المصدر السابق، ص.166؛ ابن القطان، المصدر السابق، 126-127؛ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.141؛ النويري، المصدر السابق، ص.403.

العصابة المعنيون بقول الرسول(ﷺ)"لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله"[444].

4- الطبقة السبعين وسماها (آية السبعين) أو أهل السبعين وهم دون الذين من قبلهم وتضم الأعيان من مختلف القبائل دون آية خمسين وهذه الهيئات كلها كانت استشارية في خدمة ابن تومرت[445].

5-عامة وهم أصحابه والداخلين في طاعته موحدين[446].

أضاف ابن حزم الغافقي طبقات أخرى وهي: الطبقة الرابعة وهم الطلبة، والخامسة هم الحفاظ، يقصد به صغار الطلبة، والسادسة أهل الدار، والسابعة، هرغة، والثامنة أهل تنملل، والتاسعة جدميوة، والعاشرة، جنفيسة، والحادي عشر هنتاتة، والثاني عشر أهل القبائل، والثالث عشر الغرّات وهو الأحداث الصغار الأمِّيون وكل صنف من هذه الأصناف لا يتعداها إلى غيرها لا في السفر، ولا في الحضر وتمت مبايعته بناءً على هذه الأصناف[447].

ورويت أعمال قبيحة عن ابن تومرت التي سانده فيها صاحبه المقرب البشير الونشريسي، وكان بعضها مبالغ فيها وأخرى صحيحة ومعظم ما روي عنه ثبت أنه كذابا مُمَحْرقا ومن ذلك ما يأتي:

1-التعدي على أملاك الناس بتينمل.

2-إظهاره كأنه المنقد والمطلع على أسرار الناس والجهل باللغة العربية وعلوم الإسلام وعدم القدرة على ركوب الخيل.

3-إقامته يوم الحساب في الدنيا قبل الآخره.

4-التظاهر بتكليم الموتى[448].

---

[444] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.141؛ ابن القطان، المصدر السابق؛ النوريري، المصدر السابق، ص.403.

[445] – ابن حزم الغافقي، المصدر السابق، ص.167؛ ابن القطان، المصدر السابق، 128.

[446] – النويري، المصدر السابق، ص.403.

[447] – ابن حزم الغافقي، المصدر السابق، ص.171-172.

[448] – خالد علال كبير، المرجع السابق.

وعظم أمر الظاهرية أو الحزمية نسبة لابن حزم الظاهري في عهد أبي يوسف يعقوب بن أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي فقد كان يتظاهر بالمذهب الظاهري ويعرض عن المذهب المالكي، إلا أنهم "مغمورون بالمالكية. ففي أيامه ظهروا وانتشروا ثم في آخر أيامه استقضى الشافعية على بعض البلاد ومال إليهم" حسب ابن الأثير[449].

المحاضرة الثامنة

العقيدة الأشعرية وانتشارها ببلاد المغرب

أولا: مقدمة

المشهور عن الإمام مالك(ت.179هـ-795م) الذي قضى حياته في مدينة الرسول(ﷺ) وأصحابه، أنه لم يخض في المسائل الكلامية. فقد قال عنه أبو طالب المكي(ت.386هـ-996م)[450] كان:"أبعد الناس من مذاهب المتكلمين، وأشدهم بغضا للعراقيين وألزمهم لسنة السالفين من الصحابة والتابعين"[451]. وقد نقل عن الإمام مالك أنه قال:"إياكم والبدع، قيل يا أبا عبد الله وما البدع، قال أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته، وكلامه وعلمه، وقدرته، ولايسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون"[452]. وقد لجأ الفقيه ابن فروخ للإمام مالك فأرسل له رسالة يخبره فيها بانتشار البدع بإفريقية، فوجه إليه الإمام مالك بعض النصائح ليقتدي بها منها: أنه:"لا يرد عليهم إلاّ من كان عالما ضابطا عارفا بما يقول لهم، ليس يقدرون

---

[449] – ابن الأثير، المصدر السابق، 257/10-258.

[450] – هو محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي، كان رجلا صالحا مجتهدا في العبادة، له عدة مصنفات التوحيد منها: أصله من الجبل وسكن مكة فنسب إليها ثم دخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري ثم انتقل إلى العراق وتوفي هناك فدفن ببغداد بمقبرة المالكية، انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، 303/3. والجبل بفتح أوّله، وضمّ ثانيه وتشديده، كانت مدينة ثم أصبحت قرية في عصر الحموي وهي بين بغداد وواسط، انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، 103/2.

[451] – القاضي عياض، المصدر السابق، 39/2؛ الهروي، المصدر السابق، 70/5، أحمد محمد سالم، **نقد الفقهاء لعلم الكلام**، دار الرؤية، مصر، 2008م، ص.42.

[452] – ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، نشره حسام الدين المقدسي، مطبعة التوفيق، دمشق، 1928م، ص.334.

أن يعرجوا عليه، فأما هذا لا بأس به، وأما غير ذلك فإني أخاف أن يكلمهم فيخطئ، فيمضوا على خطئه، أو يظفروا منه بشيء فيطغوا، ويزدادوا تماديا على ذلك"، وابن فروخ هذا كان "يميل إلى طريقة أهل النظر والإستدلال" وقد ألف كتابا في ذلك[453].

إن الجدل الفكري في بلاد المغرب تأخر مقارنة بالمشرق، كما أن فقهاء قل ما يخوضون في علم الكلام وقد اضطروا إلى الاهتمام به فيما بعد، فكانوا ينفرون من هذه العلوم، ويعادون كل من ظهرت عليه. ويمكن القول أن هذا العلم مر بثلاث مراحل أولها: أن فقهاء المالكية امتنعوا في البداية عن دراسة هذا العلم، ثانيها تعلَّمه بعض الفقهاء إلا أن عددهم كان قليلا. ثالثها: ازداد اهتمام فقهاء المالكية بهذا العلم وصنفوا فيه، وانتهوا بتبني العقيدة الأشعرية. فمن هو صاحب المذهب؟ لمن يعود الفضل في دخول المذهب إلى بلاد المغرب، من هم أشهر أتباع هذا المذهب مشرقا ومغربا؟ ماهي أهم مؤلفات أتباع هذا المذهب ؟.

ثانيا: ظهور الأشعرية بالمشرق الإسلامي

1-نشأة المذهب الأشعري بالمشرق

ظهرت الأشعرية في المشرق بالبصرة في أوائل القرن الرابع للهجرة/10م، ويقول ابن حزم: "أما الأشعرية فكانوا ببغداد والبصرة" على يد أبي الحسن الأشعري(ت.324هـ-936م)[454]، الذي تبنى في البداية المذهب المعتزلي مدة 40 سنة ثم تخلى عنه بسبب مسألة "الصلاح والإصلاح". فعندما اختلف مع شيخه الجبائي انتقل إلى مذهب أبي محمد عبد الله بن سعيد

---

[453] – القاضي عياض، المصدر السابق، 102/3.

[454] – ظهر هذا المذهب في المشرق على يد مؤسسه أبي الحسن على بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري مولده كان سنة 260هـ-873م، وسمي بالأشعري لأنّ أمه ولدته والشعر على بدنه، وكان معتزليا، يقول بخلق القرآن، لكنه تراجع عن ذلك، فأصبح صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السنة، تفقه عن أبي إسحاق المروزي الشافعي، وحسب النّصوص فإنّه مالكي، أقام الحجج على إثبات السنة على ما نفاه أهل البدع من صفات الله تعالى ورؤيته، وقدم كلامه، وقدرته،...وغير ذلك من مذاهب أهل السنة والحديث التي نفتها المعتزلة، وقد عرفت هذه الأخير أصحاب المذهب بالمثبتة، إذ اثبتوا من السنة والشرع ما نفوه. وكان من المناظرين للمعتزلة منهم الجبائي المعتزلي، ألف كتبا في الردود على المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وغيرهم منها: **"اللمع في الرد على أهل البدع"** و**"كتاب في الرد على المجسمة"** و**"صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السنة** "وكتاب"**التبيين عن أصول الدين**" وكتاب في الصّفات، وقد اختلفت المصادر في تحديد تاريخ وفاته بين سنة 224هـ وبعد 330هـ، انظر: القاضي عياض، المصدر السابق، 24/5 وما بعدها؛ السمعاني، المصدر السابق، 273/1-274؛ ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، ص.15؛ ابن خلكان، المصدر السابق، 135/2-136؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 85/15 وما بعدها.

ابن كلاب القطان البصري المتكلم (ت.240هـ-854م) وهو مذهب وسط بين الاعتزال والمذهب السني. وتعتبر هذه المرحلة بالنسبة لأبي الحسن "مرحلة التحول"، فأثبت في هذه المرحلة الصفات وأوّل باقي الصفات وهي: الحياة والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام. وبعدما استقر ببغداد انتقل إلى مذهب أهل السنة وأعلن انتماءه إلى مذهب أحمد بن حنبل في الأصول وألف في ذلك كتابا سمّاه "**الإبانة في أصول الديانة**" أثبت من خلاله كل الصفات التي أخبرنا بها الشارع (الله). وهذا الكتاب هو آخر مصنفاته على الأرجح، يعتمد عليه أهل الحديث في الرد على الأشعرية المتأخرة. وأشهر أتباع "مرحلة التحول" هم: أبو إسحاق الشيرازي(ت.476هـ-1083م) وإمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني وأبو حامد الغزالي.

واختلف المؤرخون من المتقدمين والمتأخرين في تحديد مذهب الفقهي لأبي الحسن الأشعري هل كان مالكيا؟ أم شافعيا؟ أم حنفيا؟ أم أنه شافعي ومالكي في نفس الوقت؟ ويظهر من أصحابه كعبد الله بن مجاهد البصري البغدادي المتكلم، الأصولي، المالكي والقاضي أبي بكر الباقلاني(ت.403هـ-1012م) بالعراق وابن أبي زيد القيرواني وأبي الحسن القابسي(ت.403هـ-1012م) وأبي عمران الفاسي(ت.430هـ-1039م) بإفريقية أنه مالكي ولا أحد يشك في ذلك حسب ما جاء في المصادر[455]. وقد حُكم عليه أنه شافعي ودليلهم حين أجاب في مسألة "الصلاة بغير فاتحة الكتاب" استنادا إلى رأي الإمام الشافعي[456].

2-دخول المذهب الأشعري واستقراره ببلاد المغرب

مشهور عند المغاربة قول عبد الواحد بن عاشر (ت.1040هـ-1630م)

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك[457]

---

[455] – القاضي عياض، المصدر السابق، 197/6، 44/7، السمعاني، المصدر السابق، 273/1-274؛ ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، ص.15؛ ابن خلكان، المصدر السابق، 135/2-136؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 85/15 وما بعدها.

[456] – جاء ذلك في رواية ثانية لابن عساكر، انظر: **تبيين كذب المفتري**، ص.124.

[457] – علي الإدريسي، "الأشعرية والإستقرار المذهبي بالمغرب"، ضمن كتاب **المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد إلى الوحدة**، ص. 121.

وبالرغم أن هذه المقولة جاءت متأخرة إلا أنها تعكس ذروة انتشار المذهب الأشعري العقدي والمذهب المالكي الفقهي[458] ببلاد المغرب واستقرارهما في معظم حواضره، بعد ما برزت عدة مذاهب سنية (مالكية وحنفية) ومذاهب ذات نزعة إقامة دول ببلاد المغرب كالخوارج الصفرية والإباضية والشيعية كالزيدية(العلوية) والإسماعيلية.

في البداية أي في عصر الأغالبة ظهرت صراعات في القيروان حول التأويل في بعض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية مناظرة أبي محرز محمد الكناني وأسد بن الفرات في بلاط زيادة الله(201-223هـ/817-838م)حول مسألة النبيذ بين أصحاب المذهب (الحنفي والمالكي) وكانت المناظرة حول مسألة النبيد المسكر[459]. وتعرض الإمام سحنون بن سعيد المالكي(ت.240هـ-854م) إلى محنة على يد القاضي ابن أبي جواد الحنفي(ت.233هـ-848م) في عهد محمد بن الأغلب(226-242هـ/841-856م)[460].

وحسب بعض المصادر فإن المذهب الأشعري دخل إلى الغرب الإسلامي في النصف الثاني من القرن 4هـ/8م عن طريق الدعاة والرحالة وذكر ابن حزم أنها:" قامت(الأشعرية) لهم سوق بصقلية والقيروان وبالأندلس"[461]. فلقي ترحيبا واسعا لدى بعض فقهاء المالكية، وكان ذلك بعد تقلص إشعاع المذاهب الأخرى: كالخوارج والمرجئة والمعتزلة والشيعة. ومن جملة هؤلاء الفقهاء ابن أبي زيد القيرواني[462] وأبي الحسن القابسي[463] الذي نعته القاضي

---

[458] – لا تقتصر الأشعرية على المالكية فقط فهناك فقهاء من الحنفية والشافعية تبنوا أيضا المذهب الأشعري، وحسب قول ابن عساكر أنه" تعلق بها أهل السنة من المالكية والشافعية وبعض من الحنفية"، وكان عبد القادر البغدادي وأبو حامد من بينهم، انظر: **تبيين كذب المفتري**، ص.25.

[459] – الرقيق القيرواني(إبراهيم بن القاسم، ت.417هـ-1026م)، **قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور**، تح. سارة البربوشي، منشورات الجمل، بيروت، 2010م، ص.899-900.

[460] – ابن عذارى، المصدر السابق، 103/1.

[461] – ابن حزم(أبو محمد علي بن أحمد ت.456هـ-1064م)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، 73/5.

[462] – درس العديد من العلماء في عقيدة ابن أبي زيد، فصنفوا كتبا منها ما صنفه تلميذه الإمام القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي وهو أوّل من شارحها، والمشدالي صنف كتابا أيضا شرح فيه عقيدة ابن أبي زيد القيرواني، انظر: القاضي عياض، المصدر السابق، 222/7؛ الغبريني، المصدر السابق، ص.106؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، 301/2؛ عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، ص.302-303.

[463] – ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، ص.122؛ علاوة عمارة، "مكانة الفكر العقدي في إنتاج العلوم والمعارف في الجزائر الحمادية(395-547هـ/100-1152م) مقاربة سوسيولوجية"، ضمن كتاب **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات، الجزائر، 2008م، ص.110؛ الهنتاتي، "تطور موقف علماء المالكية..."، ص.299، وانظر أيضا: Idris (H.R.), **sur la diffusion de l'aš'arisme**, pp. 126- 140.

عياض بأنه:" فقيها أصوليا متكلما مؤلفا مجيدًا"[464]. ويبدو أن أبا إسحاق إبراهيم بن عبد الله القلانسي(ت.359هـ-970م) صاحب كتاب "**الإمامة والرد على الرافضة**" كان أسبقهم إلى هذا العلم، فقد ذكر القاضي عياض أنه كان"فقيها عالما بالكلام والرد على المخالفين"[465]، أما البرزلي فقال أنه:"**من مشايخ الأشعرية**"[466]. ولم يحدد ابن حزم(ت.456هـ-1064م) تاريخ دخول الأشعرية إلى الغرب الإسلامي لكنه يذكر أنهم كانوا في بغداد والبصرة ثم قامت لهم سوق بصقلية والقيروان والأندلس[467].

وحسب عبد الواحد المراكشي أن محمد بن تومرت(ت.524هـ-1130م) كان على مذهب أبي الحسن الأشعري(260-324هـ/873-936م) في أكثر المسائل إلا في إثبات الصفات، فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل غيرها[468]. يظهر أن المغاربة عامة كانوا متمسكين بالعقيدة السنية وكان ابن تومرت قدوتهم، فأهل المغرب والمشرق السنيين "بحججه يحتجون، وعلى مناهجه يذهبون"، وقد أثنوا على طريقته ومذهبه الكثير[469]. مما أدى إلى انتشاره بين الناس في المغربين الأوسط والأقصى[470]، خاصة في حاضرة تلمسان التي ملك فيها ابن تومرت قلوب أهلها حتى عظموه، ولما أظهر ما كان يدعو إليه في فاس أخرجه أهلها إلى

---

464 – القاضي عياض، المصدر السابق، 93/3.

465 – نفس المصدر، 257/6.

466 – البرزلي(أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي، ت.841هـ-1438م)، **فتاوى البرزلي(جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام)**، تح. محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، 2002م، 387/1؛ وانظر أيضا: الهنتاتي، "تطور موقف علماء المالكية..."، ص.300.

467 – ابن حزم، **رسائل ابن حزم**، ط.2، تح. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1987م، 73/5.

468 – علي الإدريسي، المرجع السابق، ص.131.

469 – القاضي عياض، المصدر السابق، 25/5.

470 – اختلفت المصادر في تاريخ دخول ابن تومرت إلى قلعة بني حماد وإقامته بها، فقد ذكر ابن القطان أنه وصل إلى بجاية في سنة 511هـ-1118م، انظر: المصدر السابق، ص.76؛ أما البيذق وعبد الواحد المراكشي لم يحددوا السنة، انظر: البيذق(أبو بكر بن علي الصنهاجي، ت.6هـ-13م)، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص.13؛ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.156؛ أما ابن خلدون والباحث رشيد بورويبة فحددوا دخوله بسنة 512هـ-1119م، انظر: المصدر السابق، 235/6؛ "إقامة ابن تومرت ببجاية وملالة"، ص.233.

مراكش. ولابن تومرت مؤلفات تأثر فيها بأشعرية شيوخه أمثال الكيا الهراسي وأبي بكر الشاشي ومن مؤلفاته المشهورة: "**أعز ما يطلب**" أو كتاب "**التوحيد**"[471] و"**عقائد أصول الدين**"[472].

إن العامة لم تتحول إلى العقيدة الأشعرية ولم تتأثر بها، إلا بعد المجهود الذي قام به ابن تومرت في إرسائها بفضل عقيدة "**المرشدة**" التي هذب فيها عقيدة العامي، بل فرضها بواسطة سلطته السياسية حسب ما ذكره الباحث نجم الدين الهنتاتي[473].

تدعم انتشار المذهب الأشعري ببلاد المغرب بالفقيهين أبي طاهر محمد بن علي البغدادي الواعظ(ت.448هـ-1056م) الذي قيل عنه:"لولاه لضاع العلم بالمغرب"[474]، وأبي عبد الله بن أبي حاتم الأذري(ت.423هـ-1032م)[475]، ودخولهما كان بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بأمر من الباقلاني "شيخ السنة ولسان الأمة"، و"فارس هذا العلم مبارك على هذه الأمة" و"حصن من حصون المسلمين"[476]، وسبب ذلك لأنّهما مالكيين في الفروع (الفقه).وعُرف عن المالكية بشدة تعصبهم للمذهب المالكي فوجد أبو ذر الهروي والباقلاني فرصة مناسبة لنشر الأشعرية بين المغاربة في بلاد المغرب والمشرق. فدخلا الداعيان إلى القيروان فتأثر بهما عدد من فقهاء المغاربة منهم أبو إسحاق التونسي وأبو عمران الفاسي الذي قال له الباقلاني:"لو اجتمعت في مدرستي أنت وعبد الوهاب بن نصر ... لاجتمع فيها علم مالك؛ أنت تحفظه، وهو ينصره ولو

---

[471] – ابن حزم الغافقي، المصدر السابق، ص.167.

[472] – عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص.141؛ الهنتاتي، "تطور موقف علماء المالكية..."، ص.311.

[473] – الهنتاتي، "تطور موقف علماء المالكية..."، ص.311.

[474] – ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، ص.123.

[475] – الأذري: بفتح الهمزة والدال نسبة إلى أذربيجان، وعند النحويين هو مركب من كلمتين أذر و بيجان، وردت هذه النسبة إلى ابن حاتم الأذري، وقد حرفت كلمة "الأذري" إلى "الأزدي" عند ابن عساكر في كتابيه"**تاريخ دمشق**" و"**تبيين كذب المفتري**"، أما عند الذهبي والدراسات الحديثة ذكرته بالأذري، انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، 471/41 نفس المؤلف، **تبيين كذب المفتري**، ص.15؛ الحموي، المصدر السابق، 128/1؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، 600/9؛ محمد محفوظ، "الأذري أم الأزدي؟"، **مجلة الفكر**، ع.3، شهر ديسمبر، تونس، 1971م، ص.56-60؛ الهنتاتي، "إسهام القيروان عبر التاريخ في بلورة التوجه المذهبي بالغرب الإسلامي"، **التاريخ العربي**، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، بمساهمة مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ع. 55، دار البيضاء، المغرب، 2011م، ص.133؛ حسن حسني عبد الوهاب، **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مرا. وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير بكوش، طبع باشتراك بيت الحكمة تونس ودار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990م، ص.391.

[476] – القاضي عياض، المصدر السابق، 45/7.

رآكما مالك لسر بكما"[477]، وأبو الوليد الباجي وأبو عبد الله المازري والقاضي أبو بكر بن العربي المالكي الأندلسي(ت.543هـ-1148م) صاحب كتاب"العواصم من القواصم" وعدة رسائل في العقائد. ولم يقتصر فقهاء مالكية بلاد المغرب بالأخذ عن الداعيين الأذري والبغدادي فقط بل رحلوا إلى المشرق بغية توسيع معارفهم والتعرف على رجال المذهب من بين هؤلاء ابن أبي زيد القيرواني الذي نقل عنه الباقلاني واستجازه ابن مجاهد الطائي، والقاضي ابن العربي المالكي الذي ناظر الشيعة والقدرية بمصر وحضر مجالس العلمية لغيره من السنة ومن المخالفين ولم يبرح بيت المقدس حتى اطلع على العلوم التي بها، واستفاد من أبي حامد الغزالي الذي كان يلقاه في وقت الصلاة ووصف ملازمته للغزالي" كمن يدخل المعدن فيجمع النضار[478] برغامِهِ[479]"، فاختص به بالقراءة والسّماع والمباحثة والتتبع للمشكلات بالكشف عن خباياها. كما تأثر بكتبه منها كتاب"**إحياء علوم الدين**" لأبي حامد الغزالي وبعدما أكمل ابن العربي رحلته وحقق هدفه رجع إلى بلاد المغرب.

فأصبح المغاربة فيما بعد المرجعية في علم الكلام الذي يُعتمد عليها في المغرب والأندلس. ورغم تضيق الدولة المرابطية على مخالفيها من المتكلمين والفلاسفة والصوفية، إن زوالها سنة 541هـ-1146م قد فتح المجال للأشعرية بالإنتشار والهيمنة على المغرب الإسلامي والأندلس. ومن ذلك الوقت أصبح المذهب الأشعري هو المذهب الرسمي لدول الغرب الإسلامي بسبب فرضه على الرعية ابتداءً من عهد الموحدين الذين كانوا أشاعرة الأصول.

رابعا: حركة التأليف عند أشاعرة المغرب

إضافة إلى الداعيين اللذين دخلا إفريقية لبث الدعوة الأشعرية ورحلات الفقهاء إلى المشرق، فإن التأليف في المذهب له الفضل أيضا في انتشار المذهب الأشعري بالمشرق وبلاد المغرب ومن بينها مصنفات أبي الحسن الأشعري. فقد ذكر القاضي عياض أنه:"صنف لأهل السنة التصانيف، وأقام الحجج على إثبات السنة، وما نفاه أهل البدع من صفات الله تعالى، ورؤيته،

---

[477] – نفس المصدر، 47/7، 247؛ عبد القادر توتشيش، "صحوة المذهب المالكي في الغرب الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري: محاولة تفسير"، **ضمن كتاب حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي**، دار الطليعة، بيروت، 2006م، ص.89.

[478] – النضار: الجوهر الخالص نقلا عن ابن العربي(أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي، ت.543هـ-1148م)، **قانون التأويل**، ط.2، تح. محمد سليماني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010م، ص.451.

[479] – رغامه: الرغام هو الرمل المختلط بالتراب، ابن العربي، نفس المصدر.

وقدم كلامه، وقدرته، وأمور السمع الواردة من الصراط والميزان، والشفاعة، والحوض وفتنة القبرالتي نفت المعتزلة،..." وقال:" تعلق بكتبه أهل السنة، وأخذوا عنه، ودرسوا عليه، وتفقهوا في طريقه، وكثر طلبته وأتباعه لتعلم تلك الطرق في الذب عن السنة، وبسط الحجج والأدلة في نصر الملة، فسموا بإسمه، وتلاهم أتباعهم وطلبتهم، فعرفوا بذلك- يعني الأشاعرة- وإنما كانوا يعرفون قبل ذلك بالمثبتة، سمة عرفتهم بها المعتزلة، إذ أثبتوا من السنة والشرع ما نفوه"[480] ، واهتم من جاء بعد أبي الحسن الأشعري من الأشاعرة بالتصنيف وبالرواية عن رواد المذهب الأشعري.

دخلت بعض كتب الأشاعرة عن طريق الرواية بالإجازة إلى الغرب الإسلامي وقد تحصل ابن الخير الإشبيلي بإجازة من أبي علي الغساني عن أبي مروان البوني على الكتاب وذكر ذلك في كتابه"**فهرسة ابن الخير الإشبيلي**" ب "**رسالة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي البصري فيما التمسه فقهاء أهل الثغر بباب الأبواب من شرح أصول مذاهب التابعين للكتاب والسنة**"[481] لابن مجاهد الطائي (370هـ-980م) تلميذ الأشعري. كما تحصل الإشبيلي على إجازة لكتاب "**رسالة الحرة**"[482] للقاضي أبي بكر الباقلاني تلميذ الأشعري حدثه بها أبي علي الغساني عن أبي مروان البوني حدثه بها أبو طاهر محمد بن علي الغساني قراءة منه عليه[483].

---

480 – القاضي عياض، المصدر السابق، 5/24-25.

481 – لم أعثر عليها في كتب أخرى.

482 – ذكرها ابن زبير عند ترجمته لسعد بن محمد المعروف بابن الحفار(ت.646هـ-1248م) فقد سمعها هذا الأخير من أبي الحسن بن كوثر المقرئ وهو آخر من حدث عنه بالقراءة والسّماع سنة 583هـ-1187م دون الإشارة إلى مؤلفها، انظر: المصدر السابق، 4/215، ولم يورد ابن عبد الملك مؤلف الرسالة، انظر: ابن الزبير(أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي العاصمي الغرناطي، ت.708هـ-1309م)، **كتاب صلة الصلة**، تح. عبد السّلام الهرّاس وسعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، القسم الثالث 1993م؛ القسم الرّابع 1994م؛ القسم الخامس مع ملحق من أعلام مفقودة 1995م، 4/ 15.

483 – الاشبيلي(أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي، ت.575هـ-1180م)، **فهرسة ابن خير الإشبيلي ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف**، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص.222.

ولا يستبعد أشعرية الإمام الداودي المسيلي التلمساني لعدة أسباب منها: أنه قل ما يذكر دون معية معاصريه ابن أبي زيد القيرواني وأبي الحسن القابسي اللذان تتلمذ عنهم[484] وكانا من الأشعرية بلاد المغرب. وكان الداودي يبدي برأيه في مسألة "الإيمان"[485] حين تطرح للمناظرة وذكر ذلك القاضي عياض في كتاب"**ترتيب المدارك**" في عدة مواضع. ويظهر أن أبا مروان البوني تأثر بأشعرية شيخه الداودي حين لازمه أكثر من خمس سنوات[486]. كما أن للداودي مؤلفات في علم الكلام منها "**الإيضاح في الرد على القدرية**"[487] وهو كتاب في العقيدة وعلم الكلام، ذُكر بعناوين مختلفة مثل "**الإيضاح في الرد على البكرية**"[488]. ورجح الباحث عبد العزيز دخان أن هذا العنوان في موسوعته، معتقدا أن الداودي ألفه للرد على الطائفة البكرية، التي تنسب إلى أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد البكري الصوفي نزيل القيروان الذي ادعى رؤية الله في اليقظة[489]. وبما أن الكتاب مفقود قد تكون التسمية لكتاب واحد كما يمكن أن تكون للكتابين. وقد ألف محمد بن سحنون وابن أبي زيد القيرواني والقابسي كتبا في الرد على القدرية والبكرية.

ومن أشاعرة المغرب الأوسط أذكر أيضا: الفقيه أبو الحسن علي بن أبي القاسم المتكلم الأشعري(ت.519هـ-1125م) فتنقل بين العراق ودمشق[490]، عبد الجليل الديباجي القروي القلعي الذي ألف"**رسالة في الاعتقاد**"[491] وهو من تلاميذ قاضي إشبيلية أبي عبد الله محمد ابن شبرين(ت.503هـ-1109م) صاحب أبي الوليد الباجي وأبي عمران الفاسي والأذري.

---

[484] – القاضي عياض، المصدر السابق، 19/7؛ ابن بشكوال(أبو القاسم خلف بن عبد الملك، ت.578هـ-1183م)، **كتاب الصلة**، منشورات دار الهيئة، مصر، 2008م، 46/1، 48، 143، 86/2 وما بعدها من عدة صفحات.

[485] – نفس المصدر، 229/4، 216/6، 275/7.

[486] – الطبني من رواة أبي بكر بن عذرة المتكلم، انظر: القاضي عياض، المصدر السابق، 259/7، 275.

[487] – القاضي عياض، المصدر السابق، 103/7، المنتوري(أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن علي القيسي المنتوري، ت.834هـ-1431م)، **فهرسة**، تح. محمد بنشريفة، الرابطة المحمدية، المملكة المغربية، 2011 م، هـ. 3، ص.244؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص.141.

[488]– الذهبي، **تاريخ الإسلام**، 600/9.

[489] – عبد العزيز الصغير دخان، **موسوعة الإمام العلامة أحمد بن نصر الداودي المسيلي التلمساني المالكي في اللغة والحديث والتفسير والفقه**، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2013م، 82/1.

[490] – ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، 135/43، 247/74؛ الحموي، المصدر السابق، 349/4.

[491]– عبد الجليل الديباجي، **تفسير أية الوضوء**، مخطوط ضمن مجموع بالمكتبة السليمانية، رقمه يازمه باغشلر رقم 1885-2 YAZMABAGISLARAR نسخت سنة 576هـ-1181م من 95آ- 105ب؛ رمضان ششن، **نوادر المخطوطات العربية**، 34/2.

وتتلمذ عليه أكثر المغاربة منهم القاضي عياض الذي تحصل على إجازة في تصانيفه[492]، منها كتاب "**اللمع**" للباجي وكتب الباقلاني عن عبد الجليل الديباجي عن الأذري. ويعتبر كتاب"**التمهيد في الكلام على التوحيد**" لأبي بكر بن الطيب الباقلاني[493] من الكتب التي اهتم بها المغاربة بالدراسة والتأليف، وقد قام عبد الجليل الديباجي بشرح الكتاب فسماه ب"**التسديد في شرح التمهيد**"[494]. ودخل كتاب "**الإرشاد**" **و** "**البرهان**" للإمام أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني(ت.478هـ-1085م)[495] إلى بلاد المغرب وهي من الكتب التي عنيت بالدراسة. فكتاب **الإرشاد** كان من الكتب المدرسة في بجاية وقد ذكره الغبريني في مشيخته، وأما كتاب "**البرهان**" فقد عني بالدراسة والشرح والإختصار ونظما. واهتم المغاربة أيضا بكتاب" **مشكل الحديث**" للإمام أبي بكر بن فورك المتكلم(406هـ-1016م)، روي عن الفقيه حجاج بن قاسم المأموني عن أبي بكر المطوعي عن أبي بكر بن فورك[496].

ومن الوافدين إلى بجاية الحمادية[497] أذكر: الفقيه والأديب أبا بسام موسى بن عبد الله بن أبي جعفر الكوفي الأشعري(ت.486هـ-1093م)[498] دخل إلى صقلية، ثم انتقل منها إلى الأندلس للجهاد، فلم يمنعه ذلك من أن يفيد الناس، فقد أُخذ عنه في مدينة ميورقة[499] (Mallorca) أو (Majorca) ودخل إلى القلعة الحمادية فامتحن بها وقتل ذبحا. وحسب ابن

---

[492] – الذهبي، **تاريخ الإسلام**، 304/10.

[493] – هو كتاب التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة نشر الكتاب عدة مرات، انظر: السكوني(أبو علي عمر، ت.717هـ-1317م)، **عيون المناظرات**، تح. سعد عراب مع مقدمة وفهارس، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1976م، ص.378.

[494] – توجد نسخة من هذا المخطوط ضمن مجموع في المكتبة السليمانية تحت رقم طورخان والدة السلطان 1/20) من 1أ-93ب) نسخت سنة 576هـ-1180م، تحمل رقما آخر يازمه باغشلر رقم YAZMABAGISLARAR 2-1885، انظر أيضا: سزكين، المرجع السابق، مج. 1، 4/49-50.

[495] – المنتوري، المصدر السابق، هـ.2، 3، ص.168-169.

[496] – القاضي عياض، **الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض**، تح. ماهر زهير حرار، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982م، ص.40؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص.59

[497] – انظر: Art **Hammadides** dans E.I ,T. III.

[498] – حسب الباحث علاوة عمارة أن أبا بسام الشخصية العلمية المشرقية الوحيدة التي دخلت قلعة بني حماد، انظر: علاوة عمارة، "مكانة الفكر العقدي في إنتاج العلوم والمعارف في الجزائر الحمادية(395-547هـ/100-1152م) مقاربة سوسيولوجية"، ضمن كتاب **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات، الجزائر، 2008م، ص.104.

[499] – ابن الزبير، المصدر السابق، 57/3.

بشكوال أنه نقل هذه الرّواية من القاضي عياض الذي أرسله إليه بخطه دون[500]. ويبدو أن سبب قتله اهتمامه بعلم الكلام على الطريقة الأشعرية[501].

الخاتمة

ساهم فقهاء مالكية القيروان من بينهم ابن أبي زيد القيرواني وأبي الحسن القابسي وغيرهما في دخول المذهب الأشعري وانتشاره بالغرب الإسلامي، فكانت القيروان وفاس وتلمسان وبجاية وقسنطينة كالمدينة والكوفة والبصرة وبغداد مراكز للأشاعرة. وقد تم نشر المذهب الأشعري بالمغرب الأوسط على يد ثلة من فقهاء المالكية على سبيل المثال لا الحصر: أبو جعفر الداودي وأبو عبد الملك البوني وأبو الفضل النحوي وعبد الجليل الديباجي ومن جاء بعدهم من تلاميذهم كابن الرمامة وأبي الفضل النحوي وأبي الحسن القسنطيني الأشعري وأبي عبد الله بن داوود القلعي (ت.529هـ-1135م) وأبي علي بن زكون التلمساني... وغيرهم، وإلى الفقيهين ويعود سبب انتشاره أيضا إلى التقارب بين المذهبين المالكي واالأشعري فكلاهما يدافعان عن العقيدة السنية.

---

[500] – انظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، 2/ 613؛ ابن عبد الملك الأوسي المراكشي(أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي، ت.703هـ-1304م)، **الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة**، تح. محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، دار الثقافة، لبنان، 1984م، 524/8؛ ولم أعثر على هذه الرواية في كتب القاضي عياض التي اطلعت عليها.

[501] – ابن عبد الملك، المصدر السابق، 524/8؛ ابن الزبير، المصدر السابق، 57/3.

قائمة المصادر والمراجع

أ – المصادر:

– القرآن الكريم

– ابن الأبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، ت.658هـ–1260م)، **التكملة لكتاب الصلة**، تح. عبد السلام هراس، إشراف مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، لبنان، 1995م.

– ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، ت.1092هـ–1681م)، كتاب **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، دار المسيرة، بيروت، 1993م.

– ابن أبي زيد القيرواني، **الذَّبُّ عن مذهب مالك، في غير شيء من أصولـه، وبعض مسائل من فروعه، وكشف مـا لبَّس به بعض أهل الـخلاف، وجَهْلِه منى مَحَـاجِّ الأسلافِ** ، تح. محمد العلمي، الرابطـة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، 2011م.

– ابن أبي زرع(أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي، كان حيا 724هـ–1324م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس**، منشورات دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م

– ابن الأثير(محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، ت.630هـ– 1232م)، **الكامل في التاريخ**، تح. محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت،1987م.

– إدريس(عماد الدين، ت.872هـ–1462م)، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار**، تح. محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.

– الإشبيلي(أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي، ت.575هـ–1180م)، **فهرسة ابن خير الإشبيلي ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفـة في ضروب الـعلم وأنواع الـمعارف**، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

– الأشعري (أبو الحسن بن علي بن إسماعيل، ت.324هـ–936م)، **مقالات الإسلاميين**، ط.2، تح. محي الدين عبد الحميد، 1985م.

– الإصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي، ت.346هـ –957م)، **المسالك والممالك**، تح. ي، دي خويه، إصدارات فؤاد سزكين، جامعة فرانكفورت، جمهورية ألمانيا الاتحادية، 1992م.

– الأصفهاني (أبو عبد الله عماد الدين محمد بن صفي الدين الكاتب، ت.597هـ–1201م)، **خـريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الـمغرب، ط.3**، تح. العروسي المطوي والجيلالي بن الحاج يحي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986م.

– الباروني(سليمان بن الشيخ عبد الله، ت.1259هـ–1843م)، **كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**، القاهرة، د.ت.

– ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك، ت.578هـ–1183م)، **كتاب الصلة**، منشورات دار الهيئة، مصر، 2008م.

– البغدادي (عبد القادر بن طاهر بن محمد المعروف بالاسفرائيني، ت.429هـ–1037م)، **الفرق بين الفرق**، ط. 2، تح. محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، دار النموذجية، بيروت، 1993م.

– البغدادي(أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، ت. 463هـ–1071م)، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، مكتبة الخانجي، القاهرة، المكتبة العربية، بغداد، 1931م.

– البكري(عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر أبو عبيد، ت.487هـ–1094م)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من المسالك والممالك**، نشره البارون دوسلان، الجزائر، 1957م.

– البلاذري (أحمد بن يحي بن جابر، ت.279هـ–892م)، كتاب جمل من أنساب الأشراف، تح. سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، 1996م.

– البلخي(أبو زيد أحمد بن سهل، ت.322هـ–934م)، البدء والتاريخ، تح. خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

– البيذق(أبو بكر بن علي الصنهاجي، ت.6هـ– 13م)، **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

– الترمذي (محمد بن عيسى بن سورة، ت.279هـ–892م)، **السنن**، حكم على أحاديثه وأثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1997م.

– ـــــــــ، **صحيح سنن الترمذي**، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 2000م.

– ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي، ت.874هـ–1469م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، قدّمه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

– التنسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت.899هـ–1494م)، **تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر والعقيان**، تح. عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

– الجرجاني(علي بن محمد الشريف، ت.816هـ–1413م)، **كتاب التعريفات مع الفهرست**، مكتبة لبنان، بيروت، 1985م.

– الجودي (أبو عبد الله محمد بن صالح القيرواني، ت.1373هـ– 1943م)، **تاريخ قضاة القيروان**، تح. أنس بن الشيخ محمد العلاني، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 2004م.

– ابن الجوزي(أبو الفرج عبد الرحمن، ت.597هـ–1201م)، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تح. محمد عبد القادر عطا وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

– ابن حزم(أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت.456هـ–1063م)، **رسائل ابن حزم، ط.2**، تح. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1987م.

- ـــــــــــــ ، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ط.2، تح. محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، 1996م.
- ـــــــــــــ ، **المحلى بالآثار**، تح. عبد الغفار سليمان بن البنذاري، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
- ـــــــــــــ ، **النبذ في أصول الفقه الظاهري**، تح. محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن حزم، بيروت، 1993م.
- ابن حزم الغافقي(أبو يحي اليسع بن عيسى الجياني، ت575هـ-1180م)، **كتاب المُغرب في محاسن المَغرب**، تح. عبد السلام الجعماطي، الرباط، 2016م.
-ابن عبد الحكم (أبو محمد عبد الله، ت.214هـ-829م) رواية ابنه أبي عبد الله محمد (ت.268هـ-881م)، **سيرة عمر ابن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه**، ط.6، تح.أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، 1984م.
- الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، ت. 626هـ-1228م)،، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تح. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، 1993م.
- ـــــــــــــ ، **معجم البلدان**، ط.3، دار صادر، بيروت، 2007م.
- الحميدي(أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، ت.488هـ-1095م)، **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، تح. روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م.
- الحميري(محمد بن عبد المنعم، ت.900هـ-1495م)، **الرّوض المعطار في خبر الأقطار**، معجم جغرافي مع فهارس شاملة، تح. إحسان عباس، مكتبة لبنان، طبع على مطابع هيدلبرغ، بيروت، 1984م.
- ابن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني، ت.241هـ- 856م)، **المسند**، شرحه ووضع فهارسه حمزة بن أحمد الزين، دار الحديث، القاهرة، 1995م.
- الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد، ت.1089هـ-1687م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ابن حوقل (أبو القاسم محمد النصيبي، ت. بعد 367هـ -977م)، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م.
- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، ت.280هـ-893م)، **المسالك والممالك**، تح. محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م.
- ابن خلدون(عبد الرحمن، ت.808هـ-1405م)، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح. خليل شحادة، ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م.
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، ت.681هـ-1282م)، **وفيات الأعيان**، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.

- الخوارزمي(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب، ت.387هـ-997م)، **مفاتيح العلوم**، دراسة وتصدير عبد الأمير الأعسم، دار المناهل، بيروت، 2008م.
- الذهبي(أبو عبد الله شمس الدين محمد، ت. 748هـ-1348م)، **كتاب تذكرة الحفاظ**، ط.9، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ـــــــــــــ ، **سير أعلام النبلاء**، تح. شعيب الأرنؤوط وأكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م.
- ـــــــــــــ ، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.

- الداودي(أبو جعفر أحمد بن نصر، ت.402هـ-1011م)، **الأموال**، تح. محمد أحمد سراج و علي جمعة محمد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2001م.
- الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي، ت.696هـ-1296م)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلق عليه، ابن ناجي (أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى، ت.839هـ - 1435م)، ط.2، ج.1، تح. إبراهيم شبوح، ، ج.2، تح. محمد الأحمدي أبو النور، ومحمد الماضور، ج.3، تح. محمد ماضور، ج.4، تح. محمد المجدوب وعبد العزيز مجدوب، تونس، 1978م.
- ابن دحية (ذو النسبين أبي الخطاب عمر بن حسن، ت.633هـ/1236م)، **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تح. إبراهيم الأبياي وغيره، راجعه طه حسين، دار العلم للجميع، بيروت، 1955م.
- الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد، ت.670هـ-1271م)، **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح. إبراهيم طلاي، الجزائر، 1974م.
- الرازي(فخر الدين محمد بن عمر، ت.606هـ-1209م)، **خلق القرآن بين المعتزلة وأهل السنة**، تح. أحمد حجازي السقا، دار الجيل، بغداد، 1992م.
- الرقيق القيرواني(إبراهيم بن القاسم، ت.417هـ-1026م)، **قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور**، تح. سارة البربوشي، منشورات الجمل، بيروت، 2010م.
-ابن الزبير(أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي العاصمي الغرناطي، ت.708هـ-1309م)، **كتاب صلة الصلة**، تح. عبد السّلام الهرّاس وسعيد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، القسم الثالث 1993م؛ القسم الرّابع 1994م؛ القسم الخامس مع ملحق من أعلام مفقودة 1995م.
- أبو زكريا (يحي بن أبي بكر، ت.471هـ-1078م)، **كتاب السيّر الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا**، ط.3، تح. إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.
- الزواوي (عيسى بن مسعود)، **مناقب سيدنا الإمام مالك**، دار الفكر للطباعة والنشر، مصر، د.ت.

- ابن سحنون(محمد بن سعيد التنوخي القيرواني، ت.256هـ-870م)، **كتاب آداب المعلمين**، تح. حسن حسني عبد الوهاب ومحمد العروسي المطوي، مراجعة إبراهيم بن مراد، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، تونس، 2010م.
- السكوني(أبو علي عمر، ت.717هـ-1317م)، **عيون المناظرات**، تح. سعد عراب مع مقدمة وفهارس، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1976م.
- السمعاني (أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، ت.562هـ-1167م)، **الأنساب**، ج.1، ج.2، ج.3، ج.4، ج.5، ج.6 تح. عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة،1980م.

ج.7، ج.8، حقق وعلق عليهما محمد عوامة، 1976م.

ج.9، حققه محمد عوامة ورياض مراد، 1981م

ج.10، تحقيق عبد الفتاح حلو، 1981م.

ج.11، أشرف على هذا الجزء وحققه رياض مراد ومطيع الحافظ، 1984م

ج.12، حققه ورجعه أكرم البوشي، 1984م.

- السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن الشافعي، ت.911هـ-1505م)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، ط.2، تح. أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، لبنان، 1979م.
- ـــــــــــ ، **تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك**، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت.
- ـــــــــــ ، **طبقات الحفاظ**، ط.2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.
- الشماخي (أبو العباس أحمد بن سعيد، ت.928هـ-1522م)، **كتاب السيّر، الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن 5هـ/9م**، تح. محمد حسن، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1995م.
- الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد، ت.548هـ-1153م)، **الملل والنحل**، تح. أمير علي مهنا وعلي حسن فاغور، ط6، دار المعرفة، بيروت،1997م.
- الشيرازي (أبو إسحاق الشافعي، ت.476هـ-1084م)، **طبقات الفقهاء**، تح. إحسان عباس، دار رائد العربي، لبنان، د.ت.
- ابن الصغير(كان حيا ق.3هـ- 9م): **أخبار الأئمة الرستميين**، تح. محمد ناصر وبحاز إبراهيم، دار الغرب الإسلامي، 1986م.
- الصنهاجي(أبو عبد الله محمد الحمادي، ت.628هـ-1231م)، **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- أبو طاهر الفارسي، **مناقب محرز بن خلف، كان حيا 440هـ-1048م)**، ترجمة وتحقيق روجي إدريس، منشورات جامعة الآداب واللغات، الجزائر، 1956م.

- الطبري(أبو جعفر محمد بن جزير، ت.310هـ-922م)، **تاريخ الرسل والملوك**، ط.2، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1967
- ابن عبد الحكم(أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، ت.257هـ-871م)، **فتوح مصر والمغرب**، تح. عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 2001م.
- ابن عبد الحكم(أبو محمد عبد الله، ت.214هـ-826م) رواية ابنه أبي عبد الله محمد (ت.268هـ-881م)، **سيرة عمر ابن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه**-، ط.6، نسخها وصححها وعلق عليها أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، 1984م.
- ابن عبد الملك الأوسي المراكشي(أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري، ت.703هـ-1304م)، **الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة**، تح. القسم الأول محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، دار الثقافة، لبنان، 1984م.(من حقق الثامن)
- ابن عذارى (أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله المراكشي، كان حيا 712هـ-1312م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح.، ج، س، كولان، وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983م.
- أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم التميمي، ت.333هـ-945م)، **طبقات علماء إفريقية**، جمع وتح. محمد بن شنب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006م.
- ـــــــــــ، **المحن**، ط.2، تح. وهيب جبوري، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988م.
- ابن العربي(أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي، ت. 543هـ-1148م)، **قانون التأويل**، ط.2، تح. محمد سليماني، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2010م.
- ابن عساكر(الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن الشافعي، ت.571هـ-1176م)، **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارد بها وأهلها**، تح. محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م.
- ـــــــــــ ، **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، نشره حسام الدين المقدسي، مطبعة التوفيق، دمشق، 1928م.
- القاضي عبد الجبار(عماد الدين أبي الحسن بن أحمد، ت.415هـ-1024م)، **طبقات المعتزلة، كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ممُباينتهم لسائر المخالفين**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974م.
-القاضي عياض(عياض بن موسى بن عياض السبتي، ت.544هـ-1149م)، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تح. يحي إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، مصر،1998م.
- ـــــــــــ، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ط.2، وزارة الشؤون الدينية، المغرب- الجزء الأول، تح. محمد بن تاويت الطنجي، 1983م.
- الجزء الثاني، الجزء الثالث، الجزء الرابع، تح. عبد القادر الصّحراوي، 1983م.
- الجزء الخامس، تح. محمد بن شريفة، 1982م
- الجزء السادس، الجزء السابع، تح. سعيد أحمد أعراب، 1982م.

- الجزء الثامن، تح. سعيد أعراب، 1983م.
- ـــــــــــ، **الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض**، تح. ماهر زهير حرار، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982م.
- الغبريني(أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، ت.714هـ-1314م)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح. محمد بن شنب، دار البصائر،الجزائر، 2007م.
- ابن فرحون (أبو الوفاء إبراهيم بن نور الدين، ت.799هـ-1397م) **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح. مأمون بن يحي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م.
- ابن الفرضي(أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي، ت.403هـ-1013م)، **تاريخ علماء الأندلس**، تح. روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
ـ ط.2، منشورات دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008م.
- ابن القاضي (أحمد بن محمد، ت.1025هـ-1616م)، **جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس**، 1891م.
- ابن قتيبة(أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، ت.276هـ-889م)، **الإمامة والسياسة**، تح. طه محمد الزيني، دار المعرفة، د.ت.
- القزويني(الخليل بن عبد الله بن خليل الخليلي، ت.446هـ-1055م)، **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**، ضبطه الشيخ عامر أحمد خيدر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1993م.
- ابن القطان(أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي، منتصف القرن السابع الهجري)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، ط.2، تح. محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2011م.
- ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ، ت.810هـ-1407م)، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح. محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد تركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م.
- ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز، ت.367هـ-977م)، **تاريخ افتتاح الأندلس (متبوعاب"قصة الأندلس" لابن قتيبة و"أخبار الفتح" من الرسالة الشريفة، تح. عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1994م.**
- القيرواني(أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد، ت386هـ-996م)، **النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات**، تح. محمد الأمين بوخبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م.
- ابن الكثير(عماد الدين أبي الفدا إسماعيل البصري الدمشقي، ت.774-1372م)، **البداية والنهاية**، راجع نصه وضبطه وقدم له، سهيل زكار، دار صادر، بيروت، 2005م.
- الإمام مالك، **الموطأ رواية علي ابن زياد التونسي العبسي**، تح. فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978م.

– ـــــــــــ ، **الموطأ رواية يحي بن يحي الليثي المصمودي**، تح. محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 2003م.
ـ **المدونة الكبرى** رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم العتقي، تح. عامر الجزار وعبد الله المنشاوي، دار الحديث، القاهرة، 2005م.
– المالكي (أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله محمد، ت.474هـ–1082م)، تح. حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951م.
– ـــــــــــــ، تح. بشير بكوش ومحمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م.
– ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت.273هـ–886م)، **السنن**، حكم على أحاديثه وأثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض،1997م. .
ـ ـــــــــ، **إهداء الديباجة بشرح سنن ابن ماجة**، تأليف صفا الضوِّ أحمد العدوي، مكتبة دار اليقين، البحرين، 2001م.
– مجهول (كاتب مراكشي ت.ق6هـ– 12م)، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشره وترجم قسم منه إلى فرنسية سعد زغلول عبد الحميد، إصدارات فؤاد سزكين، معهد التاريخ والعلوم العربية، جمهورية ألمانيا الاتحادية، 1997م.
– ابن مخلوف(محمد بن محمد بن عمر بن قاسم، ت.1360هـ–1941م)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تح. عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
– المراكشي(أبو محمد، عبد الواحد بن علي المراكشي ت.647هـ–1249م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، شرحه واعتنى به صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م.
– ابن المرتضى (أحمد بن يحي، ت.840هـ–1437م)، **كتاب طبقات المعتزلة**، تح. سوسنة ديقلد–قِلزَر، بيروت 1961م.
– المسعودي(أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، ت.346هـ–957م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح. محمد محي الدين عبد الحفيظ، دار الفكر، بيروت، 1973م.
– المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الحنفي المعروف بالبشاري، ت.387هـ–997م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تح. محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987م.
–– المقدسي(مُطهّر بن طاهر، ت.355هـ–969م)، **البدء والتاريخ**، مكتبة المثنى، بغداد، ومؤسسة الخانجي، مصر، 1916م.
– المقري(أحمد بن محمد التلمساني، ت.1041هـ–1632م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب**، تح. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.
– المقريزي(تقي الدين بن علي، ت.845هـ–1442م)، **المقفى الكبير**، تح. محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1991م.

- ـــــــــــــ ، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، ط.2، تح. جمال الدين الشيال، القاهرة، 1996م.
- الملطي(أبو الحسين محمد بن أحمد، ت.377هـ-987م)، **كتاب التنبيه والرد على الأهواء والبدع**، عني بتصحيحه ديد رينغ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 2009م.
- المنتوري(أبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن علي القيسي المنتوري، ت.834هـ-1431م)، **فهرسة**، تح. محمد بنشريفة، الرابطة المحمدية، المملكة المغربية، 2011م.
- ابن منظور(أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ت711هـ-1311م)، **لسان العرب المحيط**، قدم له عبد الله العليلي وأعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف الجياط، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت، 1988م.
- **النديم** (محمد بن إسحاق المعروف بأبي يعقوب الوراق، ت.380هـ-990م)، **الفِهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء ما صنفوه من الكتب**، تح. رضا تجدد ، إيران، 1981م.
- القاضي النعمان (أبو حنيفة بن محمد بن حيون التميمي، كان حيا 363هـ-974م)، **افتتاح الدعوة**، ط.2، تح. فرحات الدشراوي، شركة تونس للتوزيع، ديوان المطبوعات الجامعية، تونس، 1986م.
- ـــــــــــــ، **دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل البيت الرسول عليه وعليهم أفضل السلام**، تح. آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 2003م.
- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت.733هـ-1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح. حسين النصار ومراجعة عبد العزيز الأهواني، القاهرة، 1983م.
- الونشريسي (أحمد بن يحي، ت.914هـ- 1509م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب من فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، أخرجه جماعة من الفقهاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.
- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، ت.284هـ-898م)، **البلدان**، دار إحياء التراث العربي، تح. محمد الحاج صادق، دمشق، 1968م

ب - المراجع

- آنخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمه من الإسبانية، حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م.
- أحمد بكير محمود، **المدرسة الظاهرية بالمشرق**، دار قتيبة، تونس، 1990م.
- أحمد محمد سالم، **نقد الفقهاء لعلم الكلام**، دار الرؤية، مصر، 2008م.
- إسماعيل السامعي، **دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى الخامس الهجري(8-11م)**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2006م.

- ألفراد بل، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمه عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1981م.
- بحاز إبراهيم، **الدولة الرستمية**، ط.2، نشر جمعية التراث، قرارة، الجزائر، 1414هـ/1993م.
- ـــــــــــــ، **القضاء في المغرب العربي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية (96-296هـ/715-909م)**، الياقوت، الأردن،2001م.
- بحاز إبراهيم بن بكير وآخرون، **معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر**، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م.
- بشير ضيف، **فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث نماذج متنوعة للمعلوم والمجهول**، ط.2، مراجعة عثمان بدري، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م.
- بوبة مجاني، **أثر العرب اليمنية في تاريخ المغرب في القرون الأولى للهجرة**، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2003م.
- ـــــــــــــ، **دراسات إسماعيلية**، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2002-2003م.
- عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، **المغربية في شرح العقيدة القيروانية(مقدمة الرسالة لابن أبي زيد القيرواني المغربي ت.386هـ)**، مكتبة دار المنهاج، السعودية، 2017م.
- الجنحاني الحبيب، **القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب**، الدار التونسية للنشر، 1968م.
- جودت عبد الكريم يوسف، **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- الجيدي عمر، **محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي**، منشورات عكاظ، الرباط، 1987م.
- حاجي خليفة، سلم الأصول إلى طبقات الفحول، تح.محمود عبد القادر الأناؤوط، تدقيق سعداوي صالح، إعداد الفهارس صلاح الدين أويغور، استانبول، 2010م.
- حسن الحافظي علوي، **المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد إلى الوحدة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2008م.
- حسن حسني عبد الوهاب، **كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين**، مرا. وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير بكوش، طبع باشتراك بيت الحكمة تونس ودار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990م.
- الحفناوي(أبو القاسم محمد بن الشيخ بن أبي القاسم الديسي، ت.1334هـ-1906م)، **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، د.ت.
- رمضان ششن، **نوادر المخطوطات العربية**،....
- أبو زهرة محمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة. د.ت.

– سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**، منشأ المعارف بالإسكندرية، مصر، 1976م.
سلمى محمود إسماعيل، **الصراع الإثني والمذهبي في المغرب الأقصى في ظل نظريات ابن خلدون**، دار الرؤية، مصر، 2012م.
– عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى منتصف القرن العشرين**، منشورات الكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1971م.
– عبد الحميد بن حمدة، **المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية**، تونس، 1986م.
– عبد الرحمن علي حجي، **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**، دار القلم، دمشق، 1981م.
– عبد السلام هارون، **نوادر المخطوطات**، دار الجيل، بيروت، 1991م.
– عبد العزيز الصغير دخان، **موسوعة الإمام العلامة أحمد بن نصر الداودي المسيلي التلمساني المالكي في اللغة والحديث والتفسير والفقه**، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2013م.
– عبد العزيز مجذوب، **الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1975م.
– عبد القادر توتشيش، "صحوة المذهب المالكي في الغرب الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري: محاولة تفسير"، **ضمن كتاب حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي**، دار الطليعة، بيروت، 2006م.
– عبد الوهاب بن منصور، **أعلام المغرب العربي**، المطبعة المالكية، الرباط، 1979م.
– أبو العزم داود محمد، **الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين**، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 1985م.
– علال خالد كبير، **محاضرات في الحركات المذهبية لطلبة قسم التاريخ سنة الرابعة**(نظام كلاسيكي)، بمدرج مالك بن نبي، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، قسم التاريخ، الجزائر، 2005م.
– علاوة عمارة، **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر الغرب الإسلامي(مقالات)**، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.
– عواد بن عبد الله، **المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها**، ط.2، مكتبة الرشد، الرياض، 1995م.
– فرحات الدشراوي، **الخلافة الفاطمية بالمغرب(296-365هـ/909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات**، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.
– الكتاني، **الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس**، طبعة حجرية، 1889م.
– لخضر بولطيف، **فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي**، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2015م.

– لطيفة البكاي، **حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي(37–132هـ)**، دار الطليعة، بيروت، 2001م.

– محمد أحمد عبد المولى، **القوى السنية في المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984م.

– محمد بركات بيلي، **التشييع في المغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الخامس الهجري**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993م.

– محمد حسن، **الجذور التاريخية لبلاد المغرب، جدلية السلطة والمجتمع والمجال(خلال القرن الأول والثاني الهجري/السابع والثامن الميلادي)**، مجمع الأطرش، تونس، 2022م.

– محمد الطالبي، **الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184–296هـ/800–909م**، ترجمة المنجي الصيادي، تح. حمادي الساحلي، ط.2، دار الغرب الإسلامي، 1985م.

– محمود إسماعيل، **الحركات السرية في الإسلام**، دار الرؤية، مصر، 2006م.

– ـــــــــــــ، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الرؤية، دار البيضاء، مصر، 2010م.

– منيرة بنت المهدي، **علماء الأندلس في القرنيين الرابع والخامس الهجريين**، الرياض، 2002م.

– موسى لقبال، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

– ـــــــــــــ ، **المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج**، ط.3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

– موسى هصام، **التّمكين للمذهب المالكي في المغرب الأدنى والأوسط بين القرنين الرابع والسادس الهجريين(10–12م)**، كنوز الحكمة، الجزائر، 2013م.

– ميخائيل أماري، **المكتبة العربية الصقلية نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع**، ليبسك، دار صادر، بيروت، 1857م.

– الناصري (أحمد بن خالد، ت.1315هـ–1897م)، **الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، تح. محمد حجي، وإبراهيم بوطالب، وأحمد توفيق منشورات وزارة الثقافة والاتصال، المغرب، 2001م.

– الهنتاتي نجم الدين، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن 5هـ/11م**، منشورات تبر الزمان، تونس، 2004م.

– وهبة الزحيلي، **أصول الفقه الإسلامي**، ط.2، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1968م.

ج – الدوريات والملتقيات

– إبراهيم عبد المنعم سلامة، "تراث الحافظ ابن سنجر الجرجاني نزيل مصر(285هـ–872م) وانتقال مصنفاته إلى إفريقية والأندلس، **مجلة المخطوط**، ع. 3، 2020م.

– أبو الأجفان، "المدرسة المالكية في إفريقية في عهد سيادة القيروان"، **بحوث الملتقى الأوّل للقاضي عبد الوهاب البغدادي**، دار البحوث للدّراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 2004م.

– الإدريسي علي، "الأشعرية والإستقرار المذهبي بالمغرب"، ضمن كتاب **المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد إلى الوحدة.**

– الجنحاني الحبيب، السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب، **مجلة الأصالة**، السنة السادسة رمضان– شوال 1393هـ، سبتمبر– أكتوبر 1977م، العدد 49–50، الجزائر.

– رشيد بوروبة، "إقامة ابن تومرت ببجاية وملالة"، **مجلة الأصالة عدد خاص بجاية عبر العصور**، ع.19، س.4، 1974م.

– عبد الباقي السيد عبد الهادي، "المذهب الظاهري ونشأته وتطوره بالمغرب والأندلس حتى نهاية الموحدين"، **حولية سمينار التاريخ الإسلامي والوسيط**، الجمعية المصرية للدراسات الإسلامية، مصر، 2012م.

– عبد القادر توتشيش، "صحوة المذهب المالكي في الغرب الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري: محاولة تفسير"، **ضمن كتاب حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي**، دار الطليعة، بيروت، 2006م.

– عبد الهادي حسيسن، دخول المذهب المالكي إلى بلاد المغرب الإسلامي، **مجلة دار الحديث الحسنية**، الرباط، العدد3، 1982م.

– عمر الجيدي، "محاربة المذهب المالكي في المغرب"، **مجلة دعوة الحق**، العدد 225، أكتوبر– نوفمبر، الرباط، 1982م.

ـ ـــــــــــ ، "المذهب المالكي"، **مجلة دعوة الحق**، العدد 226، الرباط، ديسمبر، 1982م.

– لقبال موسى، "من قضايا التاريخ الرستمي"، **مجلة الأصالة**، العدد 41، **ملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي**، ورقلة، الجزائر، السنة السادسة محرم 1397هـ موافق لجانفي 1977م.

– ماريا خيسوس فيغيرا، "محمد وعبد الرحمن في قرطبة"، **مجلة الأصالة**، العدد 45، السنة الخامسة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، جمادي الأولى 1397هـ/ماي 1977م.

– محمد الشريف، جغرافية التيارات المذهبية بالغرب الإسلامي كما يعكسها الجغرافيون المشارقة حتى القرن4هـ/10م)، **ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية** ، الرباط، 2008م.

– محمد محفوظ، "الأذري أم الأزدي؟"، **مجلة الفكر**، ع.3، شهر ديسمبر، تونس، 1971م.

– محمد اليعلاوي، "الجدل المذهبي بين المالكية والشيعة عند انتصاب العبيديين"، **ملتقى القيروان مركز علمي مالكي بين المشرق والمغرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة، 4–5– 6–ذو القعدة 1414هـ الموافق ل 15–16–17 أفريل 1994م**، مركز الدراسات الإسلامية، القيروان، 1994م.

– الهروس مصطفى، "قيام المدرسة المالكية بالأندلس"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، **سلسلة ندوات ومحاضرات**، 1998م.

– نجم الدين الهنتاتي، "الأحباس بإفريقية وعلماء المالكية إلى منتصف القرن 6هـ/12م"، **الكراسات التونسية**، العدد 174، الثلاثية الثالثة، تونس، 1996م.

– ـــــــــــ، "إسهام القيروان عبر التاريخ في بلورة التوجه المذهبي بالغرب الإسلامي"، **التاريخ العربي**، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، بمساهمة مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ع. 55، دار البيضاء، المغرب، 2011م.

– ـــــــــــ،"تطور موقف علماء المالكية بافريقية من الخوض في المسائل الكلامية وتبنيهم الأشعرية"، **مجلة إيبلا**، معهد الآداب العربية، ع.55، س.170، 1992م.

– وداد القاضي، "مؤرخ الدولة الرستمية"، **مجلة الأصالة**، العدد45، السنة الخامسة، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر ، 1976م.

هـ – الرسائل

بوعقادة عبد القادر، **المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنيين الثاني والثالث للهجرة/الثامن والتاسع للميلاد**، رسالة ماجستير في تاريخ الوسيط ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2004م.

–مجاني بوبة، **النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي، (296–362هـ/909–973م)**، رسالة دكتوراه(منشورة) في التاريخ الإسلامي، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1995م.

–لوزري سعيدة، **المذهب المالكي بالمغرب الأوسط–دخوله وانتشاره–(3–5هـ/6–11م)**، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2015م.

3– المراجع باللغة الأجنبية

Alfred(B), **La Religion Musulmane en Berbérie,** établissement et développement de l`Islam en Berbérie du VII^{e} au XX^{e} siècle, libraire Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1938.

- Abu L-Qasim AL- Labidi, Manaqib d`Abu Ishaq Al-Jabanyani, introduction et traduction par Hady Roger Idris, publication de la faculté des lettres et sciences humaines d`Alger, presses universitaires de France, Paris, 1959.

- Brunschvicg (R.), «Le Fiqh Fatimide et histoire de l`Ifriqiya», **Dans les études d`Islamologie**, Edition G. P. Maisonneuve et Larose, 1976, Paris.

- Djait(H.), «al-Kufa» **, l'Encyclopédie de l'Islam**, Nouvelle édition, 1986, T.V.

- grand discours, Paris, 1989.

-Idris(H. R), Essai sur la diffusion de l'aš'arisme en Ifriqiya» dans **Cahier de Tunisie**, T. II, 1953.

- ——— , «Deux juristes Kairouanais de l`époque Ziride : Ibn Abi Zaid et Al-Qabisi X$^{e}$- XI$^{e}$», **annales de l`institut d`études Orientales**, Faculté des lettres de l`université d`Alger, 1954, T. XII.

- Note sur l`Identification de la Risala d`Ibn Abi Zaid al-Qairawani, **les cahiers de Tunisie**, revue de sciences humaines, Tunis, T.I, 1953.
- Launois(A), «Influence des docteurs malikites sur le monnayage Ziride de type sunnite et sur celui des Almoravides», **Arabica**, revue d`études arabes, T. XI, 1964.
-Lewicki (T.), «Ibadiyya» dans **E.I, T.III.**
- Madelung (W.),**Art Ismmaiiliyya** dans E.I, T. III.
- Provençal, (E.), **Art Rustumides** dans E.I, T. III.
- Schacht (J.), **Deux éditions inconnues du Muwatta**, , **Dans Studi Orientalistici in Onore di Giorgio Levi Della Vida,** Roma, 1956.
-Talbi(M), «Ibn TÛmart, ou le parti avant la dynastie almohade», **Les Africains**, sous la direction de Charles-André Julien et autre, édition j.a., T.XI, Paris , 1978.
-_____«Chronique D`Ibn Saghir sur les imams Rustumides de Tahert», **les cahiers de Tunisie**, revue de sciences humaines, T. XXVI, 3em et 4em, trimestres, 1975.
- _____ «Rustumides» dans **E.I, T.III**.
- Le Tourneau (R), La révolte de Abu-Yazid au Xem siècle, **les cahiers de Tenisie**, revue de sciences humaines, T.I. 1er trimestre, 1953.

فهرس الموضوعات

الرقم	عنوان المحاضرة	الصفحة
01	**بعثة الفقهاء العشرة إلى بلاد المغرب ودورها في انتشار الإسلام بعد الفتوحات**	**11-2**
02	انتشار المدهبين الصفري والإباضي ببلاد المغرب (الدعوة، الثورة، الدولة)	**27-11**
03	المعتزلة ببلاد المغرب	**43-28**
04	المذهب الاسماعيلي من الدعوة إلى الدولة	**58-43**
05	المذهب المالكي دخوله وانتشاره ونضاله ضد المذاهب الأخرى	**75-58**
06	المذهب الظاهري ببلاد المغرب	**83-76**
07	المذهب الموحدي	**95-83**
08	العقيدة الأشعرية وانتشارها ببلاد المغرب	**105-95**
09	قائمة المصادر والمراجع	**120-106**
10	فهرس الموضوعات	**122**